مذكرات ايزنهاور

ترجمة
هيوبرت يونغمان

الطبعة الاولى ١٩٦٩

مذكرات ايزنهاور

ترجمة

هيوبرت يونغمان

المقدمة

ليس أيزنهاور الرجل الاول الذي صعد سلم المجد من الدرجة الاولى حتى القمة فقد سبقه كثيرون بسلوك هذا الطريق الوعر من شاب بسيط فقير الى رئيس أكبر دولة في العالم دون وراثة مجد أو دفع قوي من ثروة العائلة . ولكن جميع الذين سبقوه في هذا الطريق تسلقوا السلم إما بشخصية طاغية قوية كانت لهم ، أو لسان طلق وموهبة في الخطابة أو علم غزير أو ذكاء نادر .

أما أيزنهاور فقد كان شخصاً عادياً لم يخصه الله بموهبة خاصة . كان من أواسط الناس ولم يبدو عليه التفوق على أقرانه في الدفعة الشهيرة للويست بونيت ، دفعة عام ١٩١٥ ولكنه تمتع بمثابرة على العمل قلما تمتع بها غيره ، ويبدو ان مفتاحه للمجد كان معرفة نفسه أنه ليس موهوباً فبذل كل طاقته .

فإلى كل نفس تواقة إلى العلاء والمجد ، وإلى كل من يعد نفسه لسلوك أطول السبل للرفعة أقدم هذه المذكرات .

المترجم

الحملة السياسية عام ١٩٥٦

مشيت مساء اربعاء ٢٩ شباط ١٩٥٦ في هواء الشتاء البارد من القصر التنفيذي نحو مكاتب الرئاسة في الجناح الغربي في البيت الأبيض.

شكلت كل من أضواء السقف الساطعة التي تنير الأعمدة المطلية بالدهان الأبيض والمكاتب المشعشعة بالأضواء المنيرة في ذلك الجناح ، تناقضاً ملحوظاً مع الساحة الجنوبية التي كانت تغطيها أظلال ثلاث سيارات كبيرة للتلفزيون. كما كانت عادتي في مناسبات كهذه ، ذهبت رأساً إلى حجرة العرض الخاصة حيث كانت سكرتيرتي ، المسز آن ويتان واقفة ، وتحدثت مع روبرت مونتغمري الذي كان مسؤولاً عن التجهيزات الفنية لبث التلفزيون.

كان مونتغمري يعمل جاهداً ليتأكد من صحة وضع الأضواء ، وإنني لم أكن أضع نظارات تعكس النور ، وان المفروشات كانت في أمكنتها الملائمة.

جلست عند الساعة العاشرة مساء أمام أناس منهمكين ، وتحدثت إلى ملايين من الأميركيين.

كنت قد مررت بهذه المناسبة مرات عديدة من قبل وسوف تمر عليّ عدة مرات في المستقبل ، لكن هذه المرة كانت فريدة من نوعها : كانت من أجل الخطاب الذي سألقيه كرئيس ، والموضوع الواحد الذي سأناقشه كان عن نفسي ، وصحتي ، وخططي ، والأسباب التي من أجلها قررت خوض معركة الرئاسة للمرة الثانية.

لم يكن هذا الاعلان مفاجئاً لأحد تلك الليلة ، لأني كنت قد أعلنت عن قراري في مؤتمر صحفي في النهار ، لكنني قلت أيضاً بأنني لن أخوض معركة الرئاسة ثانية قبل أن أقدم للشعب الأميركي معلومات صريحة كاملة عن صحتي ومستقبلي ، وأسلوب حملتي ، ومشاريعي في حال إعادة انتخابي.

أولاً كررت قراري في قبول تعيين الحزب الجمهوري (اذا ما عرض عليّ) ،

ثم لأني أصبت منذ أشهر بنوبة قلبية ، وشرحت آخر استنتاجات الأطباء التي توحي بالتفاؤل .

لا ريب أنني كنت أكثر عرضة للخطر من أي شخص عادي في مثل سني ، لكنني ذكرت ضمانات الأطباء بأن النسبة المؤوية المتزايدة من الخطر لم تكن كبيرة . كان عليّ أن أواظب على جدول منتظم من العمل ، وعلى الراحة وسط النهار (أشار عليّ الأطباء أن أرتاح عشر ساعات من أربع وعشرين ساعة) وعليّ أن أحافظ على وزني إلى المستوى المناسب ، وأن آوي إلى فراشي في وقت معتدل .

ثم أعلنت للشعب بان قراري هذا هو صادر عني ، وتجنباً لأي سوء فهم ، أعلنت كيف أزمع على إدارة الحملة :

« كل عضو يحضر اجتماع الجمهوريين في شهر آب القادم يحق له أن يعرف أني . سوف لا أقوم بحملة سياسية حسب العادة المعهودة .

بدلاً من ذلك إن خطتي الرئيسية ستكون ، إذا أعيد تعييني من قبل الحزب الجمهوري ، بان أعلم الشعب الأميركي بواسطة كل وسائل الإعلام ، عن البرامج الأجنبية والمحلية مما خططته هذه الادارة وعملت لمنفعة شعبنا باسره وساطلع الشعب كيف ان معظم البرامج قد أنجزت وسُنت الى قوانين ، وأن أبين ما بقي فعله ، وأطلعه على الطريقة التي ننوي اتخاذها لاتمام ما تبقى إنجازه ..

إن العمل الذي جهز منذ أربع سنوات لم يكن قد أنجز بعد .

تحدثت بكل صراحة عن حالتي الشخصية وعن الطريقة التي كنت أدير فيها شؤون الادارة . كنت أشعر انه عندما يمضي الأميركيون إلى صناديق الاقتراع في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) سيفعلون ذلك بأقصى حد من الوعي .

بعد ذلك ، واصلت التركيز على المهمات الداخلية والخارجية المتعلقة برئاسة الجمهورية . كان الرئيس الايطالي جيوفاني في واشنطون في زيارة رسمية أخذت معظم وقتي لبضعة أيام . وبعد ذلك بقليل كتبت الى رئيس وزراء الاتحاد السوفياتي نيقولاي بولغانين عن موضوع نزع السلاح ، وذكرت اقتراحات جديدة تتعلق بتلك المسألة العصيبة . ثم اني بعثت بمذكرة الى سائر فروع الحكومة ، واصفاً مشروعاً لتأسيس مجلس فدرالي يتناول مشاكل المتقدمين في السن ، وأصدرت بياناً

بتشكيل لجنة قومية لتشجيع تطور العلماء والمهندسين .

كانت الحملة بلا شك تدور حول سجل إدارتي في السنوات الأربع الماضية . راح الديمقراطيون ينظرون إلى ذلك بملل ، بينما أخذ الجمهوريون يسعون جاهدين لإنارة الادارة بإكليل .

كان تعييني من قبل الجمهوريين في تلك اللحظة حقيقة حيوية إلا اذا طرأ شيء غير منتظر ، أو حدث انهيار صحي . ولكن هوية خصمي ستبقى مجهولة حتى يعلنه الديمقراطيون . في المباراة الأولى كان خصمي الرئيسي حاكم إلينويس السابق ادلاي ستيفنسون والسناتور إستس كيفوفر عن تينسي .

إحدى التطورات السياسية المعانة التي سبقت تضمنت نائب الرئيس ريتشارد نيكسون . كان يدور كثير من الحديث عن هوية الشخص الذي سيتبعني . كان الرئيس فرانكلين روزفلت قد أدار حملاته السياسية الأربع بثلاثة نواب رئيس مختلفين : غارنر ، والاس ، وترومان . أعتقد بان اختيار نيكسون كنائباً للرئيس كان صائباً .

حتى قبل إعلان قراري ، كنت قد دعوت المستر نيكسون إلى مكتبي لمناقشة الموضوع ، وعند وصوله ، أطلعته على بعض الصعوبات المتعلقة بالسنوات القادمة ، وطلبت منه التدقيق فيها . كان يدرك مدى تقديري الرفيع له ، وهكذا كان في استطاعتي أن أتحدث عن كل شيء من غير خوف من الخطأ أو سوء التفاهم .

فقلت له بانني إذا ما خضت معركة الرئاسة لفترة ثانية ، لا يسعني أن أعينه قبل تعيينه من قبل حزب الجمهوريين لمركز نائب الرئيس . كلانا كان يعلم بانني إذا ما قررت الخوض ، وإذا تم تعييني،فإن اختياري له سيكون مقبولاً لدى المندوبين .

في هذا الاجتماع الخاص ، أردت أن أتحدث بوجه خاص عن السبل التي عليه أن يتخذها نحو مستقبله السياسي أي الرئاسة بالذات في سنة ١٩٦٠ . وأفهمته بانه إذا كان مراده الاستمرار في مركزه الحالي ، سوف أكون مسروراً لقبوله كمرشح الحزب . وأردفت قائلا :

« انني أقدر كل الأعمال التي قمت بها حسب طلبي أثناء السنوات الأربع الماضية » .

كنت قد أوفدت نيكسون في اوائل تسلمي الرئاسة كمندوب شخصي ، في رحلة استغرقت اثنين وسبعين يوماً الى اوستراليا ، وتايلند ، واليابان ، والهند ، وباكستان وافغانستان وايران . كانت مهمته المساعدة في إقناع أصدقائنا الآسيويين بان الولايات المتحدة حريصة بتطلباتهم ، وقلقة على الأخطار التي يواجهونها تماماً ، كما تحرص على أوروبا وتقلق عليها . .

كان نائب الرئيس ، من خلال اجتماعاته ومحادثاته في المناطق التي زارها قد استجمع معرفة شاملة لوضع سياستنا .

منذ ١٩٥٣ ترأس نيكسون لجنة تسعى في إزالة التفرقة على أساس الجنس أو اللون في الدوائر الحكومية . بالإضافة إلى ذلك ، فقد كان يحضر اجتماعات الوزراء وجلسات مجلس الأمن القومي واجتماعات زعماء التشريع . فقد كان من الأوائل المنادين بالحقوق المدنية ، ويتمتع بقدرة قوية في فهم وحسم آراء الآخرين .

خلال معاونته التي لم يسبق لها مثيل ، فان مركز نائب الرئيس في الماضي ،لم يفسح المجال أمام الرجل المنوطة به لتمكنه من استخدام المقدرة التي يملكها — لذا كنت على اتصال متقارب مع المستر نيكسون لأقدر مهارته الفائقة . ولهذا فإن استعدادي لقبوله نائباً للرئيس في سنة ١٩٥٦ كان واضحاً أو كاد أن يكون .

على أية حال ، لقد حاولت أن أبين هذا الواقع عدة مرات في المؤتمرات الصحفية ، وفي مناسبات أخرى ، لذلك أثناء هذه المحادثة في ١٩٥٦ أكدت له بان القرار في طلب نيابة الرئاسة مرة ثانية عائد له شخصياً .

اثناء ادارتي أصبح المستر نيكسون على معرفة واسعة في مهمات الدوائر . في حالة قراره بالانسحاب من سباق نيابة الرئاسة ، فقد كنت على استعداد تام لأن أعهد إليه إحدى الدوائر التي تناسب خبرته ، لأنه بلغني بان اثنين أو ثلاثة وزراء رغبوا في العودة إلى الحياة الخاصة ، من بينهم وزير الدفاع تشارلز ويلسون . فاشتراك المستر نيكسون في مجلس الأمن القومي ، وخبرته القانونية واهتمامه بالدفاع الوطني سيجعل تعيينه كخلف لويلسون صائباً . أشرت عليه أن يناقش هذا الموضوع ومواضيع اخرى مع زوجته بات ، ومع أي شخص آخر يثق به ، وأن

يعطيني رده متى تتيح له الفرصة . فوافق على اقتراحي .

بعد بضعة اسابيع من محادثتي معه عن الموضوع ، دخل إلى مكتبي ليقول بأنه قرر خوض نيابة الرئاسة ثانية .

ارسلت في طلب جيم هاغرتي ، سكرتيري الصحفي قائلاً : « أعلن في الحال هذا النبأ يا جيم » .

تبع نائب الرئيس جيم إلى مكتبه حيث نُشر الخبر .

كان ذلك في ٢٦ نيسان سنة ١٩٥٦ . بعد ستة أسابيع ، في ٦ حزيران أُصبت بالتهاب المعي الليفي . وكان عليّ بان أخضع قريباً لأجراء عملية جراحية خطيرة ..

*

كان هذا مرضي الثاني في عام واحد . هذه المرة قال الاطباء بان حالتي الصحية هي ممتازة بعد العملية وباستطاعتي براح المستشفى بعد اسبوعين . منذ العملية أخذ أشخاص عدة يشكون في صحة قراري بخوض معركة انتخاب الرئاسة ثانية . وقد يتصاعد تخوفهم من جراء كتابات بعض المحررين الذين أخذوا على عاتقهم لسبب او لآخر بنشر عدم موافقتهم بآراء الأطباء المتفائلة . ومما يدعو للدهشة بأني لم أكن أشعر بسوء لبضعة أيام ، ولم تزعجني في هذه اللحظة شكوك الآخرين . إن مرضي الحالي كان عضال وبإمكان الأطباء التغلب عليه بإجراء عملية فورية . وسرعان ما استرجع وعيي وكامل عقلي . ولم أكن مبالياً بمسألة الشفاء التام ، لكنني كنت لفترة وجيزة معزولاً عن السياسة وعن الإشاعات .

عندما غادرت المستشفى ، واجهتني قصة مفادها بأن هناك معارضة تنمو داخل الحزب ضد إختيار نيكسون نائباً للرئيس . كان لهذه الاشاعة في البدء تأثير ضئيل ، ولم أعرها أي اهتمام خاص إلى أن دخل يوماً هارولد ستاسن مكتبي ليتحدث عن الموضوع ، فقال بأن تخميناته الشخصية تشير الى عدم الرضى البالغ في اختيار نيكسون ، لأن في تعيينه نائباً للرئيس سوف يضعف مركز الجمهوريين وسيكون خطأ سياسياً فادحاً .

لقد أدهشني تصرف المستر ستاسن ، ولكن لأني كنت في تلك اللحظة مسرعاً لبراح واشنطون الى باناما قلت له : « إنك مواطن أميركي يا هارولد وإنك حر في ملازمة آرائك الشخصية في مسائل كتلك » .

بينما كنت في باناما وردتني الأخبار بأن المستر ستاسن قد أعلن معارضته للمستر نيكسون علانية وانه أعلن عن مرشحه للمركز ، المستر كريستيان ا . هرتر حاكم ماسا شوستس حينئذ . أصدر جيم هاغارتي بياناً على الفور ذاكراً بأنه سبق لي ان اخبرت ستاسن انه بالرغم من حقوقه المعترف بها كمواطن أميركي بملازمة آرائه ، فانه لا يستطيع إتخاذ نشاط سياسي من هذا النوع مستقلاً عن الحزب .

لذلك عند عودتي شاهدته في غتيزبرغ ومنحته فرصة غياب من غير راتب حتى بعد إجتماع الحزب . كان هذا الحديث يثير القلق لبعض الزمن . وكان يبدو وكان هناك إنشقاقاً ما ، ولكن سرعان ما أخمدت . فقد أعلن المستر هرتر عن عدم رغبته في الخوض ، ثم أنه عيّن المستر نيكون رسمياً في إجتماع الحزب ، وتبعه هارولد ستاسن نفسه .

قبل إجتماع الجمهوريين بإسبوع ، إجتمع الحزب الديمقراطي في شيكاغو وعيّن للمرة الثانية المستر ستيفنسون كمرشح للرئاسة ، والسناتور كيفوفر للمركز الثاني . كان ادلاي ستيفنسون أول من أعلن عن ترشيح نفسه . وبعد ذلك مضى في طريق شاقة نحو إعادة تعيينه . فقد كان يتراشق التهم مع خصمه الرئيسي . ومن جهة أخرى ، بعد إنعقاد الحزب الديمقراطي بقليل ، راح الرئيس السابق ترومان يساند حاكم نيويورك أفريل هاريمان زاعماً بأن ستيفنسون لا يستطيع الفوز لأنه إنهزامي جداً .

أما لو طلب مني ابداء رأيي في ذلك الحين لأخترت فريقاً من الديمقراطيين السناتور ليندون جرنسون للرئاسة والسناتور هيوبرت همفري أو السناتور جون كندي لنيابة الرئاسة ، لأن خبرة جونسون التشريعية وعلى الأخص براعته في مناورات المجلس التشريعي والمفاوضات سيكون لها تأثير كبير على الناخبين .

كان تعييني من قبل الجمهوريين بالاجماع وكذلك إختيار نيكسون . وطلبت من تشارلز هالك بأن يلقي خطاب التعيين التقليدي . وباعادة تعيين نائب الرئيس ،

تكتمل الإجراءات الرسمية .

*

في ٦ تشرين الثاني – نوفمبر أفرزت النتائج . وإن يكون فشل الجمهوريين بالسيطرة على أي من مجلسي الكونغرس لكن التذكرة الوطنية جاءت كاسحة : ٤٥٧ مقابل ٧٣ بنسبة أكثر من تسعة ملايين صوت .

أزمة السويس

ابتداءً من الأشهر الاخيرة لمدة رئاستي الأولى إلى عدة سنوات فيما بعد لم تلق أي منطقة في العالم انتباهي وانتباه زملائي كما لقي الشرق الاوسط . هذه المنطقة التي تهدد بنشوب حرب عالمية ثالثة تشكل امتحاناً الى إرادة ومبادىء وصبر وعزم الولايات المتحدة .

ان الشرق الاوسط جسر أرضي يصل اوروبا بآسيا وأفريقيا وتلك الأرض حملت مسافرين وتجار وفاتحين لقرون عديدة . هناك وُجدت أديان العالم الثلاثة : اليهودية ، والمسيحية والإسلام . وتحت سطح أراضيه توجد أكبر خزانات الزيت في العالم : « الذهب الأسود » لعصرنا الآلي . فالشرق الأوسط غالباً يسمى لأسباب صائبة بأنه مفترق طرق العالم .

قبل الحرب العالمية الأولى أكثر أراضي الشرق الأوسط : العراق ،السعودية ، الاردن ، فلسطين ، ولبنان ، كانت خاضعة لحكم الاتراك العثمانيين . في الفترة بين الحربين العالميتين كانت المنطقة بأسرها من شاطيء البحر الابيض المتوسط حتى الحدود الايرانية تتألف من محميات ودول ذات استقلال جزئي .

البعض كانت تسيطر عليه بريطانيا وفرنسا . الاولى في الاردن والعراق [١] والثانية في سوريا ولبنان . وهكذا لم يكن هناك سوى اضطرابات طفيفة أثناء

---

١ ـ تجاهل ايزنهاور فلسطين وكأن دولة الصهاينة كانت قائمة . (المترجم)

العشرين سنة ، ولكن في السنوات التي عقبت الحرب العالمية الثانية ، كانت المنطقة تتجاوب وروح القومية المتيقظة ، وحولت الى عدد من الحكومات المستقلة ولكن غير مستقرة ، كل واحدة منها تحسد الأخرى ، وتحكم شعباً متفجراً فقيراً . من المحزن أن المستوى الخفيض للمعيشة قد جعل حياة الانسان سلعة رخيصة . فالنتيجة الحتمية كانت خلقينـــا مضطرباً من عدم الاستقرار السياسي ، وحرب حدود مستمرة [1] مما تعذر على الولايات المتحدة خلق سياسة ثابتة وشاملة . حتى ان العلاقات المباشرة بين الولايات المتحدة وكل دولة في المنطقة كانت سبباً لكل نوع من التقلب المزعج لأن الحقد بين دول المنطقة كان شديداً الى درجة كادت صداقتنا مع إحداها تؤدي إلى عداء اوتوماتيكي من قبل الاخرى .

كان التوتر العربي – اليهودي معلقاً لسنين عديدة ، ولكنه انفجر بعد الحرب العالمية الثانيـة وتحول إلى شعلة في سنة ١٩٤٩ حين تجمع العرب في محاولة لقذف السكان الجدد في البحر . اليهود الذين كانوا أفضل تدريباً وانضباطاً ولديهم وحدات مجهزة جيـداً ، هزموا العرب في سلسلة من الحملات المحدودة وذلك بحشد قواتهم الرئيسية في مهارة . والهدنة التي نجمت عن ذلك لم تفعل شيئاً لتخفيف حدة التوتر ، وإلى هذا كسبت اسرائيل أراض أكبر بكثير مما خصصت لها الامم المتحـدة .

منذ سنة ١٩٤٩ وإلى ما بعد لم يستتب السلام في المنطقة . مناوشات الحدود أصبحت عادية ، والحدود حتى هذا اليوم مخططة بالرشاشات والحرس الحذرين .

بالاضافة إلى هذا الاضطراب الشديد ، فان عدم الاستقرار السائد في الدول العربية التي تحيط بإسرائيل مباشرة كان ملحوظاً . من الشمال من إسرائيل يقع لبنـان الذي يتألف شعبه من نصف مسيحي ونصف مسلم ـ ذا حكومـة جمهورية مؤيدة للغرب .

إلى الشرق من لبنان تقع سوريا التي كان يحكمها الفرنسيون بين الحربين العالميتين والتي لم تزل ملاذاً للكراهية ضد حكامها السابقين ، لديهـا أقوى حزب شيوعي في المنطقة . أما المملكتان الهاشميتـان : الاردن والعراق ، فيربط بينهما قرابة ـ لكنهما تختلفان فالاردن ينقصه النفط الذي جعل من العراق دولة قوية اقتصادياً

---

١ ـ نسي ايزنهاور الاسباب الحقيقية لعدم استقرار المنطقة ـ نسي تقسيم فلسطين وما عقب ذلك .. (المترجم)

المملكة العربية السعودية مركز أمكنة الاسلام المقدسة ، دولة أخرى غنية في النفط ولكن معظم مواردها تُبدد بحماقة على أيدي العائلة المالكة المحبة الذات .

مصر ، أقوى وألد أعداء اسرائيل . كانت مملكة حتى ١٩٥٢ وبعد ذلك الحين أصبحت جمهورية . تحتل مصر مركزاً بالغ الاهمية لسياسات المنطقة ، من ناحية لأن شخصية وآراء عبد الناصر جذبت العرب في كل مكان لأنهم كانوا يرغبون أن يتحدوا ضمن إطار دولة عربية كبرى . ومن ناحية أخرى فإن مصر تملك داخل حدودها موجودات ذات قيمة باهظة ، أهمها : قناة السويس ، خط حياة أوروبا الغربية إلى الشرق .

هذه القناة ، أهم ممر مائي في العالم ومُربح جداً . ففي عام ١٩٥٥ مر من القناة أكثر من مائة مليون طن — أكثر من ضعفي المقدار الذي مر من قناة باناما . كانت تستخدم القناة أكثر من أربعين دولة ، بريطانيا في الطليعة ثم الولايات المتحدة .

كان دخل القناة الإجمالي نحو مائة مليون دولار وينتج سنوياً نحو ثلاثين مليون دولار ربحاً صافياً .

كانت سياسة الولايات المتحدة حيادية إزاء الأوضاع الغير مستقرة في الشرق الأوسط بعد الحرب العالمية الثانية .

كنا نأمل منع الصراع المسلح بين العرب وإسرائيل ، وأن نساعد على خلق جو من الوئام والعلاقات العادية بين دول المنطقة في محاولة منها لخلق السلام وللمحافظة على الوضع الراهن . وقعت الدول الغربية الثلاث اتفاقية في عام ١٩٥٥ للعمل معاً لهزم أي استيلاء لأي أرض في الشرق الأوسط بقوة السلاح ، إذا بلغ أي من الفريقين — العربي أو الإسرائيلي — تفوقاً عسكرياً فلن يكون هناك أي استقرار . نحو هذا الهدف اتفقت الدول الغربية الثلاث على استشارة بعضها بعضاً للتأكد من ان الأسلحة التي تُشحن الى العرب والاسرائيليين كافية لصيانة النظام الداخلي ومحدودة الكمية ، ومتوازنة بقدر الإمكان .

كنا نأمل انه بينما نحاول منع أي من الجانبين من بلوغ حد ضارب في الاسلحة المصنوعة في الغرب ، سنكون في نفس الوقت نثنيهم على مفاتحة الشيوعيين بطلب السلاح .

كانت بريطانيا لزمن طويل المصدر الرئيسي للسلاح إلى الشرق الأوسط ، ولكن الولايات المتحدة مرتبطة باتفاقيات تبيع بموجبها كميات من الاسلحة إلى مصر وإسرائيل والعراق ولبنان والمملكة العربية السعودية . لم نرغب بأي حال أن نصبح المصدر الرئيسي لتزويد المنطقة بالسلاح ، حتى ولم نكن نرغب في إزالة النفوذ البريطاني هناك بالرغم من ان البريطانيين كانوا يتهموننا في ذلك .

في الواقع ، بالرغم من المصالح الاميركية وبعض المصالح الفرنسية في المنطقة ، كنا نشعر بأنه ينبغي على بريطانيا ان تستمر في اتخاذ مسؤوليتها الرئيسية نحو استقرار المنطقة وأمنها . كان البريطانيون يحسنون الاطلاع على تاريخ وتقاليد شعوب الشرق الاوسط . من ناحية اخرى كنا متورطين في كوريا وفورموزا وفيتنام وإيران وفي نصف الكرة هذه . في نفس الحين كانت فرنسا متورطة في شمال افريقيا .

كصديق مجرد من أي غرض ، حاولنا الجهد في حل المشاكل الراهنة . أحد هذه الأمثلة : سلسلة المهام التي قام بها مندوبي الشخصي المستر أريك جونستون الذي عمل جاهداً في سنتي ١٩٥٥ و ١٩٥٦ لحل الخلاف الملتهب الذي نشأ بين الاردن وسوريا من جهة واسرائيل من جهة اخرى ، على تقسيم مياه وادي الاردن ، كادت جهود المستر جونستون ان تعطي ثمارها ، ولكن إجحاف وحقد كلا الجانبين سبّب رفض المشروع .

الجلاء عن قاعدة السويس

كانت مغادرة الملك فاروق المفاجئة من مصر عام ١٩٥٢ خط الانطلاق لبداية مفاوضات دبلوماسية عصيبة بين مصر وبريطانيا بشأن قاعدة السويس التي احتلها الجيش البريطاني منذ الحرب العالمية .

أظهر المصريون استياءهم بوجود البريطانيين وأبدوا عدم رضاهم فأشعلوا الحرائق بالاضافة إلى إحتجاج حكومي .

كنت أثق أنه غير مرغوب وغير منطقي للبريطانيين بأن يضعوا قوة كبيرة

دائمة في أرض حكومة تمتعض بوجودهم ، وبين شعب يظهر عداوه . لذلك شجعت وفوستر دالاس البريطانيين (الذين كانوا قد أعلنوا عن عزمهم بتسليم القاعدة إلى مصر) بالجلاء التدريجي للثمانين الف جندي الموجودين هناك . وصلت المفاوضات المؤجلة إلى ختام ناجح في سنة ١٩٥٤ ، وغادر آخر جندي بريطاني القاعدة في حزيران ١٩٥٦.

أثناء الأشهر الأوائل من تسلم عبد الناصر لرئاسة الوزراء (ابتدأت في نيسان ١٩٥٤) كانت الدول الغربية تنظر بأمل نحوه لأنه كان يبدو بأنه يفضل الإنحياز نحو الغرب . أتى وجماعته للحكم بهدف الإصلاح وإزالة الفساد . ولكن بمرور الزمن أصبح واضحاً أن لعبد الناصر طموح تتعدى دور المصلح. كان نشاطه يمتد إلى أبعد بكثير خارج الحدود المصرية. فقد أتهمته فرنسا بإثارة الإضطرابات في عرب الجزائر وزعم البريطانيون بأنه يعمل خفية لزرع عدم الإستقرار في قبرص .

بالإضافة إلى ذلك ، فقد أعلن عبد الناصر بأن شحنات الأسلحة التي زودت مصر بها من قبل لم تعد تكفي حاجاته ، وبذلك خلق شعوراً لدى الحكومة البريطانية ، عبرت عنه سراً بأن عبد الناصر يحاول أن يصبح « موسوليني مصر » حاولت الولايات المتحدة التغيب عن هذا النزاع وذاك ، شاعرة بان كونها « حيادية » يمكنها المساعدة في إنهاء الخلاف .

كانت مصر ضعيفة عسكرياً . في أوائل عام ١٩٥٥ ، لم يكن هناك مجال للجدال بان لو نشبت حرب بين مصر وإسرائيل ، ستهزم الأولى في سهولة . لكن الإسرائيليون كانوا محاطين براً باعداء متربصين . ومشكلة أمنهم كانت تضع في الحسبان إحتمال صراع على طول حدودها بحشود عربية ذات قيادة موحدة .

كان لدى إسرائيل التي يعد سكانها باقل من مليوني نسمة ، خمسون الف جندي ، بالإضافة إلى مئتي الف إحتياط الذين يستطاع تعبئتهم خلال ثمانية وأربعين ساعة . بالرغم أن هذا الجيش كان صغيراً لكنه كان يساوي مجموع الجيوش التي تستطيع الحكومات المجاورة أن تجندها وتزودها

صفقة الأسلحة الشهيرة

أول برهان للتغلغل الشيوعي داخل الشرق الأوسط حدث في خريف ١٩٥٥ (عندما كنت في المستشفى أعالج من نوبة قلبية) فيما أصبح يسمى بـ « صفقة اسلحة عبد الناصر الشهيرة » .

في أوائل شهر شباط من ذلك العام ، حاول عبد الناصر أن يحصل على الأسلحة من الولايات المتحدة بعد أن شنت اسرائيل هجوماً قاسياً على قطاع غزة . طلب عبد الناصر اسلحة قيمتها ٢٧ مليون دولار . كانت وزارة خارجيتنا تثق بانه ينقصه المال لذلك ، فأبلغته بان الدفع يجب أن يكون نقداً بدلاً من المقايضة .

ترك عبد الناصر الموضوع مؤقتاً ، ولكن تهديداته ببدء المفاوضات مع الروس بدت كمغزى مشبوه بالإبتزاز التهديدي . يمكن أن يكون تصرفنا بفائدة الإدراك المؤخر لم يبدو واقعياً ، ولكن حتى لو استطعنا التنبؤ بافعال عبد الناصر في المستقبل لكنا بقينا على قمة مأزق . لقد كنا ملزمين بالتقيد بالاتفاقية مع الفرنسيين والبريطانيين في الحفاظ على توازن تقريبي بين قوة إسرائيل الحربية والدول العربية المجاورة ـ هذا التوازن الذي كان سيضطرب في حال موافقتنا على بيع الأسلحة التي طلبها عبد الناصر .

في محاولة منها لنصح عبد الناصر بالعدول عن إتمام الصفقة مع الشيوعيين ، أوفدت وزارة الخارجية إلى القاهرة دبلوماسي مقتدر : المستر جورج آلن . لم تنجح مهمته ووقعت صفقة الاسلحة بين مصر وتشيكوسلوفاكيا في شهر اوكتوبر تشرين الاول . قدرت قيمة الصفقة بين ٩٠ مليون دولار و ٢٠٠ مليون دولار . مبلغ أكبر بكثير من الـ ٢٧ مليون دولار الذي كنا نتداول فيه لإثارة الشكوك في المقصد منه .

كان هذا الاكتساب أبعد بكثير من قدرة مصر المالية ، ما عدا حقيقة واحدة وهي : إن التشيكيين وافقوا على اتفاقية مقايضة ـ القطن المصري مقابل السلاح التشيكي .

بعد اسبوع من توقيع العرض أذيع بان الروس قد عرضوا على اسرائيل أسلحة. رُفض العرض. ولكن إسرائيل طلبت من الولايات المتحدة بان تمدها بالأسلحة لاعادة التوازن العسكري. بعد ترو طويل استنتجنا ان في الظروف الراهنة اذا شحنت الولايات المتحدة السلاح، سوف يؤدي هذا إلى سباق تسلح سريع بالشرق الاوسط، لذلك فقد قررنا بعدم الموافقة في الوقت الحاضر.

هذه الجهود السوفياتية لأثارة الصعاب هي بطبيعة الحال تنسجم بتخطيطهم المستمر في خلق فوضى عالمية. في هذا الحين، كان يبدو للشيوعيين بان الشرق الأوسط يقدم فرصة غير إعتيادية لشق طرقاً إلى العالم الحر، ولتفكيك التعاون الطبيعي بين دول الغرب. لم يسع أميركا أن تدع أفعال كهذه تغيب عن انتباهها. في الظروف العادية كنا راضين تماماً عن خبرة البريطانيين باتخاذ خطوة مبادرة الغرب في تطوير الاستقرار في الشرق الأوسط، ولكن عندما هدد الاتحاد السوفياتي بان يصبح متورطاً فعلياً، لم تستطع الولايات المتحدة البقـــاء ساكنة. كان علينا أن نخطو لمواجهة وزن قوة الاتحاد السوفياتي.

وعلى ذلك، في الأسبوع الثاني من شهر أوكتوبر، أجرى فوستر دالاس محادثة مـع المستر مولوتوف وزير خارجية الاتحاد السوفياتي، محذراً بان شحنة الأسلحة التشيكية تقرب الحرب في الشرق الأوسط أقرب من المحتمل، وأنها تخلق موجة من الاستياء والشعور المرير في الولايات المتحدة. وفي رسالة إلى رئيس وزراء الاتحاد السوفياتي نيقولاي بولغانين كتبت قائلاً: استلمت في ٢٢ أكتوبر رسالتك بخصوص بيـع الأسلحة إلى مصر. لاحظت بانك تعني أن لا داع للقلق. لكن حسب معلوماتي، هذه الصفقة الكبيرة قـــد خلقت خطراً متزايداً من نشوب العنف في المنطقة.

سأطلب من وزير الخارجية دالاس مناقشة الوضع مع وزير الخارجية مولوتوف في جنيف.

كان رد بولغانين مسكناً، ولكن من غير تورط. وأتممت صفقة السلاح، وبطبيعة الحال اشتد موقفنا من التغلغل السوفياتي. لكننا لم نوقف جهودنا للفت نظر عبد الناصر الى الفوائد التي سيكسبها في تقوية روابطه مع الغرب.

حلف بغداد

بينما كانت تقع هذه الاحداث، كان البريطانيون ، بتأييد منا وتشجيعنا يتممون المفاوضات التي أدت إلى ما أصبح يُعرف بحلف بغداد ـ حلف دفاعي بين بريطانيا وتركيا والباكستان والعراق لدعم هذه البلاد التي تقع قرب الحدود الجنوبية الغربية وكنت أرغب أن أرى جميع الدول المشتركة في هذه العملية ستوافق على خلق هذا الحلف .

عندما كنت القائد العسكري للحلف الأطلسي قبـــل أربع سنوات ، زرت تركيا وتفقدت إنشآتها الحربية . هذه الزيارة التي كانت أكثر من معرفة بتاريخ تركيا الحديث ، أقنعتني بان الأتراك رجال مقاتلون أقوياء ، بيـــنما كان عداء باكستان للشيوعية تقليـدي . وهكذا ، فكنت مسروراً عندمـا اتصل بي بان إيران قد انضمت إلى الحلف في أوكتوبر عام ١٩٥٥ ، لأن موقـع إيران الجغرافي كان لا غنى عنه في إملاء الفراغ في تلك المنطقـــة على الحدود السوفياتية .

لكنه في هـذا الوضع السائد ، كانت الاضطرابات دائماً تستمر ، ولسوء الحظ كان الحلف بنظر معظم العرب وعلى الأخص الناصريين بانه ليس إجراء لحماية المنطقة ضد التدخل الروسي ، لكنه مكيـدة لتقوية النفوذ البريطـاني الذي أخذ يتهدد بالتلاشي .

كان العراق العضو العربي الوحيد في الحلف ، فأصبح هدفاً للانتقاد من قبل الدول العربية الأخرى .

جهود بريطانيا لحث الاردن بالانضمام الى الحلف سببت مشاكل كثيرة . كان لبريطانيا نفوذ كبير في الاردن وكانت تساهم في دفع عشرين مليون دولار سنوياً مساعدة لقوات الاردن المقاتلة الممتازة ، بمساعدة البعثة العسكرية البريطانية ، وبهذا القدر من المال ، أصبح للاردن أقوى قوة مقاتـلة من أي بلد عربي باستثناء مصر طبعاً . ولكن عندما طلبت بريطانيا من الاردن في أواخر ١٩٥٥ بان ينضم للحلف ، انتفضت معارضة عنيفة من الشعب ، وسقطت حكومات ثلاث على التوالي في شهر

من الأزمة . كان الاستياء موجهاً نحو كل الدول الغربية وليس بريطانيا وحدها .
أثناء نهاية الاسبوع في ٨ كانون الثاني – يناير ١٩٥٦ ، أشعل جمهور غاضب النار في المركز الفني الجوي الاميركي في عمان ، وقذف القنصلية الاميركية في القسم العربي من القدس بالحجارة .

أخيراً جاء رجل يسمى سمير الرفاعي ، وكلف رئاسة وزارة الاردن ، فوعد بان يبقي الاردن بعيداً عن الحلف ، وعد بذلك ليضمن بقائه في الحكم لمدة طويلة .

بدى النفوذ الغربي ، وعلى الأخص النفوذ البريطاني ، ينهار أمام قوة جديدة : القومية العربية ورائدها عبد الناصر . في ٢ أذار ١٩٥٦ ، صفع الملك حسين ملك الاردن البريطانيين بطرده لمستشاره البريطاني القديم الجنرال جون باغوت غلوب : قائد الجيش العربي الذي كان يعتبره الغرب بانه حصن الاستقرار في ذلك البلد . قال الملك حسين بان فعله هذا كان عسكرياً . طلب البريطانيون مجدداً من الولايات المتحدة بان تنضم إلى الحلف . لم يبدو منطقياً ،انخراطنا في الحلف رسمياً من غير أن نعطي ضماناً لحماية إسرائيل ، وبذلك نكون قد طردنا العراق خارجاً .

ان تصرف الملك حسين أعد الجو للعواصف . بالنسبة لنا كان الحدث مثالاً بسيطاً من النزاع القائم في الشرق الأوسط الذي يمكن حله وذلك بالقبول به بدلاً من حله .

❦

في أواخر عام ١٩٥٥ نشبت الاضطرابات في جزيرة قبرص بين أربعماية ألف يوناني قبرصي وبين مائة ألف من الأتراك القبرصيين . أصبحت أعمال العنف عادية، شملت إحداها الحاكم البريطاني نفسه . فقد وجد قنبلة في سريره ، ونادراً ما انتقد لطرده خدمه القبارصة اليونانيين .

كانت نموذجاً من دبلوماسية ١٩٥٠ المتعقدة لأن الدول المتورطة في المشكلة : اليونان وتركيا وبريطانيا جميعها حليفاتنا .

بالاضافة إلى ذلك ، اذا استمرت الاشتباكات ، معظم القوات البريطانية لدى الشرق الأوسط التي وضعتها بريطانيا على الجزيرة ، ستكون مرتبطة بالحفاظ على

النظام في قاعدتها .

هذا التفاقم ، أو ربما هذه الأحـــداث المشحونة بالاحتمالات لم تكن تتعلق بالاضطراب العربي ـ الاسرائيلي ـ البريطـاني مباشرة ، لكنه ينطـوي على تأثير مباشر .

عندما تحولت قبرص ـ وهي أكبر قاعدة بريطانية في المتوسط ـ إلى برميل من البارود ، فإنها ساهمت بالتأكيد إلى العبارة البريطانية : « كفى ! » . كانوا قـد وافقوا عام ١٩٥٤ بالجلاء عن قاعدة السويس . عمل ذا أهمية كبرى بالنسبة للشعور البريطاني بنهاية الامبراطورية . كانوا قد تعرضوا للشتائم والإهانات في القاهرة ، والآن فإن آخر معقل لهم في هذا الجزء من العالم إخذ يهتز . .

*

طوال عام ١٩٥٥ وفي أوائل ١٩٥٦ كانت اشتباكات الحدود بـين العرب وإسرائيل متواصلة . وفي أواخر عام ١٩٥٥ كانت الاشتباكات تقع في كل يوم تقريباً وعلى الأخص في قطاع غزة . في ٢٢ كانون الثاني ١٩٥٦ ، أنب مجلس الأمن إسرائيل على شدة هجومها الإنتقامي على الحدود العربية ، وحذّرت إسرائيل بأنها قد تعرّض الهدنة في المنطقة إلى الخطر ، وأنـذرت بأنها إذا شنت حرباً وقائية ضد العرب ، ستتخذ الأمم المتحدة عقوبات ضدها . وفي شهر آذار ، ذهب داغ همرشولد ليلقي نظرة شاملة على الأوضاع ، وليتخذ إجراءات يعتبرها ضرورية في تخفيف حدة توتر الصراع العربي الاسرائيلي . لم تأت هذه المرحلة إلا بالقيل، لكن وجوده سبّب على الأقل وقف أطلاق النار لمدة شهر .

من خلال كل ذلك ، خلق جهود الغرب في الحفاظ على توازن تقريبي في التسلح بين العرب وإسرائيل كرباً ، كما يبدو ، في كل مرة ترسل السلاح لأي من الجانبين مثلاً : نشرت الصحف في ١٥ شباط بأن شحنة أميركية من ثمانية عشر دبابة خفيفة من طراز أم ـ ٤١ حمّلت في بروكلين وستبحر للسعودية في نفس اليوم الذي نشر فيه الخبر ، ورد احتجاج من إسرائيل لأننا لم نرسل لها اسلحة

كان هذا نوع من الأشياء الذي نادراً ما يُحل قبل أن ينفجر من حادث بسيط إلى حادث خطير . لكي أتمكن من دراسة المسألة، أمرت وزارة الخارجية بان تؤخر

الشحنة مؤقتاً . وبسرعة اتضح لي بأن ليس هنـاك شيئاً ذا خطورة في الصفقة . فكمية ونوع الأسلحة لم تكن ذات أهمية نسبياً ـ وتنسجم مع إتفاقية عام ١٩٥٠ بين اميركا وبريطانيا وفرنسا، وطلبية الأسلحة عمرها سنة واحدة تقريباً درست بدقة من قبل وزارتي الخارجية والدفاع وقبلت من حيث الروتين . لقد دفع السعوديون نقداً ثمن الدبابات وذلك سلفاً قبل ثلاثة أشهر من تاريخ الابحار لذلك فقد أشرت في ١٨ شباط بإتمام عملية الشحن حسب الخطة .

بعد هذا الحدث بقليل جاء مساعد وزارة الخارجية ، المستر هوفر لمقابلتي حاملاً طلباً من فرنسا بموافقتنا على إرسال فرنسا لأثني عشر نفاثة مقاتلة من طراز ميستير إلى إسرائيل . أجبت بأن موقفنا ينبغي أن يكون « لا اعتراض » . لكنني سررت لأن الفرنسيين قد استشارونا في الأمر . إن فعلهم هـذا أثبت بأنهم كانوا يشاركون إعتقادي بأن تناسقاً مثل هذا كان ضرورياً ولازماً بيننا (بعد ذلك أخذت هذه الميستير الاثني عشر تتضاعف كولادة الأرانب) .

في مثل هذا الوقت تقريباً أقترحت فكرة جديدة لمعالجة أي حاجـة متوقعة للأسلحة الأميركية في الشرق الأوسط . فوجدت بأن فكرة « أسلحة عند التنفيذ » لها فوائد حقيقية . كانت الخطة تقتضي بخزن كميات لا بأس بها من المعدات الحربية في سفينة أميركيـة تبحر في المتوسط ، وتكون جاهزة لتسليم أي دولة في الشرق الأوسط التي قد تكون ضحية عدوان. كانت وزارة الدفاع تشك بفعالية المشروع، لكنني أشرت بأن ذلك سيكون ذا فائدة هامة لعرض تحيزنا بـين العرب (على الأخص مصر) وإسرائيل . أنجزنا المشروع ، وفي أواسط شهر تموز ١٩٥٦، كانت السفينة المحملة بتلك الأسلحة في موقعها في المتوسط .

في هذا الحين كانت مهمة الأمين العام داغ همرشولد قـد أتمت من غير هدنة بالرغم أن الوضع كان يبدو بأنـه هادىء على الحدود العربية ـ الاسرائيلية في الوقت الحاضر .

في هذا الحين ، أخذت الغيمة التي كانت صغيرة تمسي أكبر وتظلم على المنطقة بأسرها كان التقارب يتطور في العلاقات بين عبد الناصر والروس .

لقد لوّن هذا التطور المفاوضات التي كانت في طريقهـا لبعض الأشهر بين عبد الناصر من جهة والبنك الدولي وبريطانيا ونحن من جهـة ثانية بشأن تمويل

مشروع السد الضخم على نهر النيل .

أن مشروع السد العالي في أسوان كان حلم عبد الناصر الطويل الأمد – مشروع طاقة كهربائية ضخم ومشروع للري وقد يستغرق عشرين سنة لبنائه وسوف يكلف مليار دولار . إذا توصلت البلدان التي لها مصالح في مياه النيل وهي مصر ، والحبشة والسودان واوغندا ، وإذا يستطيع الاقتصاد المصري أن يتحمل العبء لمدة عشرين سنة – بالاضافة إلى المساعدات الخارجية ، طبعاً ، سيكون حصيلة ذلك عون هائل للشعب المصري الفقير .

كان ذلك يتضمن مشاكل عديدة ، وكانت مصر تحاول حل هذه المشاكل عندما عاد وزير الخارجية دالاس إلى القاهرة عام ١٩٥٣ . منذ ذلك الوقت والبنك الدولي يعمل على التمويل ..

إحدى الوجوه الجذابة في السعي لايجاد طريقة حكيمة لمساعدة المصريين في في مشروع السد . ربما كانت مساهمتنا في ذلك وفي مساعدات اخرى الى بلدان الشرق الأوسط بناءة وأفضل من تلك الطريقة الدقيقة في محاولة الحفاظ على ميزان التسلح .

فاشتراك الولايات المتحدة المباشر بدأ بكل نية وعزم في ديسمبر ١٩٥٥ عندما اجتمع مساعد وزير الخارجية هوفر وسفير بريطانيا لدى الولايات المتحدة ، السير روجر ماكنز والمستر يوجين بلاك رئيس البنك الدولي مع السيد عبد المنعم القيسوني وزير المالية المصرية لمناقشة المدى الذي تستطيع الدولتان الغربيتان والبنك الدولي على المساعدة .

كان جوهر الموضوع مساعدة أميركا وبريطانيا على تحمل نفقات العملة الأجنبية (الشراء الأولي للمعدات والمواد الخ .. من مصادر خارج مصر) أول مرحلة من العمل ، قدرت بين أربع أو خمس سنين . وقد تعهدنا الى مزيد من المساعدة عند إتمام المرحلة الاولى .

كان رد فعل الرئيس ناصر نحو هذا العرض مشجعاً . بعد إتمام صفقة الأسلحة خلق طابعاً بأنه يستطيع أن يلعب بالشرق ضد الغرب وذلك بتهديد كليهما . وقد صرح الكثير من هذا الى صحافي أميركي في أوائل نيسان ١٩٥٦ حين أكد له بأنه لم يزل يدرس عرضاً سوفياتياً لبناء سد أسوان .

كان هذا التهديد الابتزازي مسألة حساسة . لم يكن سد أسوان مشروعاً شائعاً بين الشعب الاميركي بصورة خصوصية في الكونغرس ، خصوصاً نظراً لنزعة عبد الناصر بالاتجاه نحو روسيا .

سيكلفني ويكلف فوستر دالاس كل ضغوطنا للحصول على موافقة الكونغرس في مساهمتنا، وكان لدينا متعة قليلة في معركة تشريعية من أجل دولة تتعامل مع روسيا ولقد أضاف عبد الناصر إلى إزعاجنا عندما أعلن أعترافه بالصين الشعبية في أواخر شهر مايو — أيار .

في أواسط شهر حزيران ، أصبحنا نشك بحكمة اشتراك الولايات المتحدة في مشروع سد أسوان . واستنتج وزير المالية جورج همفري بان المصريين يتمسكون في حق الاختيار في عرضنا فيما كانوا يتسوقون ليروا ما إذا كان في وسعهم الحصول على عرض أفضل من الروس . وأخذ يشك بقدرة المصريين على تحمل شراء كمية الأسلحة الكبيرة ودفع حصتهم على مشروع السد ومواجهة مدفوعات قروض للسد العالي عندما تستحق .

كان لدى فوستر دالاس فكرة ثانية خطيرة : نظراً للعبء الذي سيفرضه المشروع على الشعب المصري — فقد ابتدأ يرى بأن أي دولة تتورط في بناء السد سوف تصبح مكروهة لدى الشعب المصري .

على أية حال كنا نعتبر بان الولايات المتحدة ملزمة بنتيجة الى الاجتماع الذي عقد قبل ستة أشهر . وفي ٢٠ حزيران ذهب يوجين بلاك إلى القاهرة ليتحدث مع عبد الناصر .

في هذا الاجتماع ، قدم عبد الناصر الى بلاك سلسلة من الاقتراحات المضادة ، البعض منها لم يكن مقبولاً على الاطلاق لدى الممولين الثلاثة . وبعد ذلك توقفت المفاوضات .

عندما شرح فوستر اقتراحات عبد الناصر المضادة الغريبة التي قدمها ليوجين بلاك واستنتج كلانا بأن عبد الناصر لم يكن مهتماً حقيقة في مفاوضات جديدة على المشروع واعتبرنا المسألة ميتة .

وعندما انقضت أسابيع من غير ورود أي كلمة من عبد الناصر أصبحنا مقتنعين بصحة إشاعة العرض السوفياتي الذي قدمه وزير الخارجية شيبلوف أثناء زيارته

للقاهرة في منتصف شهر حزيران صحيحة الاحتمال . وردتنا تقارير اخرى عن اتفاق عبد الناصر لشراء المزيد من الاسلحة قيمتهـا مائتي مليون دولار من الشيوعيين – راهناً انتاج مصر من القطن – دعم اعتقادنا بان مصر لا تستطيع إيفاء حصتها في التمويل ضمن الشروط التي تقبلها .

في ١٣ تموز اخبرني فوستر ، انه قد حذر المصريين باننا ليس في مركز نستطيع فيه التعامل في هذه المسألة ، لأننا لا نستطيع التنبوء بالاجراءات التي سيتخذهـا الكونغرس . وقد تبدلت وجهة نظرنا من نتيجة هذا العمل وأخبر المصريين باننا سوف نستشيرهم في الاسبوع القادم .

لكن عبد الناصر أوصل المسألة الآن الى الذروة . ففي ١٩ تموز طلب السفير المصري من فوستر ، إصدار تعهد ضخم لمدة عشر سنين . فابلـغ فوستر السفير المصري ، ان الدول الغربية قد فسرت سكوت المصريين وعدم قبولها بمقترحاتهم المضادة كعدم الاهتمام بعرضنا ، ولهذا فانها تعتبر العرض مسحوباً .

لم يكن لديّ أي شك في صواب إلغاء عرضنا ، لكني كنت مهتماً ، نظراً لأحداث الاسابيع التي عقبت ذلك باننا قد اقترفنا خطئاً دبلوماسياً في الطريقة التي عالجنا فيها هذه القضية . بعد قليل من إبطالنا العرض قلت الكثير لفوستر دالاس، فأجاب خطياً :

سيدي الرئيس :

سألتني إذا كان انسحابنا من مشروع سد أسوان لن يعتبر « تسرعاً » .

لا أعتقد ذلك ، على الأقل ، فيما يتعلق بالمصريين . لقد تركنا المذكرة المصرية من غير جواب لبضعة أشهر ، ويعلم المصريون سبب ذلك تماماً . من خلال المحادثات الهاتفية ، علمنا ان الحكومة المصرية أدركت أن الجواب سيكون سلبياً .

كان هناك معارضة تصاعدية في الكونغرس . ولجنة الموازنة في مجلس الشيوخ أدرجت قراراً يقضي بعدم المساعدة في سد أسوان من غير موافقة اللجنة – هذا الفعل الذي يعد خرقاً للدستور لكنه يعكس موقف الكونغرس ، مما يجعل تمويل مشروع السد مستحيلاً . واذا لم أعلن عن انسحابنا في الحين الذي اعلنته ، لكان الكونغرس فرض علينا الانسحاب بالاجماع . في هذه الحالة نكون قد أبقينا على

بعض المرونة .

ان مصر بمسايرتها للاتحاد السوفياتي قد أدركت بانها عرضت مشاركتنا للخطر في هذا المشروع ، وقد حاول المصريون خدعنا حين تظاهروا لقبـــول العروض السوفياتية . النتيجة لم تكن في الحقيقة أي شيء في شكل « الصدفة » أو « مفاجأة » للمصريين .

١٥ أيلول ١٩٥٦ المخلص

جون فوستر دالاس

ربما لم يفاجأ عبد الناصر ، لكنه قام بفعل مقنع نحو العالم . حسب ما نشرت الصحف ان عندمـا تلقى عبد الناصر أخبـار انسحابنا من العرض ، اشتد غيظـاً ، وشن هجوماً قاسياً على الولايات المتحـدة في ٢٤ تموز . وفي ٢٦ تموز ، أعلن في خطاب دام ثلاث ساعات ، تأميم قناة السويس بكل ممتلكاتها وموجوداتها بحجة انها الوسيلة لتمويل سد أسوان . وقال بان شركة جديدة لقناة السويس سوف تشكل وتدار بإدارة المصريين ، وأن مصر ستدفع قيمة الممتلكات المحجوزة إن سلمت كل موجودات الشركة . وتولى إدارة مكاتب شركة القناة في مصر ، وفي اليوم التالي فرض القانون العسكري في منطقة القناة ، وحظر كل موظفي شركة قناة السويس ، بما فيهـم الاجانب من ترك وظائفهم ، مهدداً بسجن طويل الأمد لأي مخالفة .

كانت فرنسا وبريطانيا تشتبه بنوايا عبد الناصر ، وكانتا تعتبران قناة السويس رمزاً لمركزهما في كل الشرق الاوسط والعـالم العربي . لم تكن ردة الفعـل متوقعة حالاً ، لكنها كانت تتطلب منـا بذل الجهـد في الحؤول دون تطاير الغطاء .

❦

أكملت قناة السويس عـام ١٨٦٩ على أيدي المهندس الفرنسي دي ليبس ، وشركة بورصة دولية ، وللقناة تاريخ رائع .

عقد اجتماع لتقديم الحماية للقناة ووقعت عليه تسع دول في الاستانة . الدول الموقعة على المعاهدة كانت : بريطانيا العظمى ، المانيا ، النمسا ، المجر ، اسبانيا ،

فرنسا ، ايطاليا ، هولندا ، روسيا وتركيا – كانت مصر تحت الاحتلال التركي في ذلك الحين – في سنة ١٨٧٥ اشترى رئيس الوزراء البريطاني بنجامين ديزرائيلي حصة مصر في القناة فاصبحت بريطانيا تملك ٤٤ في المائة من الموجودات . وهكذا بينما لم تكن الشركة نفسها ولا القناة ملكاً لبريطانيا وحدها ، لكن البريطانيون كانوا يملكون الحصة الكبرى .

✽

سبّب تأميم القناة ذعراً في بريطانيا وفرنسا . في صباح الجمعة ٢٧ تموز جائتني رسالة من القائم باعمالنا في لندن ، كان قد حضر اجتماع في مجلس الوزراء البريطاني درس شرعية الوضع ، ثم قال بان البريطانيين غير راغبين أن يتقيدوا بالتقنية على ما يبدو .

كانوا يرون بان على الغرب إن يبتديء في الحال باتخاذ اجراءات اقتصادية ، سياسية وعسكرية مضادة . وأي لجوء الى الامم المتحدة في نظرهم سيكون المجازفة في إعاقة ردة فعلهم ، وهكذا يدعون الوضع يطول بحيث يقبل به العالم .

أذيع بان رئيس الوزراء البريطاني أنتوني إيدن كان يحبذ اجتماع طاريء بين اميركا وبريطانيا وفرنسا على مستوى وزاري . في هذا الحين ، استنفر البريطانيون قادتهم في البحر المتوسط بما يشير بان الحكومة تتوقع احتمال عملاً عسكرياً .

كان فوستر دالاس في أميركا اللاتينية . وعندما تحدثت هذا الخبر مع مساعد وزير الخارجية هربرت هوفر قال بانه يعتقد ان البريطانيين قد يضطرون بالتحرك خوفاً من ان التأخير سيكون له صدى غير مرض في جميع انحاء العالم على علاقاتهم مع البلدان الاخرى .

كان واضحاً ان استيلاء عبد الناصر على ممر المياه الدولي سوف يخلق مشاكل قانونية وسياسية واقتصادية كثيرة لعدد من الدول ، لأن القناة في الواقع كانت منفعة دولية عامة . تقريباً أي حكومة متأثرة تستطيع ايجاد بعض الأسباب المبررة لاتخاذ أي عمل تختاره مثلاً ، ان قرر البريطانيون في الحال استخدام القوة ، سيجدون تبرير هذا في رفض بريطانيا بالسماح لمواطنيها ، بما فيهم مرشدي شركة

قناة السويس بان يعيشوا في عبودية ، كالسجن الذي هددهم فيه عبد الناصر في حال تخلفهم عن وظائفهم .

كخطوتنا الاولى ، أشرت الى المستر هوفر بان يتحدى التهم التي رشق عبد الناصر اميركا فيها وأن يوضح بان مصلحة الأميركيين تكمن في إدارة القناة الكفيئة . وعلى ذلك ، دعى هوفر السفير المصري في الصباح التالي وعبر له في لهجة قوية عن عدم رضانا على اللهجة التي استعملها المصريون بشأن دور اميركا في القضية برمتها .

في نفس اليوم تلقيت تقريراً من السفير دوغلاس ديلون في باريس محولاً آراء الحكومة الفرنسية . كما كان متوقعاً ، اتخذت الحكومة دراسة مثيرة أكثر من البريطانيين . قارن وزير الخارجية بينو عمل عبد الناصر باستيلاء هتلر لأرض الراين منذ عشرين سنة من قبل . وقال بأن يجب على العرب أن يتخذ إجراءات سريعة وقوية والا ستجد اوروبا نفسها « متكلة كلياً على مشيئة الدول العربية » . عزم بينو على الذهاب إلى لندن وقال بان البريطانيين والفرنسيين يدرسون معاً المشكلة العسكرية التي تضمنت إعادة إحتلال القناة . وقال بانه يعتقد أن الأتحاد السوفياتي لن يتخذ أي عمل مضاد فعال .

أما وجهة نظر رئيس الوزراء البريطاني ايدن فقد ذكرت في برقية أرسلها الي . قال بانه لا يستطيع أن يتحمل السماح لعبد الناصر بالاستيلاء على إدارة القناة متحدياً الاتفاقيات الدولية . وقال بان مصالح اميركا متعلقة بمصالح بريطانيا ، وإذا اتخذنا موقفاً سنجد تأييد الدول البحرية . وأردف : إذا لم نفعل ذلك في الحال فإن نفوذ بريطانيا وأميركا في جميع المنطقة سوف تشوه سمعتهما بحيث يتعذر إصلاحهما .

كان يصر انتوني ايدن بالا نسمح لمصر بمصادرة القناة واستعمال ريعها لأغراض داخلية .

إن تفاؤل ايدن بشأن إمكانية الحصول على تايدنا كان مزعجاً . كان يرى باننا يجب أن نوجه ضغطاً سياسياً على مصر ، وقال بان يجب أن نكون على إستعداد كذريعة أخيرة ان نستخدم القوة . وقال بان البريطانيين على إستعداد للقيام بذلك . كان قد أشار إلى قادة السلاح البريطاني برسم خطة من أجل العمل العسكري . ثم

اقترح ايدن بعقد مؤتمر لوزراء خارجية الدول الغربية الثلاث .

ناقشت برقية ايدن في ذلك المساء مع مساعد وزارة الخارجيةهوفر وسكرتيري العسكري الكولونيل اندرو غود باستر . لم يكن هناك مشكلة بالنسبة لمؤتمر لندن المقترح . لكني لن اسمح لهوفر بالتغيب عن واشنطون لمدة غير معلومة بينما كان فوستر دالاس في اميركا الجنوبية ، غير إني وافقت بايفاد نائب مساعد وزارة الخارجية روبرت مرفي إلى لندن .

كانت لحظة حاسمة ، غير أن انتوني ايدن أكد لي بان البريطانيين لن يتدخلوا بالقوة ، ولن يتخذوا اي اجراءات صارمة نحو تلك الجهة إلا بعد وصول ممثلنا .

في الواقع لم أكن أنظر إلى الوضع بمقدار الخطورة التي كان ينظر إليها ايدن. على الأقل لم يكن هناك سبباً للرعب .

يقضي دستورنا بان الحكومة لا تستطيع ، طبعاً ، باستثناء الظروف الطارئة ، استخدام القوة العسكرية ضد دولة اخرى إلا بتفويض من الكونغرس . كاجراء احتياطي ، طلبت من المستر هوفر بان يعلن سراً الى زعماء الحزبين عن الوضع الخطير . وبالتالي كان عليه ان يخطرهم بانني قد اضطر إلى طلب اجتماع استثنائي للكونغرس . ثم اتصلت هاتفياً بنائب الرئيس رينشارد نيكسون ، وطلبت اليه بان يذكر إلى زميليه في مجلس الشيوخ ، زعيم الأغلبية ليندون جونسون وزعيم الأقلية وليم نولاند ، هذا الاحتمال ، وأن يعرض عليهما تزويدهما بجميع التطورات. في آخر النهار أرسلت برقية إلى انتوني إيدن :

« استلمت برقيتك ، لمواجهة الوضع الحالي . نبعث روبرت مرفي الى لندن وسيصل هناك أما يوم الأحد أو صباح الاثنين .. نرى بانه يجب استشارة اكبر عدد ممكن من الدول البحرية التي تاثرت باجراءات عبد الناصر في أمل الوصول الى اسس متفق عليها من التفاهم .. »

كانت مهمة مرفي الالحاح على تهدئة الأعصاب وعدم التشجيع على عمل مسلح ، بينما كنت اوافق بانه لن يصعب الاستيلاء وإدارة القناة في ذلك الحين ، لكن المسألة الحقيقية ستكون بان عملاً كهذا سيغيظ الرأي العام العالمي . أما إذا أسيء معاملة المواطنين العربيين ، فذلك سيبدل لون المشكلة ويبيح أي عمل ضروري يمكن اتخاذه . لكن في الوضع كما كان ، كُلف مرفي بان يعرض اعتقادي ان

أي عمل كاسح يتخذ ضد عبد الناصر ، بشان القناة ، يجب ألا يكون من قبل « نادي الثلاثة الكبار » يجب أن يؤخذ على مسؤولية كل الدول البحرية . بالاضافة إلى ذلك ، كنت أرغب تجنب حلفائنا ، وعلى الاخص فرنسا ، بربط عمل عبد الناصر إلى الصراع العربي — الاسرائيلي .

سافر مرفي ، وفي اليوم التالي ، ٢٩ تموز ، بعد خمسة ساعات من المحادثات مع وزير الخارجية البريطانية سلوين لويد ، ووزير الخارجية الفرنسية كريستيان بينو ، استطاع باقناعهما على الاعتدال . والبرقية الأولى التي أرسلها لي كانت مشجعة . كان مرفي ناجحاً لبعض الوقت ، بحث كلا الزعماء البريطانيين والفرنسيين على العدول عن فكرة استخدام القوة الفورية إلى أن يعرفوا نتيجة مؤتمر الدول المتاثرة .

لكن شعبي فرنسا وبريطانيا كانا على نقيض رسمي البلدين ، أخذ الشعبان يجهران استيائهما وغيظهما . وقد علت صيحات الهتاف في مجلس العموم ترحيباً بقرار إيدن عندما اعلن بان بريطانيا قد قطعت كل مساعدتها عن مصر . ثم أضاف بان بريطانيا لا تقبل أي ترتيبات لهذا الممر في المستقبل « طالما ان القناة ستبقى في إدارة واحدة » . في هذا الجو الحار بدأ المسؤولون الفرنسيون والبريطانيون يظهرون نفاد صبرهم من ضغط نفوذ الولايات المتحدة .

كنا نرغب في تعزيز علاقاتنا المستمرة مع أصدقائنا التقليديين بريطانيا وفرنسا . لكن بالنسبة لنا لم يكن الوضع سهلاً كما صورته هاتان الدولتان .

كانت الفذلكة الأساسية لقضيتهما انه وفقاً للقانون الدولي ليس لمصر الحق في خرق المعاهدة من جانب واحد . ثم انهم أكدوا ان استيلاء مصر لشركة القناة سوف يعطب مصالح الغرب ، خصوصاً فرنسا وبريطانيا لأن الادارة الكفيئة للقناة تتطلب موظفين مدربين ومحترفين ، وهذا ما لا يستطيع المصريون تقديمه . ثم ادّعوا ان الى جانب الاسباب السياسية والمالية واللاشرعية في استيلاء القناة ، فان الصعوبات الفنية ستكون كثيفة . هناك سبب آخر كنت أشتبه به وأعتقد بانه أقوى الأسباب الاخرى ، وهو الخوف من نفوذ عبد الناصر المتزايد إن استطاع تنفيذ خطته بنجاح في رأيهم ، فان نفوذه سيصبح هائلاً ، فيغدو ديكتاتوراً عربياً يسيطر على المتوسط .

اما وجهة نظري في هذا الشأن والتي وافق عليها وزير الخارجية ، لم تكن تختلف

عن وجهة نظر الفرنسيين والبريطانيـــين فيما يختص بالعواقب التي ستنجم عن اغلاق القناة نحو العالم ، وبوجه خاص العالم الغربي . فصلاً عن ذلك ، ان الشيء الأساسي الذي كنا نفكر فيه تماماً كما يفكر فيه حلفائنا كان الحاجة لدعم تعاوننـــا في كل مشاكلنا المشتركة . لكن في هذه الحالة ، الأسباب التي لدينا لمخالفة آراء حلفائنا كانت كما يلي :

كنا نشك في شرعية الموقف القانوني الذي كانت تستخدمه فرنسا وبريطانيـا كتبرير الحديث عن اللجوء الى القوة . ان وزن الرأي العام السالمي بدى بأن عبد الناصر كان ضمن حقوقه في تأميم شركة القناة . الجميع كانوا يعتبرون القناة بانهـا منفعة جوهرية لصالح العالم أكثر من مجرد قطعة تملكها دولة واحدة على كيفهـا . بالرغم من ان الممر المائي يعد ملكاً لشركة القناة ، لكنه ينبسط داخل الأراضي المصرية وتحت السيادة المصرية .

ان الحق المتأصل لأي دولة ذات سيادة باستعمال سلطتهـا في مصادرة الملكيـة الشخصية داخل أراضيها نادراً ما يُشك فيه ، شرط أن تدفع تعويضـات عادلة إلى أصحاب الملكية المصادرة . لذلك ، فالموضوع الرئيسي يكون مـا إذا كان بوسع عبد الناصر أن يبقي الممر المائي مفتوحاً أمام كل الدول وفقاً لمعاهدة الاستانة عام ١٨٨٨ . لا يمكن الاجابة على هذا السؤال إلا من خلال التجربة .

ثانياً ، إننا نعتقد بان اللجوء الى القوة في حل مسائل كهذه ، في هذه المرحلة ، لن يكون مبرراً وسوف يضعف أو ربما يحطم الامم المتحدة . ليس هناك اعتقاداً من جانبنا بان الامم المتحدة تستطيع ضرب عبد الناصر على معصمه وتعيد الوضـع الراهن في منطقة القناة . لكننا كنا مقتنعين انه حتى لو عقدت كل وسائل الامـم المتحدة الى حل مرضٍ إلى الجميـع ، فان استخدام القوة من قبل الغرب لن يكون عملاً عاقلاً .

في اتصالاتي الهاتفية وغيرها مع إيدن ، عبرت له تكراراً بان الحالة كما هي الآن لا تبرر اللجوء الى القوة .

قلت لأنتوني إيدن بأني أشك في صحة حجته بان لا أحد غير الاوروبيين الذين يديرون القناة حينئذٍ يستطيـع القيام بذلك . ثلاثون سنة من قبل كنت على معرفة شخصية بالادارة اليومية لقناة باناما ـ أصعب بكثير ميكانيكياً من قناة السويس ـ

ولم أستطع قبول القول بان كفاءة ذات مستوى عالٍ كانت لازمة في إدارة قناة السويس .

أيدني في هذا الرأي الأميرال آرليه بورك ، قائد العمليات البحرية الذي أشار بان المرور في قناة السويس لم يكن صعباً بالمقدار الذي يتخيله البعض . دُعمت وجهة نظري هذه من قبل شركات التأمين التي أعلنت أنها لن تستطيع إلغاء التأمين بمجرد ترك المرشدين الأوروبيين للقناة . و كررت بان هذه النقطة يمكن إثباتها فقط بالتجربة ، وقلت لأنتوني حتى ولو كان البريطانيون على صواب فان ذلك لن تعتبره الدول الصديقة أقل مما تعتبره الدول الاخرى بانه سبب شرعي بالاحتلال الفوري للقناة بالقوة .

كان من الصواب ايضاً ان اقترح لاصدقائنا البريطانيين بان خبرتهم البائسة منذ ١٩٥٢ إلى ما بعد في محاولة البقاء في قاعدة السويس الى وقت غير معلوم ، سيكون سيكون برهان لا جدوى فيه لأي جهد لإنشاء ودعم سيطرة أجنبية على جزء هام من مصر .

أن التجارب في الهند ، والهند الصينية ، والجزائر ايضاً ، أثبتت ان منذ تأسيس الامم المتحدة في سنة ١٩٤٥ ، استخدام القوة المسلحة في الاراضي الاجنبية لتعزيز سياسة ما ، كانت مهمة شاقة وباهظة الثمن . إلا اذا كانت دولة الاحتلال على استعداد لأن تعتمد استعمال قساوة الدكتاتورية ، فان الاضطرابات المحلية ستتطور إلى مقاومة عنيفة فتبدأ حرب عصابات فثورة فصراع شامل .

بالرغم من أن مرفي توصل إلى إقناع حلفائنا بالابتعاد عن إجراء عمل حربي خلال مؤتمر الدول البحرية ،لكنه سرعان ما شعر بالصعوبة في إقناع رئيس الوزراء بأن المؤتمر ينبغي أن يعقد في اليوم الأول أو الثاني من شهر آب .

في صباح الثلاثاء ٣١ تموز دخل فوستر دالاس الى مكتبي مع عدد من الآخرين، وكان قد وصل لتوه من أميركا اللاتينية . جاء ليناقش رسالة وردت من لندن عن عن احتمالات خطيرة جداً . أفادت الرسالة بان الحكومة البريطانية قد اتخذت قراراً حازماً ضد عبد الناصر ، وإنها ستقوم في أقرب وقت باتخاذ الاجراءات نحو هذا الهدف .

وقد خمّن البريطانيون بان ذلك سيستغرق ستة أسابيع كان يتطلب عملاً لا

نستطيع تأييده في الظروف الراهنة .

يصعب عليّ وصف مدى الأسف الذي كنت أشعر به في الحاجة الى اعتماد وجهة نظر تتعارض شكلاً ووجهة النظر البريطانية . فبعض الوزراء البريطانيين كانوا أصدقاء قدماء لي . في الحقيقة ، عدد منهم كانوا رفقاء لي في تلك الايام الدراماتيكية من الحرب العالمية الثانية ، وأيام الحلف الاطلسي . كنت أعجب بهؤلاء الرجال ، لكني كنت أرى أن في اتخاذ موقفنا كنا نقف بحزم على مبادىء القرن العشرين .

بالرغم من اعتقادي هذا ، كنت أتعاطف مع البريطانيين ومع ردة فعلهم ، على الأخص بشعورهم بانهم كانوا يقدمون المساعدات والتنازلات الى حكومات الشرق الاوسط التي لا تقدر ولا تعترف بالجميل حتى وصلوا إلى نقطة أحسوا فيها بانهم ، يجب أن ينالوا حقوقهم في لغة غير خاطئة . أعتقد بان فوستر دالاس الذي ذهب الى العاصمة البريطانية كان يعلم بشعوري وتعاطفي وأظن بانه كان يشاركني في ذلك أيضاً .

وهكذا ، عندما سافر فوستر إلى لندن في ٣١ تموز سلمته رسالة ليسلمها لرئيس الوزراء البريطاني . لم يكن شيئاً جديداً في الرسالة ، لكني أردت أن أعطي إيدن سجلاً خطياً عن العوامل الرئيسية المتعلقة بوجهة نظرنا .

*

في نفس اليوم ، أعلن عبد الناصر في القاهرة بان العلاقات التجارية العادية ستستمر مع بريطانيا إلا اذا حدث تدخل أجنبي . وذكر أيضاً بان حرية الملاحة في القناة لن تتأثر بالتأميم . لكنه حذر بان إذا حاول الغرب التدخل عسكرياً ، فسيحارب المصريون . وأعلن السيد خروتشوف في موسكو تأييده لعبد الناصر ، وعلى ذلك أجبنا أن إذا تحرك السوفيات إلى المنطقة المضطربة سيجدوننا إلى جانب حلفائنا .

لا شك في أن السوفيات لهم مصالح شرعية في إستعمال القناة ، لكن الاشارات كانت قوية إلى حد جعل تلك المصالح تفوق الطموح الروسي القديم في كسب وطئة قدم في الشرق الأوسط . نشاطهم في تطوير الغيظ والأضطراب بين العرب كان

معروفاً لدينا . إحدى هذه الخطط ، كانوا يظهرون بمظهر المساعد ، ويقدموا التأييد إلى الدول الصاعدة ضد الدول التي كانت تستعمرها . إحـــدى أدوار اميركا في هذه الأزمة ، كانت أن تعاكس الروس ولتبرهن بانهم لن يتوصلوا إلى شيء . بدون هذا النوع من المجابهة ، فمن المشكوك فيه أن المشاركة السوفياتية يمكن تحديدها إلى مناورة ديبلوماسية .

بعد وصول فوستر دالاس إلى لندن أبرق لي قائلاً بان كل شيء يسير على ما يرام في الوقت الحاضر . وأن فرنسا وبريطانيا لم تزالا عازمتان على التحرك إلى القناة إلاّ إذا تراجع عبد الناصر . لكن فوستر كان يعتقد بانه أقنعهما أن يبذلا الجهود لتعبئة الرأي العام العالمي في صالح حل دولي للمشكلة .

وصلت المحادثات إلى نهاية باتفاقية مشروع مؤتمر من أربع وعشرين دولة تجتمع في لندن في ١٦ آب بهدف إعادة السلطة الدولية على السويس .

عاد فوستر دالاس إلى واشنطون ، وأعلن للأمة بواسطة الاذاعة والتلفزيون ، ملخصاً موقفنا بدقة ، وأكد عن أملنا بالحل السلمي العادل لجميع الفرقاء . في نفس الوقت ، نشرت الصحف عن الاستعدادات العسكرية البريطانية . وأهم شيء كان المرسوم الملكي مفوضاً دعوة الاحتياط ، وتحميل ثلاث طائرات شاحنة بالذخيرة والوقود في ميناء بوربورتسموث البحري ، وإيفاد بضعة أسربة من قاذفات القنابل من طراز كانبيرا إلى مالطا . والأسطول الفرنسي في طولون كان يعد أيضاً للعمل . هذه الأشياء لم تفعل شيئاً لإيقاف الغليان .

رفضت مصر حضور المؤتمر المقترح على أساس الدعوة جاءت تحت تهديد السلاح والضغط الاقتصادي . ثم أمر عبد الناصر بنقل الاحتياط إلى منطقة قاعدة السويس، وندّد بالمؤتمر المذكور بانه « مؤتمر عـدوان » . أما ردود الدول الأخرى كان مشجعاً : عدد الدول التي وافقت على المؤتمر كان اثنان وعشرون . باستثناء مصر ، اليونان فقط ، حيث الرأي العام فيها كان مشتعلاً ضد بريطانيا بشأن قبرص ، رفضت الحضور .

في صباح ٨ آب قبل المؤتمر الصحفي المعد ، اتصل بي فوستر هاتفياً ، وقال بان السفير البريطاني السير روجر ماكنز كان مستاءً من الملاحظة التي ذكر وزير الحربية تشارلز ويلسرن قبل يوم بان قضية السويس لم تكن شيئاً بسيطاً بالنسبة

لبريطانيا وفرنسا والدول البحرية بما فيها الولايات المتحدة كان السويس كل شيء ، وطلبت الى وزير الحربية بألا يقلل من جديتها .

اذا كان البريطانيون والفرنسيون قلقين لأننا كنا ننظر إلى الوضع ببساطة ، فان تخوفهم ليس له إي أساس .

في اجتماع عقد في التاسع من آب ، شرح وزير الخارجية مفصلاً الخطة التي كنا قد أعدنا للمؤتمر القادم . ان هدف الولايات المتحدة ليس أن تسترجع شركة قناة السويس ، بل لإنشاء هيئة دولية لتدير القناة وفقاً لمعاهدة ١٨٨٨ ، هيئة كهذه ستكون لها إدارة أموال القناة . ستكون مصر ممثلة في الهيئة ، لكن من غير أن يكون لها إدارة عليها ، وستشارك في دخل القناة بسخاء .

قال فوستر ان قبول هذا البرنامج معرّض لسؤال خطير ، وأردف قائلاً : إذا كانت المسألة القناة بالذات ، فلن يكون هناك مشكلة ..

كانت وجهة نظري انه اذا كان عبد الناصر متغطرساً كلياً ، فالولايات المتحدة سوف تؤيد أي إجراءات مضادة . واستعمال القوة في الظروف القاسية سيصبح ضرورياً . في هذه الحالة عملية سريعة يجب ان تكون شديدة لكي تتم بنجاح من من غير أي تأخير — أي اتجاه آخر سيخلق مشاكل جديدة .

لكنني شددت أن إذا أثبت عبد الناصر (١) أن مصر تستطيع إدارة القناة . (٢) إذا أشار بانه ينوي التقيد بمعاهدة ١٨٨٨ ، حينئذٍ سيستحيل على الولايات المتحدة إيجاد مبرر حقيقي ، قانوني أو أدبي لاستخدام القوة . ثم أضفت : سيتبدل الوضع أساسياً في حال تعرض المواطنون الاميركيون الى السجن او إن هددت حياتهم بالخطر .

في هذه النقطة ، بعثت برسالة الى زعماء الحزبين طالباً منهم العودة الى واشنطون لمقابلتي يوم الاحد في ١٢ آب ، لأن المفاوضات مع عبد الناصر يمكن ان تنتهي بمعاهدة ، رأيت من الضروري أن يصطحب فوستر دالاس الى المؤتمر في لندن ممثلاً على مجلس الشيوخ عن كل حزب .

واجتمعت يوم الاحد بالزعماء التشريعيين الذين أتوا بالطائرة الى واشنطون كما طلبت . حصل بعض الصعوبات من الجانب الديموقراطي لأن مؤتمرهم القومي كان في مراحله التمهيدية . حضر الاجتماع إحدى عشر من مجلس الشيوخ وعلى

رأسهم جونسون ، ونولاند ، وجورج وراسل وألكسندر سميث ، وإحدى عشر من مجلس النواب الكونغرس يترأسهم سام رايبون ، جو مرتين ، تشالي هالك ، وأندز .

تحدثت عن السويس بتفاصيل عامة وعن آمالنا في مؤتمر الاثني وعشرين دولة في لندن . قدم آرثر فلمنغ مدير مكتب تعبئة الدفاع ملاحظة عن الوضع في عالم النفط باشارة خاصة إلى أزمة السويس التي ستتطور في الاقتصاد الاوروبي ان اقفلت القناة وإن قطعت قساطل النفط .

حدد وزير الخارجية وجهة نظرنا العامة فيما يتعلق بالظروف الراهنة ، وعما نزمع في المستقبل . ثم إنه لفت انتباهنا الى تحذيرنا للفرنسيين والبريطانيين باننا ليس على استعداد بتأييدهم على أي عمل غير ممكن تبريره أو أي عمل متهور . ثم قال فوستر بان الخطوة التالية بالنسبة لنا ستكون متقيدة بمواقف الدول المجتمعة في لندن . إذا قدم المؤتمر مشروعاً معقولاً الى عبد الناصر - وإذا رفضه - سيبدو واضحاً اننا سنكون في وضع نستطيع فيه تأييد البريطانيين والفرنسيين في إجراءات شديدة . جميع الموجودين في الاجتماع فهموا ان اجتماعنا كان للتشاور فقط .

بعد الاجتماع بقليل الغيت فكرة اشتراك ممثلي مجلس الشيوخ في مؤتمر لندن لأن ليس من ديمقراطي بين الموجودين استطاع الذهاب .

❦

افتتح مؤتمر لندن في ١٦ آب . كان المؤتمرون يبدون وكأنهم يلعبون لعبة « المكشوفة » - البوكر . في اليوم الاول ، حدد فوستر خطة الغرب بادارة دولية للقناة . في المساء اخبرني فوستر بان الوفدان السوفياتي والهندي لم يكشفا أوراقهما .

في اليوم التالي أثبتت حدساتنا فقد أتبع السوفيات خطاً بمناشدة الدول الآسيوية . وجوابهم للمقترحات الغربية كان : التأييد للتأميم ، حرمة السيادة ، وإزالة بقايا الاستعمار .

إحدى الخدع التي استعملها ديمتري شبيلوف كانت دعم وجهة النصر المصرية علانية ، بينما كان يعني في محادثاته الخاصة مع فوستر ، ان الروس كانوا عازمين على

المفاوضة من نوع ما من التدابير المقبولة المتبادلة مع الولايات المتحـــدة . والطابع الذي حاول إعطائه كان إن الروس يقبلون فرض إدارة دولية على مصر ، شريطة ان الخطة يجب أن تُعد وتُكتب في اسلوب لا يبعـد العرب عن الروس . ولمح شبيلوف بفقرة ثانية : مهما كان اتفاقنا فيجب أن يحمـــل مظهر عمل مزدوج من جانبنـا وجانبهم معـاً . كانت هذه محاولة صبيانية لفصل الولايات المتحدة عن حليفاتها .

في مساء السبت ٨ آب ، أخبرني فوستر ان المؤتمر قد أشرف على الانتهـاء من المناقشة العامة باستثناء السيد كريشنامينون المندوب الهندي الذي رفض الحديث . .

في هذا الحين ، عمل فوستر مع البريطانيين والفرنسيين على وضع مسودة مشروع محدد ، ثم بعث إليّ بالنص . خُصصت مقدمة المشروع بالعبارات التالية : « يجب ان يكون الحل الكافي من جهة ، احترام سيادة وحقوق مصر ، بما فيها حقوقها في تعويضات عادلة من استعمال القناة ، ومن جهة التقيد بمعاهدة قنـاة السويس الموقع عليها في ٢٩ تشرين الاول سنة ١٨٨٨

قمت بدراسة دقيقة للمشروع المقترح واستنتجت بأن إذا كان لعبد الناصر أي نزعة مهما كانت ، فإنه سيجد هذه الورقة مقبولة . أما حجر العثرة الرئيسي في هذه المسودة كما رأيت ، كان بإنجاز فقرة تصف مهمات « الهيئة » . ورد بان الهيئة ستقوم « بإدارة وصيانة وتطوير القناة » .

من وجهة نظر الولايات المتحدة ، رأيت بان كان على الهيئـة أن تقوم بدور إشرافي وليس بدور إداري شبيه بمجلس الادارة المسؤول عن العمـل اليـومي المتكون من هيئة تنفيذية عينها عبد الناصر بموافقة مجلس الادارة .

أعلمت فوستر عن موافقتي باستثناء تحفظ واحد وتمنيت عليه « ألا يحطم المؤتمر بسبب تمسك الجانبين بهذه النقطة بالذات » ثم قلت له بان الوثيقة تبدو صالحة في الغاية .

تلقيت جواب فوستر قبل السـاعة السابعة صباح يوم ٢٠ آب . يبدو أنه كان مزعوجاً فابرق :

يسود الشعور بـين معظم الدول بان إذا كان توظيف وطرد المرشدين ومدراء

السير وفنيين آخرين ومهندسين يعود للمصريين بدون أي حق الاستئناف ، حينئذ تستطيع مصر استخدام القناة كأداة سياستها القومية .

سوف يكون صعباً وربما مستحيلاً من موقف البريطانيين والفرنسيين للحصول على اتفاق الآن باتخاذ موقف يتضمن التخلي عن هذا المبدأ .

عند استلام رسالة فوستر ،قلت ثانياً بان الذي يقلقني هو اننا لا نستطيع السماح بالمفاوضات القادمة مع مصر إلى نقطة الانهيار على تفاصيل تدابير الادارة . لكني كنت أشعر بالدور الصعب الذي كان فوستر يملأه . فأكدت له بأنني سأوافق على أي قرار يمكن أن يتخذه نحو هذه النقطة .

كما تبين أن فوستر قرر بانه إن أراد الحصول على موافقة البريطانيين والفرنسيين سيكون مضطراً بملازمة النص الأساسي للمشروع .

ثم أنه وضع المشروع أمام مؤتمر لندن . قال شبيلوف بأن الاتحاد السوفياتي لن يستطيع القبول به . لكن إجابات الدول الأسوية كانت أفضل ما كنا نأمل ماعدا الهند ، حين قام كريشنامينون وقدم مشروعه ، الذي تجاهله معظم المؤتمرون .

أما الاقتراع على مشروع الولايات المتحدة كان مفاجئاً . في اليوم التالي كان يدنو المؤتمر إلى نهايته بفوز فوستر الذي أيدته الدول الأفر آسيوية ، الحبشة ، إيران باكستان ، تركيا . ببعض التعديلات القليلة وافقت هذه الدول الأربع بأن تقدم مشروع الولايات المتحدة بأنه مشروعها .

النتيجة كانت ثمانية عشر دولة من اولئك الحاضرين باستثناء الاتحاد السوفياتي والهند واندونيسيا وسيلان ، أيدت المشروع .

عينت ثمانية عشر دولة التي صوتت على المشروع الأميركي لجنة لنقل المشروع إلى عبد الناصر. كانت تتألف هذه اللجنة من مندوبين من اوستراليا والحبشة وإيران والسويد والولايات المتحدة برئاسة روبرت منزيس رئيس وزراء اوستراليا .

في اليوم التالي في ٢٤ آب مثل فوستر أمام مجلس الأمن القومي في البيت الأبيض وقدم تقريره . كان متفائلاً لكن كان هناك بعض لهجات التشاؤم عندما قال بأن البريطانيين والفرنسيين ساروا إلى جانب مشروعنا بتردد ربما لأنهم يعتقدون بأن عبد الناصر سيرفضه . وقد زاد تخوفه باقتراح البريطانيين والفرنسيين بأن ينبغي على

لجنة منزيس أن تقدم مشروعنا وبعد ذلك ترفض الاشتراك في المفاوضات . إن هذا التصرف لم يكن حسناً للمفاوضات القادمة .

وافق عبد الناصر بأن يتحدث مع لجنة منزيس ، لكنه كرر بان ليس في نيته قبول السيطرة الدولية على القناة .

كان عبد الناصر يبدي شعوراً غريباً نحو أي مسألة تتعلق بالقناة. ففي صباح يوم علمت أن المصريين أبدوا غيظهم على بعض العبارات التي استعملتها في مؤتمر صحفي، معبراً عن صداقتنا لمصر ، والتفاؤل بنتائج مؤتمر لندن و قبول عبد الناصر باستقبال لجنة منزيس . الكلمات التي احتج عليها المصريون ، كانت إشارة إلى القناة « بتدويلها وفقاً لمعاهدة ١٨٨٨ » .

في هذا الوقت كنا نتلقى تقاريراً تتعلق بالاستعدادات العسكرية البريطانية . إحدى التقارير المذهلة ان البريطانيين قد سمحوا للفرنسيين بوضع قوات على جزيرة قبرص . بدأت اتساءل الآن ما إذا كان البريطانيون والفرنسيون كانوا حقاً قلقين على نجاح أو فشل مهمة منزيس . مثلاً في نفس الوقت الذي كان سيبدأ رئيس وزراء اوستراليا ولجنته رحلته إلى مصر ، سمعنا الأخبار المزعجة بان الفرنسيين والبريطانيين أصدروا الأوامر باجلاء مواطنيهم من مصر ، والاردن وسوريا وحتى من لبنان .

أمرت حكومتنا بسرعة سفرائها في كلا من لندن وباريس بمقابلة المسؤولين في البلدين وإبلاغهم عن قلقنا . هذا الإجلاء لم يكن صادراً عن نية تريد الحل السلمي . يبدو ان السفير البريطاني في لبنان كان يشارك في القلق ، فطلب من حكومته بان تتجاهل أوامر الاجلاء على الأقل في لبنان ، لكن أخبار إلغاء الإجلاء أصبح معروفاً فقط بعد ان عقد منزيس أول اجتماع مع عبد الناصر .فأي عطب نفساني كان يخشى وقوعه ، قد وقع فعلاً .

كان الانشقاق بين الحكومة البريطانية وحكومتنا آخذاً في الخطورة إلى درجة فكرت بأن يجب أن أكتب إلى رئيس وزراء بريطانيا إيدن مرة ثانية . وعلى ذلك أرسلت إليه رسالة في ٢ أيلول . كان هدفي إزالة أي سوء منهم ممكن من تفكيره بالنسبة إلى ما تعتقده الحكومة الأميركية وشعبها .

عندما وصل منزيس ولجنته إلى القاهرة ، في نفس اليوم ، كان واضحاً أن بالرغم من الجو الودي الذي واجهوه ، فان موقف الحكومة المصرية لم يتغير .

كان عبد الناصر معتدلاً في تصرفــه ، ووزير خارجيته دبلوماسي محترف ، الدكتور محمود فوزي بدى ودياً طيلة الوقت . لكن عبد الناصر طلب أولاً أن تستغرق إجتماعاته مع اللجنة ليوم واحد ، لأنه كما قال بأنه مرتبط بأشياء أخرى . لم يفقد الكولونيل ناصر أي وقت في إفشاء أن « الأشياء الأخرى » كانت العقوبات الاقتصادية ضد مصر التي هدد بهـا ، والاستعدادات العسكرية من جانب فرنسا وبريطانيا .

بقيت بعثة منزيس في القاهرة لمدة اسبوع تحدثنا أثناءها مع عبد الناصر وتبادلت المذكرات . بينما وعد عبد الناصر أنه سيضمن حرية المرور من القنـــاة ، ويسهل متطلبات الملاحة ، وينشيء إدارة عادلة ، إلا أنـه لم يعط أي تنازلات على الفقرة الرئيسية من مشروع الثمانية عشر دولة : بعض السيطرة الدولية على القناة . سيبقى القناة كلياً في أيدي المصريين .

⁂

لقد أصبح واضحاً في لندن وواشنطون أن عبد الناصر سيرفض مشاريعنا . كتب لي أنتوني إيدن بهذا الخصوص منذ أيام قبل نهاية بعثة منزيس . ذهبت رسالة أنتوني إلى مدى التعبير عن قلق حكومته نحو طموح عبد الناصر ، وعن إعتقاد بريطانيا أن إستيلاءه للقناة شكلت الخطوة الأولى نحو منهاج مرسوم .

وقارن أساليب عبد الناصر بأساليب السوفيات . ووازن بين عـدم إستخدام ضغوط الحلفاء وصبرهم إلى النزاع السائد أثناء بروز هتلر عام ١٩٣٩ . وأكمل رسالته بملاحظة مزعجة ، فكتب قائلاً بأن خطة عبدالناصر تضمنت توسيع نفوذه يحتى يجعل من العالم الغربي كبش فداء . إذا كان ذلك فمهمة بريطانيا ستكون واضحة : «لقد قدنا أوروبا على القتال من أجل الحرية . ستكون نهاية لئيمة لتاريخنا الطويل إذا قبلنا بخنوع هلا كنا بالتدريج » .

في صباح الجمعة من ٧ أيلول دعيت فوستر لمناقشة هذه الرسالة . رأى فوستر بأن خوف إيدن من حرمانه من نفط الشرق الأوسط مبالغ به . من جهتي كنت أوافق على ما قاله إيدن ، لكنني كنت أخالف نزعته بتقديم أوروبا الغربية باختيارين ملحين . أما إستعمال القوة أو بالتوقف عن العمل .

كان إعتقادي بأن العالم الغربي لاقى كثيراً من الصعوبات في إختيار الأمر الذي سيكون قاسياً . أن إختيار موقف يكون فيه لعبد الناصر حقوق قانونية وحقوق السيادة حيث يكون الرأي العام العالمي كلياً إلى جانبه ، لم يكن في نظري صائباً لكي نتخذ موقفاً . وعلى ذلك ، أعدت رداً في هذا الشأن .

في المساء التالي ، اجتمعت مع فوستر في الطابق الثاني من البيت الأبيض لمناقشة نص رسالتي . كان إقتراح فوستر نافعاً ، بالإضافة لكونه مسلٍ . في الرسالة ادخلت الفقرة التالية :

« عملت حكومتكم لمدة ثمانية عشر سنة لوضع نابليون في مكانه الملائم وانكم تعملون بسرعة أكثر ضد المصريين » .

أشار فوستر إلى هذا المثل مبتسماً وقال بأنه قد يكون له تأثير مضاد للذي كنت أسعى إليه منذ ن نابليون قـــد أوقف عن العمل ليس بالسبل السلمية بل بالقوة . شطبت الفقرة وبعثت بالرسالة .

في ذلك المساء ، ناقشت مع فوستر مشروعاً مثل « جمعية المستعملين » كنا ندرس هذه الفكرة التي كنت ذكرتها باختصار في رسالتي إلى أنتوني .

كانت تعتبر فكرة جمعية المستعلين بانها توسيع رسمي لمجموعة الثمانية عشر دولة التي اتفقت في مؤتمر لندن في شهر آب على صيغة السيطرة الدولية على القناة (الصيغة التي كانت في تلك اللحظة قيد الرفض من قبل عبد الناصر) . كان المشروع مستنداً على إمكان حدوث شيء يخشاه البريطانيون عندما يترك المرشدون الغربيون الذين يبلغ عددهم مائة رجل ، فان فقدان هؤلاء الرجال الماهرين سوف ينجم عنه تعرقل المرور وشل اعمال القناة .

❖

في ١٤ أيلول ترك المرشدون وظائفهم في قناة السويس . في اليوم التالي بالذات ساعد المرشدون المصريون قافلة من ثلاثة عشر سفينة على المرور من القناة . كما تبين لم يكن الموظفون والعمال المصريين مؤهلين على إدارة القناة بل سرعان ما أثبتوا أنهم يستطيعون القيام بذلك في حالات ازدحام السفن وبقدرة عالية . ففي نهاية الاسبوع مرت ٢٥٤ سفينة بالقناة دون أدنى توقف في سير المرور . فالحجة

التي استندت إليها جمعية المستعملين أثبتت بان لا مبرر لها أبداً . وعلاوة على هذا، فأي فكرة باستعمال القوة في هذه الظروف هي سخيفة .

في الوقت الذي كان الجميع يسعون لايجاد حل مرض لمشكلة القناة ، كان إطلاق النار المتقطع يدور على الحدود العربية ـ الاسرائيلية . وفي ٢٣ ايلول وقع اصطدام أليم على طول الحدود الاردنية ـ الإسرائيلية قتل فيه عدد من الجنود من كلا الجانبين .

في هذه المرحلة ، قررت الحكومتان البريطانية والفرنسية نقل قضية السويس الى الامم المتحدة . وطالبتا الامم المتحدة دراسة أفعال الحكومـــة المصرية « على إزالة فكرة إدارة السويس من قبل هيئة دولية » .

في اليوم التالي ، قدم المصريون عريضة مضادة تطالب مجلس الامن إتخاذ الاجراءات « ضد بعض الدول وعلى الأخص بريطانيا وفرنسا ، الذي يشكل تصرفهما خطراً على السلام والأمن الدوليين » . وضعت الشكوايان بجدول أعمال المجلس في ٢٣ أيلول على أن تناقشان في ٥ تشرين الأول . صوّت على مذكرة بريطانيا وفرنسا ١١ مقابل لا شيء وعلى المذكرة المصرية ٧مقابل لا شيء ،وصوتت الولايات المتحدة إلى جانب المذكرتين . كان تصويتنا على المشروع المصري يبدو خطئاً في أول الأمر ، ولكن في ذلك الوقت وافقت على رأي وزارة الخارجية أن التصويت في صالح المشروعين سيكون برهاناً لعدم انحيازنا .

عند اقتراب موعد افتتاح المناقشات ، بدت علاقاتنا مع حليفتينا تظهر بعض علامات التوتر . ضوعفت الصعوبات نتيجة خوف الفرنسيين الذين كانوا يعبرون دائماً عن نفوذ عبد الناصر في شمال أفريقيا ، وأخذوا يلحون علينا إنه بصفتنا حلفاء لهم في أوروبا فاننا ملزمين بالوقوف إلى جانبهم في أي وضع يمكن أن يواجهوه في أي مكان من العالم . بما أن هذا هو الصحيح من حيث العاطفة والواقع ، لكنه لا يمكن تطبيقه في أي ظرف من الظروف . في هذه الحالة ، نقدر قيمة صداقتنا مع فرنسا ، ونرغب التعاضد مع حلفائنا الرئيسيين ، لكننا لا نستطيع تشجيع السيطرة اللامبررة على دولة صغيرة بواسطة جيوش أجنبية .

إحدى دلائل هذا الشقاق ، هو قرار فرنسا وبريطانيا أخذ مسألة القناة إلى الامم المتحدة . اتخذ القرار من غير علمنا . عندما ناقش سلوين لويد وكريستيان

بينو هذا الاحتمال مع دالاس أثناء مؤتمر لندن الثاني، لم يكن يعلم هذا الأخير أن قراراً قد اتخذ أو قد يتخذ من غير إستشارات أخرى .

لذلك فقد كان ثمة سؤال يدور في أفكاري : ماذا كان حقيقة هدف فرنسا وبريطانيا في الذهاب إلى الأمم المتحدة ؟ أكان رغبة مخلصة في المفاوضات على حل سلمي وعادل أم كان مجرد تحضير لاستخدام القوة في السويس في القريب العاجل ؟ لم نكن وحدنا نشتبه في ذلك ، بل عدة دول صديقة كانت منزعجة حقاً .

ارتفع قلقنا في صباح ٥ تشرين أول عندما اجتمع فوستر مع لويد وبينو في نيويورك . أخذ فوستر دالاس المبادرة بالاشارة إلى عدم وجود تفاهم حقيقي بين حكومتيهما وحكومتنا ، ثم سألهما عن سبب نقل مشكلة السويس إلى الامم المتحدة في هذا الوقت بالذات . أكان للحرب أم للسلم ؟ .

أجاب بينو ولويد أنهما في الحقيقة لم يعودا يثقا بوجود أي سبيل سلمي . وحثا على استخدام القوة بحجة أن في استسلام عبد الناصر يستطيع الغرب إعادة نفوذه في أفريقيا والشرق الأوسط .

عارضهما فوستر بشدة ، مشيراً إلى رسائلي الحديثة إلى إيدن عارضاً إعتقادنا أن أفريقيا ، والشرق الأوسط ، وآسيا سوف تهتاج ضد الغرب إذا نحن لجئنا إلى قوة السلاح من غير داع . بعد هذا الاجتماع ، أتى المسيو بول هنري سباك ، وزير خارجية بلجيكا وقابل فوستر وقال بأنه يعتقد أنها ستكون كارثة إذا فشلنا في إعطاء الأمم المتحدة فرصة حقة . وأضاف أن العالم بأسره سيدين ويندد ببريطانيا وفرنسا إذا أصبح معلناً بأنهما سيعتديان على مصر .

بدى الدكتور محمود فوزي صادقاً حين قال أنه قد يكون هناك ثمة أمل للمشاركة الدولية في إدارة القناة إذا وجدت الوسائل لتقديم المزيد من المال لمصر لكي تتمكن من إنماء القناة .

بالرغم من الشكوك في هذه المحادثات الخاصة ، فإن المشروع الذي قدمته فرنسا وبريطانيا مساء الخامس من تشرين أول سيلاقي تأييداً سلفاً مذ أنه يعتنق مباديء مؤتمر لندن الأول . لذلك ، بعد إجتماعه مع سلوين لويد و كريستيان بينو أعلن فوستر أن الولايات المتحدة عازمة على التصويت في صالح المشروع . كان يؤلف المشروع من ستة عشر فقرة — إفادة قضية الغرب . ويقترح بان ينصح مجلس الأمن

الحكومة المصرية على التعاون في العمل على وجود حل لمشكلة القناة على اساس مشروع الدول الثمانية عشر .

عند إفتتاح المناقشة بقليل ، بدى أن الوقوع في مازق كان أكيداً . فقد رفض الدكتور فوزي المشروع الأنغلو - فرنسي فوراً وأيده شبيلوف . ولم يصل هذا المشروع إلي التصويت مطلقاً .

بعد هذا الرفض ، أخذ فوستر يعمل من خلال طرق أخرى . في الأسبوع الأول من تشرين أول ، أقنع فرنسا وبريطانيا على مفاوضة المصريين سراً. واجتمع المصريون والفرنسيون والبريطانيون ، لكن لم ينتج عن ذلك شيء مثمر .

في هذا الوقت ، استلمت رسالة من أنتوني إيدن مرفقاً نسخة من رسالة استلمها حديثاً من بولغانين ونسخة من جوابه على رسالة بولغانين . فرديت عليه بهذه الكلمات :

عزيزي أنتوني ،

إسمح لي أن أشكرك على رسالتك التي تتضمن نسخة عن رسالة بولغانين . بالحقيقة انها رسالة كالحة وتحتوي على عبارات لا يتوقعها أحد من رئيس حكومة إلى رئيس حكومة ثانية . أخبرني فوستر أيضاً بأن شبيلوف قد القى خطاباً بذيئاً في الامم المتحدة الليلة الماضية . إن المشكلة قد تبقى بيننا مهما كانت نتائج محادثات نيويورك .

مع أحر التحيات

آيك

ملاحظة : سنحت لي الفرصة في المؤتمر الصحفي الذي عقدته صباح هذا اليوم بأن قلت كيف بريطانيا والبريطانيون يعنون بالنسبة الينا .

بعد نهاية اسبوع من العمل في الامم المتحدة ، كشف الامين العام داغ همرشولد ثمرات جهوده خلف الكواليس في شكل ورقة نوقشت وقبلت غير رسمياً من الجميع ، بما فيهم مصر . أصبحت تسمى هذه الورقة الهامة بـ « المبادىء الستة » هذه التي وافق عليها وزراء الخارجية ، مثلت نقطة تحول صلبة التي أسست عليها المفاوضات . لقد توصل الدبلوماسيون الى بعض التقدم .

١ — يجب ان يكون المرور من غير أي تمييز علني او خفي ..

٢ – يجب احترام سيادة مصر .

٣ – يجب ان تكون إدارة القناة معزولة عن سياسة أي بلد .

٤ – يجب ان تكون طريقة فرض الرسوم والتكاليف مقررة بالاتفاق بين مصر والمستعملين .

٥ – يجب ان يوزع جزء كبير من الرسوم على الانماء .

٦ – في حال الخلاف ، يجب أن تحل الامور المختلف عليها بين شركة القناة والحكومة المصرية بواسطة التحكيم .

أيدت فرنسا وبريطانيا المباديء الستة ، لكنها أصرتا بان المشكلة الأساسية لم تزل أمامنا : الانجاز . كيف ستعمل هذه المباديء ؟ من سيضمن هذه المباديء ؟ من الذي سيتولى التحكيم ؟ ماذا ستكون الرسوم ؟

وعلى الأثر ، قدمتا مشروعاً انكلو – فرنسي جديد ليحل محل الذي قدمتاه في ٢٦ ايلول والذي لم يصل الى مرحلة التصويت بعد . كان يتضمن هذا المشروع المباديء الستة ، ولكن لهجة حرب زحفت الى داخله حين لاحظت ان المباديء الستة تتفق ومشروع لندن الاول الذي رفضه عبد الناصر أثناء زيارة منزيس الى القاهرة . وتضمن المشروع أن أثناء الوصول إلى حل حاسم ، على جمعية المستعملين « التي كانت مؤهلة ان تتعاون مع السلطات المصرية – والعكس بالعكس »لضمان إدارة كفوءة للقناة ، ومرور مفتوح من القناة وفقاً لمعاهدة ١٨٨٨ .

استطعنا تأييد المباديء التي يتضمنها المشروع الفرنسي – البريطاني بسرور . وقد تحدث فوستر ببلاغة في صالح المشروع عند تقديمه في ١٣ تشرين الأول .

قابلني دالاس فيما بعد وأعلمني بأنه يعتقد ان المفاوضات ستستمر مباشرة بين مصر وبريطانيا وفرنسا بإشراف الأمين العام ، ومن المحتمل ان تستأنف خلال عشرة أيام . وقال بانه يرى ان مزيداً للمحادثات ستعقد في الامم المتحدة بنيويورك يوم الاثنين مذ ان داغ همرشولد ومحمود فوزي وسلوين لويد سيكونوا جميعاً هناك . كانت أخبار دالاس مشجعة .

وهكذا عندما دخلنا النصف الأخير من تشرين الأول كان الوضع الديبلوماسي يبدو متحسناً . فالمفاوضات التي عقبت ذلك بالرغم انها كانت شاقة لكنها قد أتت

ببعض النتائج ، وأوصلتنا الى نقطة حيث اتفق على : « مجلس عمل » ذو « إدارة تنفيذية » منبثق من جمعية المستعملين .

لكن كانت هناك غيوم مضطربة في الافق . فالاضطرابات وعدم الاستقرار في الاردن في اللحظة التي كان ملك الاردن الشاب ، الملك حسين ، يبذل الجهود للامساك بملكه .

في ١٤ تشرين الأول ، جاء فوستر وعدد من المساعدين لمقابلتي بشأن وضع جديد : ان الاسرائيليين ، — لثمة سبب لم نستطع فهمه — كانوا يعبئون أنفسهم . وان طائراتنا الاستكشافية التي تحلق في ارتفاع بعيد كشفت بان لاسرائيل ٦٠ طائرة ميستر فرنسية ، وليس اثني عشر كما أعلمنا الفرنسيون .

منذ هذا الوقت والى ما بعد ، اصابنا الشعور بالأسى باننا قد ابتعدنا عن حليفتينا .

كنا على اعتقاد بان بن غوريون كان يخطط للاستيلاء على بعض اراضي الاردن ومحتمل أن تكون الضفة الغربية من الاردن ، لان الكثيرين كانوا يرون ان هذا البلد كان يسيطر عليه التفرق . وعلاوة عن هذا ، كنا قد علمنا بان سفير اسرائيل إيبا إيبان كان يتهيأ للذهاب الى اسرائيل . وهذا أتاح لي الفرصة لأن أبعث برسالة شخصية أردت ان يستلمها بن غوريون مباشرة من سفره .

كنت وفوستر نتوقع بان بن غوريون ممكن ان يتوقع عملاً عسكرياً اثناء هذه الايام السابقة للانتخابات في الولايات المتحدة بسبب تقديره المتطرف لرغبتي تجنب إغاظة الناخبين اليهود . شددت على إزالة سوء الفهم من هذا النوع الذي قد يكون أصابه .

عند براح فوستر كتبت بعض الملاحظات . إنها تذكرني اليوم أن بالرغم ان مشكلة قناة السويس ونشاطها الدبلوماسي تأخذ الخطوط الكبرى الامامية ، فان مسألة الحدود العربية — الاسرائيلية لم تكن بعيدة عن أذهاننا ، وكل هذا كان يحدث في وقت كانت الولايات المتحدة بأسرها تقف على رؤوس أصابعها لانتخاب قادتها السياسيين .

بعد اسبوع ، صرح فوستر بأنه مرتبك في محاولته لفهم أهداف البريطانيين والفرنسيين الحقيقية ، وأنه يشتبه بانهم أنفسهم غير متأكدين من أهدافهم . وقال

ان من الممكن ان يكون أصدقاؤنا يحضنون فكرة باننا نسعى الى حل سلمي لقضية قناة السويس في باديء الامر لاجل أغراض انتخابية ، وقد نؤيدهم فيما بعد أما في حرب أو « عمل بوليسي » .

فكرت في إمكانية دعوة كل من انتوني إيدن وغي موليه للحضور الى واشنطون بعد الانتخابات . إن قبلت هذه الدعوة ، ستمهد الفرصة لتبادل صريح بوجهات النظر على أعلى مستوى بدون خطر تفسيرها ان هنا أم في الخارج بانها لعبة انتخاب. قررنا هذا في تشرين الثاني ، إن قبلت الدعوة

هنا وقفت الامور بينما كان العالم يدنو من الايام المصيرية لأواخر تشرين الاول عام ١٩٥٦ .

أيام عصيبة

كان يوم العشرين من شهر تشرين الأول بداية أشد ثلاثة أسابيع في فترة رئاستي ..

ان مسرحية تلك الاسابيع لم تزل جديدة في ذاكرتي الى درجة أستطيع تلاوة أحداثها الرئيسية وقراراتنا بدون توقف – لكن أفضل طريقة لمشاهدتها هي كيف حدثت في وقت واحد ، وامتزاج الحدث الكبير بالحدث الصغير . نادراً ما تستطيع الرئاسة تقديم كمالية معالجة مشكلة واحدة في نفس الوقت .

الاربعاء ٢٤ تشرين الأول

في الساعة ٢٧ و ٤ تلقت وزارة الخارجية من واشنطون الدريتش ، سفير الولايات المتحدة في بريطانيا ، في حفلة كوكتيل يوم أمس ، قال السفير ان احد الوزراء البريطانيين قد استقال من منصبه ليس لسبب صحي كما صرح ، لكن بسبب اعتقاده بان استخدام القوة من قبل بريطانيا ضد مصر سيكون خطئاً فادحاً .

عند الساعة الحادية عشر والنصف صباحاً أقبل دالاس إلي مكتبي ليناقش هذه الاخبارية معي . فكرنا مرة ثانية بدعوة ايدن وموليه إلى واشنطون في أواخر

تشرين الثاني لكنني شددت ان هذه الدعوة غير قائمة إن اتخذت بريطانيا وفرنسا إجراءات عسكرية ضد مصر .

الخميس ٢٤ تشرين الأول

أعلنت مصر وسوريا والاردن عن توقيع « حلف عمان » الذي يقتضي (١) انهم سيزيدون تعاونهم العسكري ، (٢) في حالة نشوب حرب مع اسرائيل سيضعون قواتهم المسلحة تحت أمر قائد مصري . قال بن غوريون ان هذا الحلف سيضع اسرائيل في « خطر مباشر فوري » .

الجمعة ٢٦ تشرين الأول

أخبر فوستر مجلس الأمن بأحداث الاردن الخطيرة ، وقال بان تلك الدولة الفتية يمكن أن تتفكك . ونتيجة لذلك ستكون حرب محتومة بين العرب وإسرائيل .

السبت ٢٧ تشرين الاول

وصلت تقارير تفيد بان تعبئة عسكرية على نطاق واسع تقوم في إسرائيل . اقترح فوستر بان اتصل مباشرة بالحكومة الاسرائيلية . في الساعة ٢٥، ١٢ بعثت وزارة الخارجية ببرقية تعبر عن قلقي « بخصوص التعبئة الضخمة من جانبكم . أكرر مناشدتكم .. ان لا تكون أي مبادرة من جانبكم تجعل وضع السلام في خطر » .

في الساعة الثالثة بعد الظهر ، اصطحبني طبيبي ، الجنرال سنيدر ، وتركت البيت الأبيض الى مستشفى « ولتر ريد » العسكري لإجراء فحوصات عامة - آخر فحص قبل الانتخابات بعشرة أيام .

أمرت اسرائيل تعبئة عامة لاحتياطها . كان أبا إيبان ، السفير الاسرائيلي لا يزل يكذب على وزارة الخارجية بان هذه التعبئة كانت لأغراض دفاعية وليس أكثر . لكننا في تلك اللحظة بالذات كنا نتلقى التقارير عن تزايد المخابرات والمراسلات اللاسلكية بين الاسرائيليين والفرنسيين . كنا واثقين بان لهذا حدث هام .

بينما كنت لم أزل في مستشفى ريد في الساعة الثالثة بعد الظهر ، أرسلت برقية

ثانية إلى بن غوريون ، جوهر الموضوع الذي جعلته معلناً : « تلقيت هذا الصباح تقاريراً إضافية تشير أن تعبئة القوات الإسرائيلية المساحة مستمرة وأصبحت تقريباً كاملة » . وألحت عليه « بالا تفعل شيئاً الذي قد يهدد السلام » . على أثر التعبئة الاسرائيلية ، أعلنت وزارة الخارجية « أن التعقل يقضي باتخاذ إجراءات بتخفيض عدد الاميركيين ، وخاصة القاصرين منهم ، في عدد من بلدان الشرق الأوسط ... والأشخاص الذين لا يقومون بأعمال جوهرية سيطلب إليهم بالرحيل إلى أن تتحسن الأوضاع » . هذا الفعل يعكس المدى الذي وصلت إليه أوضاع الشرق الأوسط لأننا منذ اسبوع فقط كنا قد عارضنا قراراً بريطانياً شبيهاً بهذا .

بعد إتمام الفحوصات الطبية ، أخبرني الأطباء بأن حالتي كانت ممتازة ، فعدت إلى البيت الأبيض .

الاثنين ٢٩ تشرين الأول

قدمت فرنسا شكوى إلى مجلس الأمن بأن سفينة اعترضت على ساحل الجزائر وكانت تحتوي على أسلحة وذخيرة لأكثر من الف وخمسماية رجل ، حملها المصريون في الاسكندرية وأصطحبها ستة جزائريين « الذين تدربوا على أساليب حرب العصابات في القاهرة » . وقال الفرنسيون بأن ربع كمية الأسلحة التي يحوز عليها الثوار تأتي من مصر .

*

في هذا الوقت كان جميع الاميركيين غير الجوهريين يجلون عن الأردن وسوريا ومصر وإسرائيل وفقاً لاشارة وزارة الخارجية . في السفارة الأميركية في عمان ، وقف السفير الأميركي ليستر مالوري مع موظفي السفارة يترقبون هجوماً إسرائيلياً على الأردن .

وقع الهجوم فعلاً ولكن على صحراء سيناء — ليس على الأردن بل على مصر . أنزل الاسرائيليون كتيبة من المظليين في ممرات جبل ميتلا على بعد أربعين ميلاً شرقي السويس . كانت قوات إسرائيلية أخرى تندفع في صحراء سيناء لدعم رجال المظلات . وقوات إسرائيلية أخرى تقدمت من الصحراء نحو الاسماعيلية . وقوة رابعة ضربت القاعدتين المصريتين في رفح والعريش قرب ساحل البحر المتوسط

وسدت قطاع غزة . وأخيراً نزلت قوة على غربي ساحل خليج العقبة واتجهت نحو شرم الشيخ في مناورة لحمل المصريين على فك الحصار أمام السفن الاسرائيلية من خلال الخليج . أثناء فترة الليل توغل الاسرائيليون خمسة وعشرين ميلاً داخل مصر، ووصلوا إلى نقطة تبعد خمسة وعشرين ميلاً شرقي السويس . ضد الخمسين الف جندي إسرائيلي ومائتي الف احتياط ، وبعض قاذفات القنابل النفاثة والمدفعية الثقيلة ، استطاع المصريون أن يحشدوا خمسة وسبعين الف جنـــدي وتسعين طائرة ميغ وخمسين قاذفة قنابل اليوشن .

وصلتني هذه الاخبار في أواخر النهار بينما كانت طائرتي تحط في مطار ريتشموند وقررت عدم إلغاء مقابلتي المقررة هناك .

في الساعة مساء عدت الى واشنطون حيث تلقيت مزيداً من التفاصيل من وزير الخارجية فوستر دالاس ، ومساعد وزير الخارجية هوفر ، ووزير الحربية ويلسون ومن الاميرال دادفور وغيرهم .

البعض منهم رأى ان الهجوم الاسرائيلي هو عمل جس نبض ، بينما اعتقد غيرهم انه عمل سريع لنقل القوات الاسرائيلية الى السويس خلال ثلاثة أيام على الاكثر ، وهذا يعني نهاية المشكلة . لم يوافق فوستر على أي من الرأيين فقال : « ان هذا أخطر بكثير .من الأرجح أن تعطل القناة وتُدمر قساطل النفط في الشرق الاوسط. إن حدثت هذه الأشياء فاننا نتوقع التدخل الانغلو ـ فرنسي . في الحقيقة يبدو انهم مستعدون لذلك وقد رتبوا عملهم مع إسرائيل ، مذكراً إننا منذ عشرة أيام لم نستلم أي خبر من البريطانيين والفرنسيين .

تحزر بعض المجتمعين بان فرنسا وبريطانيا قـد تحسبان ان الولايات المتحدة ستؤيداهما في عملهما بالرغم من انها لم توافق على هذه الاجراءات . لكننا لم نفكر في هذا الأمر . تعهدت الولايات المتحدة في اتفاقية ١٩٥٠ تأييد ضحية العدوان في الشرق الاوسط . فان السبيل المشرف الوحيد كان تنفيذ هذا التعهد . وأصدرت تصريحاً من البيت الأبيض عن عزم الولايات المتحدة فعل ذلك .

أثناء الاجتماع قررت بان نتصل هاتفياً بالمستر كولسون القائم بالأعمال البريطاني اثناء غياب السفير ، وطلبت إليه أن يحضر للبيت الابيض ، وأطلعته على ما نزمع اتخاذه .

في نهاية الاجتماع ، اجتمعت وإياه وفوستر والكولونل غودباستر ، فقلت :

« ان مركز الولايات المتحدة وبريطانيا متورط في مشكلة الشرق الاوسط . وأشعر بان على كل منا ان ينفذ تعهداته في تأييد ضحية العدوان . في الربيع الماضي رفضنا بيع السلاح الى مصر وإسرائيل ؛ وقلنا بان تعهدنا هذا كان كافياً . »

« في رأيي انه يجب على الولايات المتحدة وبريطانيا ان تلتزما بقولهما . نظراً للمعلومات التي وصلتنا بخصوص طائرات الميستير وعدد الرسائل بين باريس وإسرائيل في الأيام القليلة الماضية ، أستطيع ان أحسم القول بانني لست أدرك ما يريده الفرنسيون .

اعترضني كولسون قائلاً : لا أعلم شيئاً عن الرسائل .

فاستطردت قائلاً : إن دعت الحاجة لدعوة انعقاد الكونغرس لكي ننجز وعدنا ، سأفعل ذلك . إننا نتقيد بتعهداتنا .

فسأل كولسون قائلاً : أليس الأفضل أن تذهب الولايات المتحده الى الامم المتحده اولاً ؟

فأجبته : اننا سنصل الى الامم المتحده أول شيء في الصباح عندما تفتح الأبواب قبل أن يصلها الاتحاد السوفياتي .

في ذات الوقت بينما كان المستر ستفنسون يقوم بجولة سياسة في بوسطن اتهم الحكومة بان الضمانات التي قدمتها للشعب الاميركي بالنسبة للشرق الأوسط لم تكن صحيحة . ثم قال انه يعتقد باني لم أعلم ما كان يفعله فوستر دالاس ولا أعلم اخطاءه الفادحة . يسرني ان تفاصيل هذه المزاعم لم تتطلب انتباهي لايام طويلة

في القاهره قدم السفير الأميركي رسالتي الى عبد الناصر ، ملحاً عليه تجنب أي عمل قد يؤدي الى حرب واسعة النطاق .

كان الاسطول البريطاني في المتوسط يتحرك من مالطا نحو قبرص .

في هذه الليلة ٢٩ تشرين اول زارني بعض الجمهوريين البارزين وقالوا لي بان للمرة الاولى قد لا أفوز في الانتخاب .

سبب قولهم ذلك كان بسيطاً : لقد اقترفت اسرائيل عدواناً ليس بمقدورنا

قبوله . ربما قد يصبح ضرورياً للولايات المتحدة ان تستخدم قواتها المسلحة لطرد المعتدين الاسرائيليين الى ما وراء حدودهم . ان وقع ذلك فإن المسؤولية الكبرى ستقع على عقر بابي ، لأن الكثير من مواطنينا في الساحل الشرقي المرتبطين بالحركة الصهيونية قد يستطيعون التسبب بالهزيمة .

الثلاثاء ٣٠ تشرين الأول

في الساعة ٣٩و٤ في الصباح التالي ، استلمت برقية من بن غوريون جواباً على رسائلي وهذا نصها :

« بوجود القوات العراقية المحشودة على الحدود العراقية الاردنية وبانشاء القيادة المشتركة بين مصر وسوريا والاردن وبتزايد النفوذ المصري في الاردن ، وبتجديد هجمات الكومندوس المصري داخل إسرائيل ، فان حكومتي ستكون مهملة في مهماتها الجوهرية إن هي لم تتخذ كل الاجراءات الضرورية لضمانة أمنها »

إن التقارير التي كانت ترد في ذلك اليوم إلى وزارة الخارجية ، كانت تشير إلى الصعوبات المنطوية على مفارقة تاريخية في العمل على اتفـــاق بشأن القناة بين بريطانيا ، وفرنسا ، ومصر . ويقول أحد التقارير أن سلوين لويد حاول إقناع بينو على الحاجة في مزيد من المفاوضات نحو حل سلمي لمشكلة القناة . غير ان مجلس الوزراء الفرنسي كان متردداً على المفاوضات ، مفضلاً « إجراءات اقتصادية قوية » . وعدا عن هذا ، فقد اخبر الدكتور محمود فوزي سفيرنا في مصر ، ريموند آ . هير بأن مصر كانت عازمة على الاجتماع مع البريطانيين والفرنسيين بجنيف لولا مطالبيهم اللامعقولة . ثم اتهمهما بانهما تريدان أن تجعلا من جمعية المستعملين « اداة حرب اقتصادية مكرهة » .

بعد الساعة التاسعة من ذلك الصباح اجتمعت مع وزير الخارجية فوستر دالاس ومستشارين آخرين . الشيء الوحيد الذي كان يعكسه الاجتماع كان : عدم ايضاح فهمنا الى ما يدور في منطقة السويس بسبب عدم اتصالاتنا مع فرنسا وبريطانيا . كنا في ظلام عن الذي كانوا يهيؤوه .

قبل نهاية الاجتماع ، عند الساعة ١٥ و ١٠ تماماً بعثت ببرقية الى المستر ايدن طالباً مساعدته في « جلاء فهمي » بما كان يحدث بين الولايات المتحدة وحليفتيها الاوروبيتين ، بعد ان نوهت له عن الاستعدادات العسكرية والمساعدة الفرنسية

غير الشرعية ، قلت :

مساء أمس اجتمع سفيرنا في الأمم المتحدة مع سفيركم بيرسون ديكسون ليطلب إليه مشاركتنا في تقديم القضية إلى الأمم المتحدة هذا الصباح. وقد ذهلنا حين وجدنا أنه لم يكن متعاطفاً ، مبدياً صراحة أن حكومته لن توافق على إتخاذ أي عمل ضد إسرائيل. ثم قال أن التصريح الثلاثي في أيار ١٩٥٠ قديماً ولا يتسم بأي سريان مفعول راهن.

بغض النظر ما إذا كان التصريح الثلاثي قديماً أو حديثاً أو ساريًا المفعول أم لا ، فانني أرى بجدية أنه حين ينقض أحد الموقعين على إتفاقية أو ميثاق ، فمن اللياقة أن يعلم الفرقاء الآخرين. طالما أن الولايات المتحدة تستمر إعتبار التصريح بأنه يعكس سياسة وعزم الحكومات الثلاث . لم أصرح علانية أن ذلك يعكس سياستنا فحسب بل أن كل أفعالنا في الشرق الأوسط كانت تستند عليها ... لم نفكر في نكران ذلك التصريح كما أننا لا نفكر بذلك.

كل هذه التطورات وعواقبها الممكنة ، بما فيها توريطكم وتوريط الفرنسيين في حرب عربية شاملة يبدو لي بأنه سيترك حكومتكم وحكومتنا في حالة يائسة من الفوضى فيما يتعلق بالعمل الموحد والتفاهم المتبادل. صحيح أن مصر لم تطلب مساعدة حكومتنا رسمياً بعد . لكن الحقيقة أن إذا وجدت الأمم المتحدة إسرائيل بأنها معتدية ، فقد تستطيع مصر طلب المساعدة من الروس — حينئذ ستكون سمنة الشرق الأوسط في النار.

ومن أجل هذه الاحتمالات ، يبدو لي أن من الأهمية الأولى للمملكة المتحدة والولايات المتحدة أن تضعا وجهة نظرهما ونواياهما الحالية أمام بعضهما بعضاً ، وذلك إذا ما حدث شيئاً سنجد طريقة ما تتعلق بآرائنا وخططنا لكي لا نكون ، في الأزمة الحقيقية ، عاجزين حقاً على العمل معاً بسبب عدم تفاهم بعضنا بعضاً.

فيما كانت هذه البرقية في مرحلة الارسال ، أتت برقية من إيدن يقول فيها أن مصر قد ساهمت إلى مدى كبير على وقوع هذا الهجوم عليها ... لا نستطيع تحمل مشاهدة القناة مغلقاً ... ثم أضاف « يجب إتخاذ عمل ضارب في الحال لايقاف القتال » وقال بأنه يبرز الغزو الاسرائيلي.

عند الساعة ١٢،٩ أجبت على برقيته مكرراً اختلاف حكومتنا وحكومة

انكلترا على العدوان الثلاثي .

ولكن في ذلك الوقت سافر موليه وبينو إلى لندن – وهناك أصدرا قرارهما : سيبعث الفرنسيون والبريطانيون بإنذار إلى مصر وإسرائيل يأمرون من الجانبين الانسحاب إلى مسافة عشرة أميال من قنـــاة السويس وأن يسمحا باحتلال الموقع الرئيسي من قبل إنكلترا وفرنسا . وقد اتخذت انكلترا هـذا القرار من غير أي مشاورة ، حسب قول إيدن فيما بعد ، لأن في نجاح إسرائيل العسكري السريع وبالتدخل الأنكلو فرنسي خلال أربع وعشرين ساعة أو على الأكثر ثمانية وأربعون ساعة ، يستطيعون منع إنتشار الحرب إلى سوريا والأردن والعراق .

لكن أتت برقية أخرى ، هذه المرة من موليه ، فقال أن باتفاق مع انكلترا قررت فرنسا مناشدة المصريين واسرائيليين على وضع حد للقتال وأن يسحبا قواتهما إلى مسافة عشرة أميال من القناة. وأن يضمنا فعالية وقف إطلاق النار، ثم قال بأن فرنسا وبريطانيا ستتولى « إدارة القنـاة مؤقتاً » . وقال ان « هذا العمل تبرره الخبرة الطويلة في الفشل في احترام الاتفاقيات الدولية واستفزاز الدول العربية في الشرق الأوسط .

شعرت بأنه أراد أن يضيف رغبته في توقيعي على الانذار حين قال « إني على يقين من أن الإجراءات المشتركة بين بريطانيا وفرنسا ستلاقي موافقتكم وتأييداً منكم في سلطتكم العالية » .

كان موليه صريحاً عندما قال « إذا لم تبلغ حكومتكم بالتطورات الأخيرة ... فسبب ذلك يعود لخوفنا ان في حال مشاورتكم ستمنعوننا من التصرف »

في برقية إيدن الثانية ، وبعد تسليم مذكرتي الأنـــذار إلى السفيرين المصري والاسرائيلي ، أعلمني إيدن بالانذار ثم أنه عبر عن أمله قائلاً : « عندما تصفى الغبار ستتهيأ الفرصة لنعمل معاً عملاً بناءً » .

في نيويورك ، كانت الأمم المتحدة تنظر بمشروع قرار أعدته الولايات المتحدة تطلب فيه من جميع أعضاء الأمم المتحدة تجنب إستخدام القوة في الشرق الأوسط . عندما صوّت على المشروع ، استعملت فرنسا وبريطانيا الفيتو في حين أيد الاتحاد السوفياتي مشروع القرار . ثم أن بريطانيا وفرنسا استعملتا الفيتو ضد مشروع قرار

سوفياتي يطلب من إسرائيل الانسحاب إلى ما وراء خط وقف اطلاق النار .

عند الساعة ٤٥ و ٤ اتصلت هاتفياً بفورستر دالاس وقلت له بأني مدين بجواب لبرقية إيدن الثانية . وقلت له أن هذا التمرين يكاد يصبح « نوعاً من مبارزة إنشائية عبر الاطلسي » . وبعثت بتحذير إلى إيدن ومولیه وقلت :

علمت من الصحف عن إنذاركم إلى مصر بالتدخل عسكرياً واحتلال قواتكم لبورسعيد والاسماعيلية والسويس في منطقة القناة . أرى أنني يجب أن أعبر لكم عن قلقي العميق من جراء هذا العمل في الوقت الذي ينظر فيه مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة بالمسألة . إن إعتقادي الصريح أنه يجب أن تعم الوسائل السلمية لضمان قرار يعيد حالة الهدنة بين مصر وإسرائيل ويسوي النزاع مع مصر بشأن القناة .

ثم أصدر جيم هاغارتي بياناً للصحفيين وكان أخف لهجة بالنسبة لردة فعل الولايات المتحدة على الانذار الأنغلو بريطاني .

عندما علم إيدن أن محتويات برقيتي الأخيرة قد أعلنت للصحافة ، أبرق لي قائلاً بأنه رداً على ذلك سيكون « حراً في اعلان برقيتيه السابقتين » .

قبل ذلك بساعات أطلق إيدن خبر الإنذار إلى مجلس العموم وقال :

إذا لم يتوقف القتال فإن المرور الحر من القناة سيتعرض للخطر ...

إن حكومة صاحبة الجلالة ، والحكومة الفرنسية طلبتا من مصر وإسرائيل بوقف كل الأعمال الحربية حالاً .. وأن تسحبا قواتهم العسكرية إلى مسافة عشرة أميال من القناة ... وطلبنـــا من الحكومة المصرية أن توافق على تحرك القوات الأنغلو فرنسية داخل المراكز الهامة في القناة ... وإذا انقضت مدة الأثني عشر ساعة ولم ينصاع كلاهما أو أحدهما ، فإن القوات البريطانية والفرنسية ستتدخل في أية قوة تكون ضرورية .

إتهم نواب حزب العمال الحكومة بانها تستعمل العدوان الاسرائيلي كذريعة لاحتلال القناة . وفي المساء، بعد ساعتين من النقاش الحاد أعطى مجلس العموم إيدن تصويت تأييد ضئيل بالرغم من أغلبية نواب حزب المحافظين — كان التصويت ٢٧٠ ضد ٢١٨ .

الأربعاء ٣١ تشرين الأول

في فجر الأربعاء ، كانت القوات الاسرائيلية لم تزل تتقدم غرباً عبر سيناء .

في الساعة ٩٫٤٧ توقيت واشنطوان ، إتصل بي السناتور نولاند هاتفياً من كاليفورنيا وقال : « هل من الأمان لي أن أصعد الطائرة وأبتعد عن الهاتف لمدة ثلاث ساعات في حال اقرار دعوة الكونغرس للاجتماع ؟ » .

أجبته : « أجل ، ولكن استمر في الاتصال بي » .

فاستطرد قائلاً : « لقد صدمت من جراء حليفتينا » .

فقلت له : « أنني أشارككك الشعور ، ولكني أعتقد أننا لن ننتفع من مرارتنا من البريطانيين » .

في الساعة ١١٫٤٥ إتصل بي هاتفياً السفير كابوت لودج من الأمم المتحدة وقال أن هناك موافقة إجماعية وحماسية على السياسة التي إعتمدناها أمام الهيئة الدولية دعوة مصر وإسرائيل بوقف إطلاق النار ودعوة إسرائيل إلى الانسحاب إلى ما وراء خطوط الهدنة ، ودعوة جميع أعضاء الأمم المتحدة من تجنب إستخدام القوة ومنع المساعدة الحربية والاقتصادية والمادية عن إسرائيل إلى أن تطيع مشروع الأمم المتحدة هذا .

في هذا الوقت ، في مجلس العموم البريطاني ، واصل نواب حزب العمال شن هجومهم على الحكومة . ووصف هيوغيتسكيل ، زعيم حزب العمال مغامرة السويس بأنها « كارثة حمقاء » . وندد فيليب نويل باكر الحكومة لعدم إبلاغ الولايات المتحدة مسبقاً . مقابل كل هذه الحملة من قبل المعارضة قال إيدن أن الحكومة أرادت أن يكون العمل العسكري « مؤقتاً » . لكنه أصر بأن نيته « كانت لحماية القناة وتفرقة المتقاتلين وبالوصول إلى حل يمنع حدوث وضع كهذا في المستقبل » .

في واشنطون ، بعثت برقية أخرى إلى إيدن. لكنها لم ترسل لأن الحدث التالي سبقها ، غير أني أود ذكرها هنا كأدلة عن أفكاري في ذلك الوقت .

أهم المقاطع الآتية في البرقية كان : « لا بد لي أن أقول إنه يصعب عليّ إدراك أي نتيجة نهائية تنجم من مشروع يثير عداوة العالم العربي. من الصعوبة حقاً إدراك أي نهاية كانت إذا أخذ العرب في كل مكان يحذون حذو عرب شمال أفريقيا ضد الفرنسيين » .

ثم عند هبوط الغسق على مصر ، شن الطيران البريطاني من قاعدة قبرص غاراته

على القاهرة ، والاسكندرية ، وبور سعيد والاسماعيلية ضارباً المطارات والموانيء، وسكك الحديد ، ومراكز المواصلات ومحطـــة إذاعة صوت العرب في أبو زابل قرب القاهرة .

لم يواجه البريطانيون مقاومة جوية غير النيران المضادة للطائرات التي اطلقت من الارض . لكن في قناة السويس قرب بحـــيرة تمساح ، أغرق المصريون بسرعة سفينة يبلغ طولها ٣٢٠ قدم وتسمى « عكا » التي كانت قد حملت منذ أكثر من أكثر من شهرين من قبل بالترابة والصخور وسحبت الى المكان لترسل إلى القاع في حال الحاجة لذلك .

سُدت القناة ، . في الأيام التي عقبت ذلك بعث المصريون باثني وثلاثين سفينة إلى أرض القناة ولاموا البريطانيين على إغراقها .

الخميس اليوم الأول من تشرين الثاني

قطعت مصر علاقاتها الدبلوماسية مع بريطانيا وفرنسا . أمر عبد الناصر القوات المحتشدة في سيناء بالانسحاب من سيناء لمقاتلة البريطانيـــين والفرنسيين دفاعاً عن القناة .

في مجلس العموم قال إيدن بان بريطانيـا وفرنسا ترحبـان بإدارة دولية لمنطقة القناة ولكن ليس قبل أن توقف القوات المصرية والاسرائيلية القتال .

*

في الساعة التاسعة صباحاً اجتمعت في مكتبي مـع دالاس حيث راجعنا تطور الحالة في الشرق الاوسط في الأسابيع الماضية . كان حديث فوستر دالاس مجرد تخمين لأننا كنا منقطعين عملياً من الاتصال الدبلوماسي العادي مع كل من بريطانيـا وفرنسا ماعدا اتصالاتي الشخصية مع إيدن .

أشار فوستر الى الازدياد الضخم في السير الدبلوماسي بين فرنسا وإسرائيل . ثم قال : « عبثت إسرائيل وضربت . كنا نعتقد ان إسرائيل ستوجه ضربتها للاردن وليس لمصر . وقال : ان المعاهده الاردنية ـ البريطانية محتمـــل أن تكون قد حالت دون الهجوم على الاردن ، وجعل بريطانيا وفرنسا وإسرائيل ان تتفق على هجوم اسرائيلي ضد مصر ، واتفقوا بان يستخدم البريطانيون هذا الهجوم كعذر

لحماية القناة . واستطرد قائلاً : محتمل أن تكون هذه التحركات مدبرة .

نظم الفرنسيون الخطة وقبل بها البريطانيون ،وزودت فرنسا إسرائيل بالأسلحة في الخفاء ، ويعد ذلك خرقاً لاتفاقية ١٩٥٠ .

وقال ان قوانين الامم المتحده تقضي أن إذا ما استعمل الفيتو ضد اجراءات مجلس الأمن ،فباستطاعة الجمعية العامة الاجتماع خلال ٢٤ ساعة . وبإمكان الجمعية العامة ان تجتمع في ذلك النهار الساعة الخامسة .

لا نستطيع السماح للروس بتزعم النضال ضد استخدام القوة في الشرق الأوسط وبذلك يكونوا قد كسبوا ثقة الدول الحديثة الاستقلال في العالم . لكني من جهة اخرى لم أكن أريد التنديد ببريطانيا وفرنسا ووصفهما بالاعتداء . لذلك رغبت الى دالاس ان يكتب بيانين : إعلان بتعليق كل مساعدتنا العسكرية والاقتصادية الى إسرائيل ، ومشروع قرار معتدل لتقديمه الى الجمعية العامة بغية مواجهة مشروع قرار سوفياتي .

في الساعة ١٠ و ١١ اتصل بي فوستر هاتفياً وقرأ مسودة البيان بصدد عقوباتنا ضد إسرائيل . وافقت على البيان وطلبت منه ان يرسل نص مشروعنا إلى كابوت لودج في الحال لكي يستطيع الحصول على تأييد المشروع قبل عرضه .

ينص المشروع بوقف إطلاق النار حالاً ، وبانسحاب القوات إلى ما وراء خطوط الهدنة . وحظر على كل شحنات السلاح الى منطقة القتال . وعمل على فتح القناة .

الجمعة الثاني من تشرين الثاني

وافقت الجمعية العامة في صباح يوم الجمعة على مشروع قرار الولايات المتحده بـ ٦٤ صوتاً . وعارض المشروع كل من بريطانيا وفرنسا واوستراليا ونيوزيلندا وإسرائيل . وتغيبت كل من كندا وجنوب أفريقيا ، وكل من بلجيكا ولاوس والبرتغال .

قدم ليستر بيرسون من كندا مشروع شرطة دولية الذي ساعد الامم المتحده

على الوصول إلى زاوية الحل .

في هذا الوقت كان الطيران المصري قد عطل عن العمل . وقالت لندن أن مائة طائرة مصرية قد دمّرت . وأعلنت إسرائيل إحتلالها لسيناء وقطاع غزة .

السبت الثالث من تشرين الاول

في هـــذا اليوم نسف السوريون أنابيب النفط التي تمر في بلادهم من العراق إلى البحر المتوسط .

في لندن رفض أنتوني إيدن مشروع الامم المتحدة لوقف إطلاق النار ، لكنه أضاف أن البريطانيين والفرنسيين سيوقفون إطلاق النار عندما (١) توافق مصر وإسرائيل على قوة الامم المتحدة للمحافظة على السلام ، (٢) حتى توافـــق الامم المتحدة على أبقاء قوات تابعة لها إلى أن يتوصل العرب إلى حل سلمي مع إسرائيل إلى جانب « إتفاقية عادلة » بشأن القنـاة و (٣) أن توافق مصر وإسرائيل على قبول عدد من القوات الفرنسية والبريطانية على الاراضي المصرية إلى أن تنشأ قوات تابعة للامم المتحدة .

وجهة نظر الديمقراطيين بالازمة

كان إستس كيفوفر لم يزل يقود حملته الانتخابية وأدعى بأنـه شاهد جذور الازمة كلها « في إنهماك الولايات المتحـدة بالنفط » . وعبرت المسز روزفلت عن رأيها وقالت أن إسرائيل قـد تصرفت « دفاعاً عن النفس » وأن الحكومة قد أكرمت العرب . بعد فشل السياسة الاميركية ، ماذا تبقى لفرنسا وبريطانيا أن تفعلا غير التحرك ؟ تساءلت المسز روزفلت .

فقدت كل التعليقات أهميتها بالنسبة لي عندما وردت الانباء بأن وزير الخارجية دالاس قد أدخل لتوّه إلى مستشفى ريد العسكري لاجراء عملية طارئة .

الاحد الرابع من تشرين الاول

في هذا اليوم كانت إسرائيل قد احتلت كل سيناء تقريباً وكل قطاع غزة . واستولت على تيران وسانقار في خليج العقبة التي تستخدمه مصر لسد ميناء إيلات الاسرائيلية .

لم تكن القوات الارضية الفرنسية والبريطانية قد دخلت المعركة بعد . اقترب

من السواحل المصرية الاسطول الفرنسي والبريطاني مائـة سفينة حربية وناقلات جنود . بالرغم ان الامم المتحدة قد اعتمدت كلا المشروعين ، الكندي الذي يطلب بإنشاء قوة من الامم المتحدة خلال ثمانية وأربعين ساعـة ، والمشروع الافرو – آسيوي الذي يدعو الامين العام للامم المتحدة بتدبير وقف إطلاق النار خلال إثني عشر ساعة ، وبالرغم أن مصر أعلنت قبولها بمشروع وقف إطلاق النار الذي صدر في الثاني من نوفمبر – تشرين الثاني ، فقـد أعلن أنتوني إيدن رفضه بتأجيل غزوه فقال لي في برقيته الاخـيرة : « إذا انسحبنا الآن ، كل شيء سيشتعل في الشرق الاوسط . . لا نستطيـع القبول بخواء عسكري ريثما تتألف قوة تابعة للامم المتحدة»

ذلك المساء في ساحة ترافالغر في لندن ، حشد حزب العمال إجتماعـاً شعبياً ضخماً مطالباً باستقالة إيدن .

الاثنين الخامس من تشرين الثاني

في الساعة الثامنة صباحـــاً قفز المظليون البريطانيون على مطار جميل ، غربي بورسعيد من قناة السويس ، وقفز خمسماية مظلي فرنسي جنوبي بورسعيد .

أثناء الظهر ، واصل البريطانيون الفرنسيون نزولهم . في الساعة السابعة مساء وافق حاكم بور سعيد على الاستسلام .

بعد برهة بعث بولغانين برسائل إلى إيدن وموليه وبن غوريون وقال لهم إن الاتحاد السوفياتي على إستعداد لاستعمال القوة لضرب المعتدين وإعـادة السلام . وحذر أن إنتشار الحرب قد يؤدي إلى حرب عالمية ثالثة .

في الساعة الثامنة والنصف تراجع حاكم بور سعيد عن قراره الاول وقال بان القتال سيستمر .

في نفس الوقت كتب بولغانين إليّ مقترحاً ان تشترك أميركا مع الاتحاد السوفياتي بدخول قواتهما الى مصر وتضع نهاية للقتـــال ، وقال : إذا لم تتوقف الحرب فقد يتطور الى حرب عالمية ثالثة .

الثلاثاء السادس من تشرين الثاني

كان هذا يوم الانتخابات . انتهى دور إسرائيل في القتال ، ولكن في ساعات الصباح الأوائل كانت تنزل في بورسعيد قوة بريطانية من مالطا . ونزل الكومندوس الفرنسيين في بور فؤاد دون أن يواجهوا مقاومة .

في واشنطون في اجتماع بدأ الساعة ٣٧، ٨ أطلعني آلن دالاس على تقرير من من المخابرات بان الروس قد وعدوا المصريين بانهم سيفعلون شيئاً ما في الشرق الاوسط . توقعنا أنهم سيرسلون طائرات مقاتلة إلى مصر ، وطلبت من آلن دالاس بارسال طائرات استكشاف التي تحلق على ارتفاع عال وأن تحلق فوق سوريا واسرائيل لترى ما إذا كان الطيارون الروس والطائرات السوفياتية قد نزلوا في القواعد السورية .

في أواخر النهار ، ذهبت وزوجتي الى غتبزبرغ لنقترع .

رجعت حوالي الظهر الى واشنطون بالهليكوبتر . قابلني غودباستر في المطار وراجعنا التطورات الهامة في طريقنا إلى البيت الأبيض – بوجه خاص احتمال وقف إطلاق النار ، وتقارير المخابرات التي وردتنا أثناء النهار بان طائرة نفاثة مجهولة الهوية حلقت فوق تركيا .

في اجتماع طارىء في البيت الأبيض ، قال الأميرال رادفورد ان قادة الجيش المختلفة كانوا يراجعون حالة استعدادنا العسكرية وانجزت الاجراءات لتحسينها .

في هذا الوقت كانت القوات البريطانية تصل « الكاب » على بعد ثلاثة وعشرين ميلاً جنوباً من بور سعيد وأعلنوا انهم والقوات الفرنسية يسيطرون على منطقة القناة . في نفس اللحظة التي كنا مجتمعين فيها في البيت الأبيض أمر البريطانيون قواتهم بوقف إطلاق النار على أن ينفذ عند منتصف الليل شرط ألا يهاجم المصريون .

أثناء اجتماع الظهر اتصلت هاتفياً بأنتوني إيدن وقلت له بأني مطمئناً لتمكنه من إصدار أمر بوقف إطلاق النار . أجاب بان القرار يتضمن بعض المجازفة ، لكنه قال بانه يرى ان الوضع يبرر ذلك .

فقلت له : آمل ان تتعاون مع الامم المتحدة الآن من غير فرض أي شروط . أعتقد بان ذلك سيكون أفضل طريقة لكي نمنع روسيا من ايجاد فرصة لخلق الاضطرابات . تقوم الامم باستعداد من أجل حشد قوة تتولى المحافظة على السلام .

أشار أنتوني بأنه ينبغي ان يكون حجم تلك القوة كبيراً نسبياً ، ثم أضاف : أرجو أن تكونوا أنتم هناك أيضاً .

فأجبته : أود أن لا يكون أي من الدول الكبرى هناك . لأن إذا قدمت أي من الدول الكبرى كتيبتين ، فان الاتحاد السوفياتي سيقدم أكثر من ذلك . وقلت لأنتوني بان ينبغي وضع المسألة بتصرف همرشولد .

وقلت له ان إذا قام أحد بتحرك عدواني فان ذلك سيكون تحدياً للامم المتحدة بأسرها . وأرجو أن لا يكون لدى أحد تلك الفكرة .

طلب إيدن بعض الوقت ليتسنى له التفكير بهذا الاقتراح ، ثم قال :

« إذا بقيت في منصبي الليلة فسأطلبك نهار غد . ثم أشار إلى الانتخابات الاميركية وقال : كيف حال كل شيء معكم ؟

ولما كنا نعطي تفكيرنا إلى هنغاريا والشرق الأوسط ، قلت له : لا أبالي البتة في الانتخابات ، لكني أضمن انها ستكون على ما يرام .

في ذلك اليوم تكلم معي بالهاتف رئيس وزراء كندا ، سانت لورنت ، فقلت له : ان الامور مشجعة تماماً . لم يسبق لي أن لقيت عملاً من جانب حكومتكم أشد إثارة من الطريقة السريعة التي تحركتم بها بمشروعكم الذي يقضي بانشاء قوة تابعة للامم المتحدة بالذهاب إلى السويس . لقد أديتم عملاً رائعاً ونقدره .

الاربعاء ٧ تشرين الثاني

عند الساعة الثانية صباحاً توقيت القاهرة ، انتهى القتال في الشرق الاوسط .

بعد بضعة دقائق كنت أقف أمام جمهور كبير يصيح مبتهجاً بفوز لائحة الجمهوريين .

*

في الساعة ٣٠ و ٨ صباحاً توقيت واشنطون ، اتصل بي إيدن بالهاتف .

اثناء سير المحادثة ، ناقشنا احتمال بعض التحركات السوفياتيــة المريبة . وفي جواب على اقتراح ، قلت اني سأكون مسروراً لأن اجتمع مع ايدن ومولیه في نيويورك . بالرغم من إصرارنا الطويل الأمد ضد استخدام القوة من غير إرهاق كل إمكانية لحل مشكلة السويس بالوسائل السلمية ، أضفت قائلاً : إن خلافنا (على السويس) ليس إلا مشاحنة عائلية . طلبت من إيدن بان يحدث موليه ويعلمه . بعد إغلاق الهاتف ، اتصلت هاتفياً بمساعد وزارة الخارجيـة هوفر وطلبت منـه أن

يعلن بان إيدن وموليه عزما «على الطيران ذلك المساء» .

في هذا الوقت ، أبدى بعض معاونيّ قلقهم أن اجتماعاً فورياً من رؤساء حكومات بريطانيا وفرنسا وأميركا سيكون له تأثير سيء على جهود همرشولد في إعادة السلام الى الشرق الاوسط ، التي نرتبط بها بكل صدق . وقال هوفر بان العرب قد يتحولون ضدنا إذا اعتقدوا اننا الآن نبدو وكأننا نؤيد العمل البريطاني الفرنسي في منطقة قناة السويس . وأشار عليّ جميع مساعديّ تقريبا بالاجماع على إرجاء الاجتماع . بالرغم انني كنت أشعر بخيبة أمل في فقد هذه الفرصة لمحادثة إيدن وموليه صراحة ، فقد قبلت توصية مساعديّ .

على أية حال ، فقد اتصلت للمرة الثانية مع إيدن في الساعة ٢٧ و ١٠ لأقول له بأن ينبغي تأجيل اجتماعنا ، وأخبرته بما أشار به مستشاريّ ، ثم ذكرت نقطة أخرى اقنعتني بحكمة التأجيل :

« بالرغم اني قد فزت الليلة الماضية ، لكننا ليس مثلكم ، فقد خسرنا كلا مجلسي الكونغرس . لذلك عليّ أن أتماشى وزعماء مجلس الشيوخ الآن . ولقد دعوناهم ، وسيكونوا هنا يوم الجمعة أو السبت وعليّ أن اجتمع بهم ... عليّ أن أحملهم على مساندة كل شيء نتفق عليه . ولن يكون الكونغرس منعقداً قبل ٦ كانون الثاني » .

لا بد من إشعار زعماء الكونغرس واستشارتهم قبل أن نورط أنفسنا بأي نوع من منهاج يتطلب فيما بعد عملاً تشريعياً .

وأنهيت كلامي قائلاً : أنا في أشد الحاجة للتحدث معك ومع موليه عن مستقبلنا . لكني أعتقد ، إنه وفقاً لما قاله مستشاريّ فينبغي إرجاء الاجتماع قليلاً . آسف ... » .

بعد المخابرة الهاتفية أبرق إيدن قائلاً : أرجو ان نجتمع في المستقبل القريب . اوافق شرط ان تُنفذ قررات الامم المتحدة اولاً .

في الساعة ١٠ و ١١ ذهبت الى مستشفى «ولتر ريد» لمحادثة دالاس الذي كان يتشافى من عمليته ، وأبلغته إرجاء الاجتماع بايدن ، وقلت له : عندما يأتي إيدن سيتحدث عما سيفعله الدب وعما سنفعله في وجه الأعمال الروسية . ليس هناك أي داع لمناهضة البريطانيين . ان الذي نحتاج إليه الآن هو أن نستعد لأي عمل يمكن

اتخاذه إذا دخلت روسيا الشرق الأوسط بينما تكون القوات البريطانية والفرنسية والاسرائيلية لم تزل هناك . ثم أننا نحتاج إلى جهد استخبارات انكلو - اميركية متناسقة في منطقة الشرق الاوسط .

إسرائيل ترفض الانصياع

في ذلك اليوم تلقيت تقاريراً مفادهـــا ان بن غوريون قد رفض أمر الامم المتحدة بانسحاب القوات الاسرائيلية من سيناء وقطاع غزة والسماح لقوات الامم المتحدة بالدخول . أبرقت لبن غوريون ملحاً عليه بأن ينفذ قرار الامم المتحدة ، وأعلمته بان الولايات المتحدة تنظر الى رفض إسرائيل بالانسحاب بقلق عميق .

الخميس ٨ تشرين الثاني

اسرائيل توافق على الانسحاب

بعد اجتماعه بمجلس وزرائه لمدة تسع ساعات ، اعلن بن غوريون ان اسرائيل ستنسحب من مصر في الحال بعد وصول قوة من الامم المتحدة .

نتائج معركة السويس

ذكر انتوني إيدن فيما بعـد ان بريطانيـا وفرنسا انزلتـا اثني وعشرين الف جندي في مصر ، وان ستة عشر جندياً بريطانياً قتلوا وتسعة وتسعين جرحـوا ، وقتل عشرة من الفرنسيين وجرح ثلاثة وثلاثون . وقتل نحو من الف مصري،ومائتي إسرائيلي قتلوا في المعركة . كانت قناة السويس قد سدت تماماً بالسفن الغارقـة . ونسفت قساطل النفط في العراق وثلاث محطات ضخ دمرت .

*

بعد الأيام التي عقبت وقف إطلاق النار مباشرة ، هدد الاتحاد السوفياتي بارسال متطوعين إلى مصر ، وكنا قد حذرنا بمواقب ذلك .

في الحادي عشر من تشرين الثـاني ، كتبت رسالة إلى بولغانين جواباً على رسالته في ٥ تشرين الثاني الذي اقترح فيها بالتدخـل الاميركي - السوفياتي في مصر وقلت : أي عمل مثل هذا سيكون تناقضاً مباشراً لقرارات الامم المتحدة التي دعت بانسحاب تلك القوات الاجنبية الموجودة في مصر الآن . فتقديم قوات

اذا نظرنا إلى الوراء إلى تلك الأيام ، يسهل علينا أن نرى بان بريطانيا وفرنسا كسبتا المعارك وليس أكثر . وإسرائيل ايضاً فازت بالمعارك ، وأفلحت في إعادة فتح خليج العقبة ، وأوقفت غارات الفدائيين على أراضيها مؤقتاً .

هناك عدد من السؤالات الرائعة التي لا يمكن الاجابة عليها بالطبع :

— إذا لم تتدخل بريطانيا وفرنسا ، أكانت تستطيع اسرائيل هزم المصريين وحدها؟ إذا كان الجواب إيجابياً ، ماذا كان سيحدث وفقاً لبنود تصريح الثلاثة الكبار عام ١٩٥٠ ؟ في اعتقادي اننا كنا اتخذنا عملاً يحث على الانسحاب ، وربما في فرض حصار .

أكان فعل بريطانيا وفرنسا يقدم عذراً للروس بالتحرك بقوات ضخمة إلى هنغاريا ؟ إذا كان تحرك الروس إلى هنغاريا من غير أن تكون دول الغرب منهمكة بمشكلة السويس ، هل سيكون رد فعل الغرب أكثر شدة ؟ ان جوابي على هذين السؤالين كان دائماً سلبياً .

قال بعض النقاد بان كان يجب على اميركا ان تساند بريطانيا وفرنسا بالشرق الأوسط ، وإنه من الخطأ أن نعتمد على الامم المتحدة الى هذا المدى . لو كنا قد عملنا بهذه النصيحة إلى أين ستكون قد أوصلتنا ؟ هل سنكون معهم الآن كدولة احتلال في عالم عربي مضطرب ؟ إذا كان كذلك لكنا أُصبنا بالندم .

أثناء الحملة الانتخابية تحدث بعض السياسيين عن إخفاقنا في « مساندة إسرائيل » لو كانت الحكومة عاجزة عن اتخاذ نصيحة مثل هذه في السنة الانتخابية ، هل كان في وسع الامم المتحدة استعمال نفوذها في أي حال ؟ أشك في ذلك .

*

في ٢٣ تشرين الثاني كتب ونستون تشرشل رسالة طويلة إليّ ملحاً بترك الخلاف على أحداث الشرق الأوسط ، وان نتخذ عملاً مشتركاً لمواجهة النصر السوفياتي هناك . وقال إن من السخافة السماح لهذه المسائل الجوهرية أن تضيع في المشاحنة ، وجعل خليج من سوء التفاهم في التحالف الانكلو — أميركي .

أجبته فوراً وأنهيت رسالتي بهذه الفقرة :

« أرجو ان تمسح هذه الرسالة اللوح في أقرب وقت ممكن ، وان نتخذ معاً وسائل اخرى لنيل أهدافنا المشروعة في الشرق الأوسط . لا شيء يحزنني أكثر من الفكرة أني وأصدقائي القدماء لسنين خلت قد واجهتنا مشكلة لم نستطع مشاهدتها وجهاً لوجه . لن أكون سعيداً حتى تعود ارتباطاتنا القديمة » .

سلسلة من اجتماعات قمة

في ٢١ تشرين الثاني ١٩٥٦ جاء حبيب بورقيبه رئيس وزراء تونس الى البيت الابيض ، مصطحباً المنجي سليم السفير التونسي في أميركا ، وروبرت همفري نائب مساعد وزير الخارجية .

بو رقيبة زعيم الحزب الدستوري ، قاد منذ مدة طويلة نضال بلاده للتحرر من فرنسا – نضال وصل إلى نهاية منتصرة في ٢٠ اذار عندما وقعت فرنسا وتونس اتفاقية تعترف باستقلال تونس . ان بو رقيبة حاد الذكاء وديناميكي ، كرّس التنمية الزراعية والصناعية في بلاده ورفع مستوى معيشة الشعب .

قبل أسابيع من زيارته لواشنطون اعترض الفرنسيون طائرة تقل خمسة من الزعماء الجزائرين في طريقهم إلى تونس للاجتماع بملك المغرب وبو رقيبة . أوقفت هذه الحادثة المفاوضات المنتظرة حينئذ بين فرنسا وتونس بشأن التعاون العسكري والتجاري .

تعرفت إلى تونس وشعبها في سنة ١٩٤٣ بعد ان هزم الحلفاء رومل من أفريقيا في أيار من تلك السنة . كنت قد أنشئت مراكزي الأمامية في بيت صغير قرب موقع قرطاجة المدينة القديمة التي دمرها الروم . هنا كان الرئيس روزفلت في طريقه الى مؤتمرات القاهرة وطهران قد أصر على التجول معي في أرض المعركة التونسية بالرغم من قلق رجال المخابرات . ولقد تمتعنا في المحاولة لحسب موقع المعركة الضارية بين قرطاجة والروم – معركة زاما في ٢٠٢ ق. م .

عندما اجتمعت مع بو رقيبة في البيت الابيض ، كان الطبيعي ان نتحدث عن تلك الأيام حين كنت قائداً عاماً لقوات الحلفاء في تونس ، وحين كان هو زعيماً لشعبه تحت مراقبة الفرنسيين .

سألت السيد بو رقيبة عما فعلته بلاده التدمير الذي أحدثته الحرب العالمية الثانية لميناء بنزرت ومدينة تونس، فقال بان تقدماً مرموقاً قد انجز ،ولكن بقي الكثير. وأضاف : « نحن بحاجة للمساعدة » وانتهز الفرصة لشكر أميركا على مساهمتها بخمسة وأربعين طناً من القمح قدمها الشعب الاميركي منذ أسابيع لمنع مجاعة محتملة الوقوع .

ووصف الجهود التي قام بها عبر السنين للحصول على الاستقلال لبلاده بينما بقي صديقاً لفرنسا . وقال : ان الفرنسيين على بعد قرن إلى الوراء وبوجه خاص في الطريقة التي يريدون فيها إبقاء سيطرتهم على إمبراطوريتهم السابقة .

قلت له : أرى بان علاقة فرنسا بمستعمراتها قد تحسنت جداً ، وهناك دلائل تشير ان الآراء الفرنسية التقليدية آخذة في التغيير .

تحدثنا لمدة طويلة عن نظريات وتاريخ الاستعمار – على الأخص عن خبرة فرنسا وبريطانيا في معالجة المناطق غير المتطورة . اتفقنا بان البريطانيين كانوا بوجه عام ناجحين في معالجة المشاكل الناجمة عن متطلبات القرن العشرين . عندما تجد بريطانيا مثلاً ان من الصعب إبقاء مستعمرة ما بصفة تابعة ، تطورت فكرة الكومونولث وأدى هذا الى استقلال معظم مستعمراتها السابقة ، ولكن كثير من تلك المستعمرات ، بسبب مصلحة ذاتية ،اختارت أن تتعلق ببريطانيا كزميلة لأسباب تجارية أو ما يشبه ذلك .

قال المسيو بو رقيبه ان شيئاً شبيهاً بذلك سيكون ممكناً في شمال أفريقيا إذا حلت المشكلة الجزائرية وإذا فعل الفرنسيون ما يتوجب فعله من جانبهم، وأضاف بأن يجب على فرنسا المبادرة بمشاريع مرضية تؤدي إلى استقلال الجزائر .

انتهزت الفرصة لأسأل آرائه بشأن حل للجزائر ، فأجاب من غير تردد :

« يجب على فرنسا ان توافق فوراً من حيث المبدأ على منح الجزائر استقلالها . حينئذ يمكن تنفيذ الاستقلال على مراحل متتالية . وقال بأنه يؤمن بشدة ان مثل هذا النوع من الحل كان ممكناً وسوف يؤدي إلى نتيجه تعود بالفائدة على فرنسا. وقال ان القتال في الجزائر يؤخر ازدهار تونس اقتصادياً واجتماعياً . أريد ان أفعل كل شيء لايجاد حلاً مشرفا للمشكلة الجزائرية .

فذكرت إسرائيل ، معبراً عن رجائي بأن اهتمامنا بوجود تلك الدولة في الشرق الاوسط لن يسمم علاقات اميركا مع البلدان العربية — إما الدول المستقلة قديماً والدول المستقلة حديثاً مثل تونس . فاجاب بورقيبة قائلاً : ان موقف تونس من إسرائيل لن يكون له في أي حال تأثير على علاقاتنا مع اميركا .

❖

ثم جاء رئيس دولة اخرى لزيارة واشنطون ، وكان رئيس وزراء الهند الباندايت نهرو .

لم يكن المستر نهرو غريباً عليّ . كان قد زار جامعة كولومبيا بينما كنت رئيساً للجامعة ، واثناء زيارته اتيحت لي الفرصة لعقد محادثة طويلة معه .

قبل ستة أسابيع من زيارته لواشنطون ، بعث برسالة إليّ عن الغزو الاسرائيلي لمصر . وقال بان ذلك كان عدواناً مكشوفاً ، وقال بأن العمل الانكلو — فرنسي كان تحدياً للامم المتحدة . وألح عليّ بأن استخدم جميع السبل التي في تصرفي لوقف الانحدار نحو حرب عالمية .

ثم قال في رسالته بان العدوان على مصر قد أثار غيظ بلدان آسيا وأفريقيا

وصل المستر نهرو إلى واشنطون في ١٦ كانون الاول ١٩٥٦ . في الصباح التالي ذهبت إليه في بلايرهاوس وذهبنا سوياً الى مزرعتي في غتيزبرغ حيث أمضينا ذلك النهار وجزء من اليوم الثاني نتحدث لمدة أربعة عشر ساعة .

حين عودته الى واشنطون في اليوم الثامن عشر جاء المستر نهرو إلى البيت الأبيض في الصباح التالي واستأنفنا المحادثات في مكتبي . بعد محادثاتنا كتبت اربعة عشر صفحة ملاحظة عن المحادثات .

أهم موضوع كان طبعاً ، مصر والشرق الأوسط . قال نهرو : ان عبد الناصر أفضل المصريين عسكرياً ، وإنه أفضل ناطق عن المصريين ، فإذا أطيح به سيكون خلفه أكثر عداء للغرب .

كان واضحاً ان المستر نهرو بدى مهتماً في المفاوضات الديبلوماسية في العام الذي سبق إلغاء عرض سد أسوان . وأطلعته على حقيقة المفاوضات التي استعملها عبد الناصر في النهاية كمعذر لاستيلائه على القناة في أواخر تموز . بدى المستر نهرو

مذهوشاً حين علم بأن مصر قد رفضت عرضنا عن قصد .

ثم تحدث عن الصين الشيوعية وقال :

« اني أشعر بأن المنطق يقضي ان حكومة تسيطر على ستماية مليون شخص ، ان تدخل إن عاجلاً أو آجلاً إلى حظيرة الامم المتحدة » .

ان هذا الواقع سيصبح سارياً في كل عام يمر لأن شيانغ كاي شك وجيشه في فرموزا سيصبحون بحكم الظروف والزمن ضعفاء وسيقعون بعد حين في أيدي الشيوعيين .

شرح المستر نهرو الاسباب التي جعلت الهند منذ الاستقلال تتبع سياسة الحياد .

أولاً أصر انه استعمل كلمة « الحياد » في معناها التقليـــدي ، ليعني الوقوف في موقع بعيداً عن التحام القوى ، وبوجه خاص التحام القوى في الحرب . وأوضح انه لم يستعمل الكلمة ليميز بين فكرة الحكومة المستندة على كرامة الانسان وبين الحكومة المستندة على الديكتاتورية . وقال : « إن للحياد فائدة كبرى واضحة . »

ان للهند والصين حدود مشتركة طولها الف وثمانماية ميل وان أي محاولة دفاعية على هذه الحدود الطويلة ستكلف ثمناً باهظاً مما يجعل الهند عاجزة على رفع مستوى معيشة شعبها . فالمجاعة والمرض سيجعل الهنـــد أكثر تعرضاً للخطر من التغلغل الخارجي .

ثم قدم المستر نهرو سبباً آخراً لاستمرار الهند كدولة حيادية ، فقال بأن اي دولة تتخلى عن الحياد لتدخل في منظمة دفاعية عليها أن تقوم بقسطها . فالهنـــد ليس في مركز يمكنها لتسلح نسبة لعدد سكانها وحجمها الجغرافي .

ثم تحولت محادثتنا نحو الاشتراكيـة . حسب مذكراتي ، عبر المستر نهرو عن أفكاره في هذه الطريقة : كل البلدان اشتراكية نوعاً مـا - ليس هناك أي ممارسة للتجارة الحرة بمعنى الكلمه . فالشيوعية المتطرفة تمارس في الاتحاد السوفياتي ودول الستار الحديدي ، أما البلدان الاخرى لديها نوع من التجارة المشروعة .

ان المستوى الملائم لإدارة الدولة غالباً ما تضمه الاحوال السائدة . إنه يختلف مثلاً ، وفقاً لمرحلة الانماء داخل الدولة . ففي الدول الأقل نمواً ، يجب الحصول على

الرأسمال للتقدم الصناعي ، وفي هذه الحالة الحكومة وحدها تستطيع إداء ذلك . في الهند يشيرون الى هذين الوجهين من الانماء الاقتصادي بالقطاع العام والقطاع الخاص، وليس اشتراكية أو تجارة حرة .

وتحدث المستر نهرو عن اوروبا ، فقال بأنه يتعاطف مع خوف الروس من إعادة توحيد المانيا . ولخص القول بأن قضية المانيا المنقسمة يمكن حلها فقط إذا تشكلت منظمة أوروبية تكون في نظر الروس ضماناً لأمنهم . وقال انه بالإمكان إنشاء حزام حيادي يصل من شمال اوروبا إلى المتوسط ، وعلى الحزام أن يضم كل الدول التابعة بما فيها المانيا .

إني معجب بالمستر نهرو ، إنه يريد مخلصاً إنهاض شعبه وتوصيله إلى مستوى أعلى من المعيشة والرفاهية . اعتقد بأن ينبغي القول بأنه جوهري لوطنه . لم يكن البانديت جواهر آل نهرو عسير الفهم كبعض الاشخاص ، لكنه ذا شخصية من التناقضات غير الاعتيادية .

*

كان زائري التالي الملك سعود ، ملك المملكه العربية السعودية ، جاء إلى واشنطون في ٣٠ كانون الثاني ١٩٥٧ .

كما كان متوقعاً ، أحدثت الزيارة معارضه حامية من قبل يهود اميركا . ان عطف معظم اليهود في اميركا كان بطبيعة الحال نحو اليهود في إسرائيل . ان وجهة نظرهم في المشاكل العربية ـ الاسرائيلية صادرة عن فعل غريزي ، فكانوا يرون في جميع الظروف بان اللوم يقع على العرب .

لكني كنت مقتنعاً بصدق القول المأثور ان في معظم المشاجرات من هذا المثيل يقع اللوم على الفريقين .

حين علم الجمهور بزيارة الملك ، طلب إلي ان ألغي الدعوة . أعلن رئيس بلدية نيويورك الذي تعج منطقته بسكان كثيفة من اليهود، ان الاستقبال التقليدي التي تقوم به المدينه اثناء زيارة رؤساء دول لن يكون ضمن برنامج زيارة الملك العربي . وكانت هناك دلائل أخرى تشير بأن العاهل السعودي سيصاب بارتباك .

من جهتي أنا ، لم يكن لدي نية في تغيير خطط مجيء الملك سعود لواشنطون. وقد أشرت الى اتخاذ تدابير شاملة لحماية الملك وحاشيته .

كنا نتوقع إن شيئاً كثيراً سينتج عن زيارته . منذ بداية إدارتي وأنا إسعى لإيجاد وسائل تخفف الحقد والكراهيه بين العرب واسرائيل بغية الوصول إلى تسوية مؤقته بحيث تتطور إلى تعاون حقيقي .

وهناك هدف آخر لإصدار الدعوة في ذلك الوقت كما أرتنا خبرة السويس . ان الرئيس عبد الناصر لم يكن يحاول أن يقوي مركزه بدعم من الروس فحسب ، بل كان يعمل جاهداً ليبرز أنه زعيم العالم العربي . ولكي نوقف أي تحرك في هذا المجال ، أردنا أن نستكشف إمكانية جعل الملك سعود موازياً لعبد الناصر . فالملك كان الاختيار المنطقي لهذا الهدف ، لأنه يتمتع بمركز رفيع بين الدول العربية .

وهكذا فإن دعوتي للملك لم تنبع من رغبتي في إداء مجاملة للملك ، بل كان لها أغراض هامة وخطيرة نويت على اتخاذها .

ثم في اللحظة الأخيرة ، حصل حادث مزعج سخيف كاد ان يحطم الخطة بكاملها .

بسبب نوبتي القلبية وعملية اللفائفي ، فقد اتفقنا اعضاء الحكومه جميعاً ، بأن يجب إلغاء المراسيم غير الهامة بأكثر قدر ممكن فيما يتعلق بمهماتي الروتينية . تعاونت جميع الدوائر في هذه الغاية . مثلاً ، فقد اقترحت وزارة الخارجية تعديل في مهماتي – التي لم تكن بأي حال قد أصبحت تقليدية – أن اذهب الى مطار واشنطون لاستقبال رؤساء الدول الوافدين الى الولايات المتحدة ، حيث انني لا أتمكن الذهاب الى سان فرنسيسكو ، ميامي أو نيويورك لاستقبال شخصية كبيرة زائرة . بدى البيت الأبيض حيث يوجد موقع ملائم لمراسيم الاستقبال المكان المنطقي لتحية مثل هؤلاء الزائرين .

ذهبت وزارة الخارجيه الى مدى غير اعتيـــادي لشرح أسباب التعديل الى الدول الاجنبيه وسفرائها في واشنطون ، مؤكدة ان هذه التدابير هي ضماناً لصحتي وسلامتي .

عندما تبلغ بلاط المملكه العربية السعودية تفاسير التعديل ، ترجم الملك سعود

ذلك بأنه حركة مجابهة شخصية بقصد التصغير من شأنه ، ومركزه ، وشعبه . فقال بأنه تحت هذه الظروف لن يذهب إلى واشنطون . عندما أطلعني فوستر على هذه التطورات ، أخبرته بأن الهدف الذي نريد إنجازه أكثر أهمية من المخاطرة بصحتي بسبب الذهاب خارجاً في الطقس السيء من أجل مراسيم الاستقبال في المطار وأضفت : « طبعاً ، هذا يعني انني أتخلى عن كل فكرة تعديل تتعلق بالاجراءات الترحيبية لرؤساء الدول ـ لن أجري أي تمييز أو استثناء بين مثل هؤلاء الزائرين . مذ أنه يبدو لي ضرورياً استقبال الملك سعود في هذه الطريقة ، سأفعل نفس الشيء في كل الحالات المتاليه » .

بعد مراسيم الاستقبال العادية ، جاء الملك إلى مكتبي في واشنطون إلى إجتماع منعزل . كان نوعاً ما مستنبطاً وخجول . كان سعود يفضل أن يتحدث وجهاً لوجه بدلاً من المحادثات التي يشترك فيها جماعة أكبر . كان ضعيف البصر . خلف نظارته السميكة ، كان ودياً وهادئاً . كان يردد ذكر الله في كل جملة من حديثه .

كان حديثنا الرئيسي طويلاً ولم يكن يوجد أحد عدا عن ترجمان الملك . كانت هناك بضعة نقاط جديدة أو بالغة الأهمية ، لأن معظم النقاط كانت قد نوقشت بواسطة موفدينا .

ثم تحدث الملك عن العلاقات العربية البريطانية وإلى الحالة الغير المرضيه التي وصلت إليه . فقال بأن السياسة العربية السعوديه كانت تثق بالبريطانيين وتعمل معهم نحو تقدم المملكة . وأن هذه السياسة فرضت علينا لأن البديل لها كان الاتجاه نحو السوفيات . لكن قبل وفاة والده بكثير أخذت هذه العلاقات تتدهور . لذلك فقد اعتمد البريطانيون سياسة مقصودة لابقاء العرب ضعفاء وذلك بمنع تزويدهم بأي اسلحة . ومن أجل هذا الضعف ، فقد قاسى العرب نكسات عديدة ، هذا من غير ذكر إنتهاك البريطانيين لحدودهم .

ومن أجل الأسباب ذاتها ، قال بأن العرب قاسوا حروباً ضد الاسرائيليين وكانوا مقصرين بسبب عدم وجود الأسلحه الكافية . بدى عجزه العسكري أشد ضغينة من كل الأمور التي يشكو منها . وتابع الملك قوله أن من أجل هذا العجز المخجل ، فقد أخذ شعبه يزداد قلقاً ، ويلح عليه على فعل شيء ما . ونهض عنصر قوي

في بلاده وألح عليه بالتعاون مع السوفيات . فقـــد عرضت روسيا عليهم الأسلحه باعداد وفيرة . وقال بأنه رفض تلك العروض .

أشرت عليه بأن موضوع التسلح لم يكن سهلاً كما يبدو . و ينبغي عليه أن يقرر المقدار الذي يريده وما يستطيع تحمله . وقلت له أن المساعدة في تسليح بعض الدول ، وجدنا أن في بعض الأحوال حصلوا على أكثر مـا طلبوا . وبسبب ذلك أخذت اقتصادياتها في التدهور ، لأن تلك الدول أثبتت بأنها لا تستطيع تحمل إعباء المحافظة على قواتها المسلحه . وتابعت قولي ، أن أفضل سياسة عسكرية لأي دولة تواجه مشاكل عصيبة من الانماء الاقتصادي ، هو السعي للحصول على الاسلحه التي تضمن الحفاظ على الاستقرار الداخلي وسد النشاطات التخريبية بالاضافة إلى بعض الاحتياط الذي يعطيها بعض الحماية ضد اي إعتداء على حدودها . أمـــا لمواجهة الأخطار العسكرية الكبيرة ، يجب على تلك الدولة أن تستند كلياً على تحالفها مع بعض الدول الحرة . وأضفت بأن الأمم المتحده أعدت لتحافظ على الدول الضعيفة من عدوان استفزازي غير مبرر ، وعليه أن يضع ذلك في الحسبان .

اشار الملك بان مساحة بلاده تسعمائة ميل مربع واثني عشر مليـــون نسمه على الأقل وقال ان البريطانيين يعتدون على حدود مملكته وبوجه خاص فيما يتعلق بواحة البريمي ، وبعث الاسرائيليون جماعة تخريب الى داخل حدوده ، والآن ، حتى إيران اقترفت عدواناً ضده باستيلائها على جزيرتي قارازان وعربي في الخليج الفارسي وأضاف قائلاً : أنا أدرك بان البريطانيين يعارضون حصولنا على السلاح منكم . وقال بان الولايات المتحدة كانت زودته بالسلاح منذ وقت طويل لولا معارضة بريطانيا .

وواظب يلح في طلب المزيد من السلاح ، وقال ان برنامجه العسكري يكلف نصف الميزانية القومية ، وهذا يعني بأنه يحتاج الى مساعدة اقتصادية . وافقته على ذلك وقلت ان غالباً ما نواجـــه اوضاعاً شبيهه بذلك وتختلف عنها بكون الحاجة الحقيقية هي المساعدة الفنية ، لكي نمكن اصدقائنـا استخدام مواردهـم بحكمة .

أخبرني الملك بأنه يعمل بكد لبناء مدارس ومستشفيات ومواصلات جديدة ،

وان التقدم في الخمس سنين الماضيه كان ممتازاً لكنه ضئيلاً الى مدى بعيد . وقال : كل الاموال التي استلمتها استعملتها بحكمة لأجل هذه الأغراض. وقال بأن البدو في حالة يرثى لها اقتصادياً ويحصلون على القليل حتى انهم يعيشون من التبرع ، وقال بان هذا يأتي من صندوقه الخاص (لم يفسر الفرق بين الصندوق الخاص والصندوق العام في المملكة العربية السعودية) والآن لا يستطيع فعل المزيد ، وان بلاده بحاجة للحصول على مساعده اقتصادية .

ثم اني أثبت له بأن المال وحده لا يستطيع جعل بلداً ما مزدهرة ولا يمكنها رفع مستواها الصناعي . يتوجب ، بالاضافة الى المال ، الادمغة ، والخبرة والحكمة في جهود التوازن بين اجزاء الاقتصاد المختلفة . ونوهت بان الدولة التي تشتري عليها أن تصطحب انتاج البضائع . على الناس ان يكونوا قادرين على الشراء إذا كان إنتاج الفبركة معروضاً للبيع . فالمشكلة كانت إذاً رفع مستوى معيشة شعب بكامله ، بحيث لا يمكن إنجازه ببعث قدراً من المال من حكومة لاخرى .

أشار الملك الى اجتماعه مع الزعماء العرب الآخرين في القاهره ، وقال بأن التقارير التي تزعم مغازلة كل من عبد الناصر والرئيس السوري لروسيا مبالغ بها جداً . وقال ان كلاً من الرجلين قالا له ان إذا تدخلت روسيا في شؤونهما الداخلية فإنهما سيتوقفان فوراً على التعامل معها .

كان الملك يثق ان في استطاعة الرجلين الحصول على أي شيء يرغباه من الروس من غير فقدان حرية القرار في إدارة شؤونها الداخلية . وقال بانه ابلغ زملاءه العرب صراحة : أنا معكم في التعاون العربي وضد اسرائيل ، لكني لا أخطو خطوة واحدة للعمل مع الروس . ليس لي أي شأن مع الروس .

في الوقت الذي كنا نتحدث فيه كان الاسرائيليون ينسحبون من شبه جزيرة سيناء بعد حملة السويس ، لكنهم بقيوا في قطاع غزة وعلى طول ساحل خليج العقبة . لقد استفز هذا الإعلام ، بطبيعة الحال ، مناقشاتنا ، فشدد الملك بقوله ان يجب على الاسرائيليين ان يتراجعوا حالاً من كل هذه المواقع وان يوقفوا هجماتهم على الحدود .

كان قلق الملك على ولده الصغير الذي يعاني شلل جانبي منذ ولادته بساقه اليمنى

موثراً . عرضت عليه ارسال الصبي الى مستشفى « ولتر ريد » العسكري لاجراء فحوص . وصف له الأطباء هناك حذاء وقشاط . كان شكر الملك معبراً باخلاص ، فقد اخبرتني الممرضة وموظفي المستشفى ان شكر الملك لهم عبّر بواسطة هدايا قيمة ، بما فيها تبرعاً بألفي دولار في العام الواحد تستخدم لعلاج الاولاد والأطفال المرضى .

لم يتحقق أي تقدم سياسي في محادثاتنا . لكنني أعتقد بأن الملك جاء ليثق بأن أميركا كانت مستعدة لأن تكون صديقة للعرب كما هي لأسرائيل . وأعرب عن رضاه بأن بهذا اليقين يستطيع أن يدعم نفوذه للتوصل إلى حل لمشاكل عديدة . وأنهى كلامه بقوله أنه يرجو أن أتحمل العناء واجتمع إلى المزيد من الزعماء العرب ، خاصة زعماء مصر وسوريا .

*

في كانون الثاني استقال أنتوني إيدن من رئاسة وزراء بريطانيا ، وخلفه صديق قديم آخر ، هارولد ماكميلان . كنت قد تعرفت إلى ماكميلان في الجزائر عام ١٩٤٣ ، حيث كان يشغل مركز المستشار السياسي البريطاني . منذ البداية وجدته أكثر من كفوء ، وآرائي به عبرتها تكراراً في السنين الأخيره علانية وسراً . حين علمت بتعيينه رئيساً للوزراء ، كتبت لأهنئه قائلاً :

« ... اهلاً ... بصداعك الجديد ، طبعاً ، لقد نلت حصتك من الصداع في الماضي ، لكنني أؤكد لك أن هذا الجديد لن يكون كالقديم – كالاصبع المخدوش أمام الساق المبتور ... مذ اني أعرفك منذ مدة طويلة فأني أتنبأ أن رحلتك ستكون عظيمة ...

ان تغيير رئاسة الوزارة في حكومة تعد من أولى حليفاتنا برر عقد اجتماع باكر بيننا . بالإضافة ، كانت هناك مسائل خطيرة للمناقشة . تواعدنا أن نجتمع في برمودا في آخر آذار . لكن قبل المؤتمر قلقنا من نبأ يفيد بأن بريطانيا تنوي تخفيض قواتها في الحلف الأطلسي لأسباب استراتيجية وماليه . اتصلت هاتفياً في الحال بماكميلان

طالباً منه بالا يقوم بالتخفيض إلا بعد أن نتحدث بالأمر في برمودا . لكن هارولد لم يستطع الانفراد بالقرار ، لأن وضع الخزينة البريطانية فرض عملا فورياً .

*

نويت الذهاب إلى برمودا على ظهر سفينة تابعة للبحرية لكي نستطيع كسب بعض الراحة ويوماً من صيد السمك .

غادرنا نورفولك في ١٤ آذار على ظهر الطراد كانبيرا يقودها الكابتن سي . تي . مورو . إنضم إلي كل من جيم هاغرتي ، والجنرال هوارد سنيدر ، والكابتن بيت اوراند في أبحار إستغرق ستة أيام وانتهى في برمودا ، زرنا باهاماس أولاً لمدة ثلاثة أيام حيث تمتعنا بحرارة الشمس .

رسينا في برمودا في ٢٠ آذار ١٩٥٧ ، وقدمنا تهانينا للكابتن مورو على عناية ومهارة ملاحيه ، وشكرناه على حسن الضيافة .

عندما دخلت للمؤتمر لفت أنتباهي ما كميلان إلى التاريخ قائلا كيف أن الصدف تلتقي حين كنا مجتمعين في وقت إعتدال الربيع . فصحت عالياً : « أجل منذ ثمان سنين حتى الآن أوقفت التدخين : نظر إلي وصاح : « كيف تستطيع أن تذكر ذلك ؟ » أظني كنت مدهوشاً مثله : كل ما أستطيع تفسيره أني تفوهت بهذا الكلام .

ناقشنا مشكلة الشرق الأوسط من كل النواحي ، وكان واضحاً منذ البداية أن قسطاً كبيراً من الاتفاق برز إلى حيز الوجود على معظم المسائل ملأتها الصحف لعدة أسابيع خلت . من بين الأمور التي تطلبت بحث وتحقيق خاص كانت مسألة علاقاتنا في المستقبل بالشرق الأوسط وتدابير مرضية من أجل إستخدام قناة السويس . لكن فوستر وأنا وجدنا صعوبة في محادثة بناءة مع زملائنا البريطانيين عن السويس بسبب المرارة العمياء التي يشعرون بها نحو عبد الناصر . كان رئيس الوزراء ما كميلان ووزير الخارجية سلوين لويـــد تنتابهما هواجس التخلص من عبد الناصر إلى درجة جعلتهما يبحثان عن أي وسيلة لأدارة القناة .

في بداية المحادثات شن لويد هجوماً على ناصر منددا بنواياه وخططه وعدم الثقة به . وقال بأنه يخشى ان عبد الناصر ، في متابعة طموحه الوثابة ، من المحتمل ان يصبح عميلاً للكرملين كما أصبح موسوليني عميلاً لهتلر .

بالرغم من هذا الشعور ، أطلعنا البريطانيون عن حاجتهم الملحة لشروط معقولة في استعمال القناة ، وقالوا بأنهم إذا لم يفلحوا في نيل مثل تلك التدابير (التي تتضمن مكس ملائم) يجب علينا في الولايات المتحدة عدم تفادي الأمر ، وتظاهروا قائلين بأنهم قد وصلوا الى منتصف الطريق من النصر .

قلت : يبدو ان هناك تناقضاً في هذين الموقفين .

وإذا نحن في هذه اللحظة ابتدأنا بالهجوم على عبد الناصر ، وفعلنا كل شيء نستطيعه جهراً او في الخفاء لكي نتخلص منه ، سيكون هناك أمل ضئيل بالتوصل الى حل مرض بشأن القناة .

وافقاني الرأي بتردد ، بينما كانا يعتقدان عبد الناصر بأنه صانع المشاكل . وافقا نهائياً على ان المهمة الحاضرة هي المفاوضة على إدارة القناة .

من الموضوع الأساسي - قناة السويس ، تحولنا إلى المشكلة العامة - صيانة إنتاج النفط في الشرق الاوسط والحصول على النفط بوسائل الأنابيب وغيرها . وهذا الموضوع كان مدار حديث واضح ، وأعتقد بأننا عملنا الكثير لجلاء الامور المعلقة .

قال هارولد ماكميلان بأنه يرى أن الكويت هي المفتاح الحقيقي لكل مشاكل إنتاج النفط في الشرق الاوسط ، حتى في منطقة حيث تنتج عدة مناطق لكميات عديدة من الزيت ، فأكد أن إنتاج الكويت كان أكبر بكثير . تستطيع الكويت وحدها أن تنتج زيتاً كافياً لأوروبا الغربية بأسرها لمدة أعوام عديدة . المشكلة إذاً هي وسيلة الاقتراب من الكويت . إحدى متطلبات النجاح في ذلك سيكون في تطوير العلاقات مع الدول المجاورة ، وعلى الأخص المملكة العربية السعودية . لكن هناك هدف بريطاني ثان ، يتضمن عزمهم على تأييد حليفهم ، سلطان مسقط وعمان في مطالبته بواحة البريمي ، وقد أحدث تأييدهم هذا اختلافاً حاداً بينهم وبين السعوديين . وهنا أشرت عليهم ان السعي وراء هدفين في آن واحد ، قد يعرض بلوغ الهدف الأول إلى الخطر . وأدلى البريطانيون بعدد من الاسباب وأعتقد ان

بعضها كان معقولاً لإبقاء قبضة البريطانيين على بريمي ، ولكن نتيجة محادثات اليوم ، أبدوا أنهم سيلقون نظرة ثانية نحو نشاطاتهم في المنطقة .

تجدد التوتر في الشرق الاوسط

بعد صعوبات قناة السويس في أواخر ١٩٥٦ وانسحاب القوات الفرنسية والبريطانية من مصر في كانون الأول من ذلك العام ، ظل الشرق الأوسط غير مستقر . كان الاسرائيليون يصرون على الحفاظ ببعض الأراضي التي احتلوها اثناء القتال عام ١٩٥٦ ، وأبقوا بعض الحاميات في قطاع غزة وعلى طول ساحل خليج العقبة ، ومرة ثانية بدأ الفدائيون المصريون يشنون غاراتهم داخل إسرائيل في الليل . علاوة على ذلك كانت الحكومة المصرية هزيلة حسب التقارير الواردة من وكالة المخابرات . أفادت التقارير هذه ان هناك مؤامرة في الخفاء ضد عبد الناصر . انخفضت قيمة الجنيه المصري من دولارين وثمانين سنتاً الى دولار واحد وستين سنتاً ، أكثر بقليل من نصف قيمتها السابقة .

*

في مساء أول يوم من عام ١٩٥٧ ، اجتمع وزير الخارجية وأنا مع زعماء الحزبين في الكونغرس الجديد لنطلب تأييدهم في مشروع جديد للسياسة الاميركية في الشرق الاوسط . كنا نشعر أن مشروعاً تشرح فيه وجهة النظر الاميركية بالنسبة للوضع الراهن ، ويعلن عن نوايانا اتجاهه كان ضرورياً للجميع بما فيهم الروس الذين سيفهمون ان بالرغم من خلافاتنا في عام ١٩٥٦ مع حليفتينا الرئيسيتين على اتخاذ تدابير منطقية نحو قناة السويس . كنا عازمين على تثبيت حقوق الغرب في المنطقة .

فقلت لزعماء الحزبين : ان الفراغ الراهن في الشرق الاوسط يجب أن تملأه الولايات المتحدة قبل أن تملأه روسيا . ان الزمن جوهري : كنت أعتقد ان الجلسة الاولى للكونغرس الخامس والثمانين ستخصص أول عمل لها في سن تفويض لمساعدة اقتصادية خاصة واستعمال القوة إذا دعت الحاجة في الشرق الاوسط . وقلت : في حال هجوم سوفياتي على المنطقة ، لا أرى بديلاً إلا بتحرك الولايات المتحدة لإيقاف

الهجوم .

وأكدت تقديري للاجراءات الدستورية لكنني أشرت ان الحرب الحديثة تستغرق بضع ساعات أو حتى بضع دقائق .

إذا أعطيت الحكومة هذا التفويض ، فإنها ربما لا تستخدمه إطلاقاً . فيما يختص بحملة سوفياتية غير مباشرة ، فإن الحالة تدعو الولايات المتحدة على التفاوض نحو اتفاقيات تقضي مساعدة بلدان الشرق الاوسط اقتصادياً وعسكرياً .

أصغى النواب والشيوخ بصمت ، وكان بينهم نولاند ، وجونسون ، ومارتن ، وريبورن وسالتونستال وفولبرايت ، ثم ابتدأت السوءالات .

فسأل السناتور ألكسندر سميث من نيوجيرسي عن احتمال رد فعل مضاد الى هذا المشروع العسكري خارج الامم المتحدة . فأكد له دالاس بان الولايات المتحدة ، إذا أعطيت السلطة ، سوف تتصرف فقط عندما تطلب الدولة المتعرضة للهجوم التدخل في نفس الطريقة المتفق عليها في مناطق اخرى من العالم .

وسأل السناتور نولاند قائلاً : هل ستتوسع الفكرة لتشمل موقف حيث تدعو دولة ما القوات الروسية لدخولها بحيث يكون ضد مصالحنا القومية ؟ فأجبته : في حالة كهذه ، ستتاح فرصة التشاور مع الكونغرس .

ثم سأل نائب ماساشوسيتس ، جون ماكورماك ما إذا كانت للرئيس (كونه القائد العام للجيش) السلطة لاتخاذ هذا التدبير من غير اللجوء الى تفويض من الكونغرس . فأجبته على ذلك ان اتفاقاً جماعياً في الرأي بين السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية ستحمل طابعاً أشد فعالية . ثم تحدثت عن رغبة بلدان الشرق الاوسط بالحصول على ضمانات بان الولايات المتحدة ستكون مستعدة على المساعدة .

أشار النائب ليو آلن أن هذه التدابير ستكون مثل تلك الاجراءات على كويموي وماتسو . وافقته الرأي معلقاً بان في الحرب الحديثة لن يكون هناك مجال للاجراءات المنهجية ، ومن الضروري إيضاح نوايانا مسبقاً .

وحذر السناتور راسل بان إذا اعتمدت الولايات المتحدة هذا المشروع الخاص بالشرق الأوسط ، فينبغي عدم اعتبار ما يعقب ذلك ، انها مجرد « حرب صغيرة » .

فقلت : إذا تحركت روسيا ، لن يكون هناك « حرب صغيرة » .

دام اجتماع ذلك اليوم مدة اربع ساعات وحتى بعد هبوط الليل. أعجبت بتعاون زملائي أعضاء الكونغرس وبعزمهم على ترك السياسة جانباً بينما كنا نناقش معاً الوضع الذي تواجهه الولايات المتحدة في الشرق الاوسط .

قبل نهاية الاجتماع ذكّرت الحاضرين ان الدستور يقضي بان يعمل فرعا الحكومة معاً . عبرت عن ضماناتي بأني سأبذل جهدي للسير جانباً مع الكونغرس، وفيما يتعلق بالمواضيع التي نوقشت هذا المساء ، فلا شيء حزبي سيجعلني أخطو إنشاً واحدة – لكنني ، بطبيعة الحال ، أعربت للجميع عن رجائي بان حزبي بوسائله الممتازة سيكون أمل الشعب الاميركي .

ثم التفت الى الزعماء الديمقراطيين بوجه خاص وأضفت : أنتم تدركون انكم مرحب بكم في هذا البيت – في هذا المكتب – كما يرحب بأي كان . طبعاً ، انني أعمل .. عادة مع زعماء حزبي في الكونغرس ، ولكن الكونغرس الآن تحت سيطرة الديمقراطيين ، وكونكم الزعماء الرسميين لحزبكم ، فإن من حقكم وواجبكم عندما ترون ان ثمة شيء ضروري يدعوكم لذلك ، كما إنه من واجبي ان أدعوكم وألفت انتباهكم عندما أرى ان الحاجه تتطلب ذلك . وإذا أي شخص في هذه الادارة اخترق هذا المبدأ ، وأخبرت بذلك ، فإنه سيرى ردي قريباً .

وحين أقول عاماً سعيداً لكم ،فإني أعني ذلك من صميم قلبي ، بالرغم اننا ننتسب إلى حزبين مختلفين ..

عند الساعة السابعة والنصف من صباح يوم السبت الخامس من كانون الثاني ، وصلت الى مكتبي في البيت الابيض وأمليت نص الرسالة الخاصة للكونغرس عن الشرق الاوسط . عند الظهر صعدت الى الكابيتول لأقدمها شخصياً قبل اجتماع النواب في الجلسة المشتركة .

ان الضعف في الوضع الراهن وازدياد الخطر من الشيوعية الدولية تقنعني بان سياسة الولايات المتحدة يجب ان تجد عبارة في عمل مشترك بين الكونغرس والسلطة التنفيذية ، وعلى ذلك ، فإن عزمنا المشترك يجب أن يصاغ لكي يكون جلياً ، حتى يكون الكلام مدعوماً بالعمل ..

ان العمل الذي اقترحه ... قبل كل شيء ، سيفوض الولايات المتحـــدة ان تتعاون وتساعد أي دولة او مجموعة من الدول في منطقة الشرق الاوسط بأسرها في إنماء القوة المكرسة للحفاظ على الاستقلال القومي .

والهدف الآخر كان تفويض رئيس الولايات المتحدة باتخاذ منهـــاج مساعدة عسكرية وتعاون مـع أي دولة ترغب ذلك . تضمن البرنامج المساعدة العسكرية الاميركية حين تطلب لمواجهة عدوان مسلح تقوم به أي دولة تسيطر عليها الشيوعية العالمية .

واقترحت الرسالة دعم مالي في مبالغ معقولة « هذه التدابير ستكون منسجمة مع معاهدة التزامات الولايات المتحدة ومع ميثاق الامم المتحدة » .

لم يتحرك أعضاء الكونغرس كرجل واحد لتقديم مسودة مشروع الحكومة . كان بعيداً عن ذلك الاحـــتمال . رأى البعض ان المشروع سيمنح الرئيس سلطة دستورية تملكهـا السلطة التشريعيـة . وآخرون أصـدقاء اسرائيل ، لم يرغبوا في مساعـدة أي دولة عربيـة وآخرون تخوفوا ان المشروع سيضعف ارتباطاتنا مـع اوروبا الغربية او الامم المتحدة او مع كليهما . واقترح أحدهم ان ينبغي ان يكون التفويض « هجوم شامل » على الاتحاد السوفياتي في حال أي تدخل ضئيل في الشرق الاوسط .

وزع رئيس الكونغرس على زملائه مشروعاً بديلاً ـ ويتألف من أربعة وثلاثين كلمة : « ترى الولايات المتحدة ان في مصلحتها الحيوية المحافظة على استقلال و كيان دول الشرق الاوسط ، وإذا دعت الحاجة فانها ستستعمل القوات المسلحة نحو ذلك الهدف » .

عندما سؤل دالاس « هل ستقبل الادارة بهذا البديل ؟ » .

أجاب بعد موافقتي بـ « كلا » . وقال بان مشروعاً في هذه الكلمات سيبدو بأنه محاولة لإنشاء الحماية الاميركية على بلدان الشرق الأوسط من غير اعتبار رغبة شعوب المنطقة . إن هذا البديل يضع الضمانة على الولايات المتحدة وحدها ، وانه سيخرق ميثاق الامم المتحدة في حال استخدام القوة العسكرية للاطاحة بأي نظام حكم يأتي تحت السيطرة الشيوعية بوسائل سلمية ، وأخيراً فان هـذا البديل يتجاهل اهمية المساعدة الاقتصادية .

وردت تقارير من جميع انحاء العالم جواباً على السياسة الجديدة المقترحة .

رحبت فرنسا وبريطانيا بالمشروع . ونددت الصين الشيوعية والاتحاد السوفياتي بالمشروع بأنه « بديل للاستعمار البريطاني والفرنسي » . بينما انقسمت ردود فعل الدول العربية والاسلامية : نددت سوريا بالمشروع ، وارتبكت العراق والسعودية بينما رأت تركيا والباكستان ولبنان وإيران المشروع انه أفضل ضمان ممكن للسلام .

كتب الي رئيس وزراء الهند نهرو وعبر عن ازدرائه للسبل العسكرية لمعالجة هذه المشاكل — وقال بان هذه السبل قد تثير غضب العرب وتخلق انشقاقاً بينهم وبذلك تزداد حدة التوتر ... وأضاف نهرو في رسالته : « لا أعتقد ان في الظروف الراهنة يوجد أي خطر عدوان في الشرق الاوسط من الاتحاد السوفياتي . ان الاتحاد السوفياتي مرتبط بممالكه في بلدان اوروبا الشرقية . إن القومية في الشرق الأوسط قوية إلى حد بعيد وأقوى من أي شيء آخر .

بعد دراسة واسعة للمشروع المشترك في مجلس الشيوخ في ٢ اذار ، فشل مشروعاً قدمه السناتور ريتشارد راسل بإزالة أي مساعدة اقتصادية وعسكرية . جاء هذا الرفض بعد ان تلا السناتور نولاند رسالة مني معارضاً هذا التخفيض ومبدياً أسفي على أي إقتراح لأن بلادنا ترغب فقط في شن السلام في عبارات الحرب .

بعد ثلاثة أيام ، أجاز مجلس الشيوخ المشروع المشترك بتصويت ٧٢ ضد ١٩ وفي ٩ اذار وقع المشروع وأصبح قانوناً . في الحالات الشبيهة بهذا كان يحمل المشروع اسم الرئيس الذي قدمه ، وأصبح معروفاً بـ « مشروع أيزنهاور » .

بمساعده زعماء كلا الحزبين ، وضد تذمر بعض النواب والشيوخ المعارضين ، وضد الاقتراحات الحسنة النية المعاكسة من قبل بعض مفكري السياسة الخارجية الديمقراطيين ، فقد حصلنا على موافقة الكونغرس على إعلان عزم الادارة بالوقوف دون سير الاتحاد السوفياتي إلى المتوسط ، وإلى قناة السويس ، وأنابيب النفط ، وإلى بحيرات النفط تحت سطح الأرض التي تنير منازل ومصانع اوروبا الغربية .

❦

في أوائل ١٩٥٧ ابتدأ المصريون بعمل شاق لإزالة السفن التي أغرقوها في

الخريف الماضي لسد الممر المائي .

المشكلة الاولى التي واجهها الدبلوماسيون الغربيون كانت حث اسرائيل على الانسحاب من الأراضي المصرية .

إذا كانت إسرائيل لا ترغب في تحدي الامم المتحدة ، فمن الضروري ان تسحب قواتها من غير شروط إلى ما وراء الحدود المعلنة في هدنة ١٩٤٩ . إلا إذا فعلت ذلك سيكون في استطاعتها توقع تأييد باقي « العالم الحر » في ضمان « حقوقها » بالوسائل السلمية »

في بعض الأوقات ، كان التقدم نحو حلول سلمية يبدو أكيداً ، ولكن حتى نهاية كانون الثاني ، كان الاسرائيليون لم يزالوا يرفضون الجلاء عن قطاع غزة من غير ضمانات ضد الهجمات المصرية . هدد المصريون بوقف تنظيف القناة إلى أن تنسحب إسرائيل .

بعد ان وصل التقدم إلى مأزق ، والأمين العام غير قادر على التوصل إلى أي تحسن ، أعلن كابوت لودج في ٢ شباط في الامم المتحدة تأييد الولايات المتحدة للمشروعين . كان هدف أحدهما حث إسرائيل على الانسحاب إلى ما وراء خطوط هدنة ١٩٤٩ ، وطلب من الأمين العام للامم المتحدة بوضع قوات طوارىء تابعة للامم المتحدة على خط حدود ١٩٤٩ للمحافظه على السلام في المنطقة . وقد أجيز المشروعان .

في ١٣ شباط ، دعمت هذين المشروعين ببرقية مباشرة الى بن غوريون وهذا نصها :

إن رجائي الوحيد أن يكون انسحابكم كاملاً ومن غير أي تأخير .

أنتم تدرون مدى تقدير دولتنا للعلاقات الودية المتقاربة مع دولتكم ، ونرغب في استمرار التعاون الودي الذي ساهم إلى الانماء القومي لاسرائيل . وان تجاهلكم المستمر إلى قرارات الدول، المعبر في قرارات الامم المتحدة التي تفسد العلاقات بين إسرائيل والدول الأعضاء في الامم المتحدة بما فيها الولايات المتحدة .

بعد اسبوع أبرق بن غوريون رافضاً ، ذاكراً بان إسرائيل لن تنسحب إلا (أ) إذا تمسكت إسرائيل بالادارة المدنية وقوة الشرطة في قطاع غزة و (ب) أن

يكون لاسرائيل ضمان حرية المرور من خليج العقبة .

في اليوم التالي ١١ شباط بعثت وزارة الخارجية مذكرة سرية إلى حكومة إسرائيل تقول أن بينما لا الولايات المتحدة ولا الامم المتحدة لها السلطة لتفرض على مصر وإسرائيل تغيير في فقرات اتفاقية الهدنة ، فإذا انسحبت إسرائيل ، فان الولايات المتحدة ، كونها عضو في الامم المتحدة ،ستطلب استخدام قوات الطواريء التابعة للامم المتحدة التي ستضمن بان غزة لن تكون قاعدة لشن هجوم مسلح . وعلاوة على ذلك ، فان الولايات المتحدة ، عازمة على إداء قسطها للمساعدة في التأكيد إلى كل الدول بحق المرور من المياه الدولية في العقبة .

أساسياً ، كنا نحاول تجنب اتخاذ أي جانب في الصراع العربي ـ الاسرائيلي في إيمان منا أننا قد نكون نافعين في المساعدة على مواجهة الأزمة الحالية بانصاف . لأن فرنسا وبريطانيا تحسبان الآن كحليفتي إسرائيل ، بينما المانيا الغربية ، بسبب الاجحاف الذي خلفته الحرب ، لا يلائمها دور الوسيط ، وكان من البديهي جداً للولايات المتحدة أن تفعل كل شيء ممكن للمحافظة على الاتصالات ، وإذا أمكن الصداقة التي تربطها مع كلا الجانبين .

عقب ذلك ، عندما استعدت الدول العربية على تقديم مشروع قرار الى الامم المتحدة لإرغام اسرائيل على الانسحاب ، . أمرنا كابوت لودج بان يستخدم كل الوسائل الممكنة لتأخير مشروع القرار ، آملين بان إسرائيل سوف تنصاع طوعاً إلى القرارات السابقة .

ولكن في ١٤ شباط أرسلت حكومة إسرائيل إلى حكومة الولايات المتحدة مذكرة ، وترفض في هذه المرة ايضاً الانسحاب .

في صباح اليوم التالي ، في منزل جورج همفري قرب توماسفيل في جورجيا ، تحدثت لمدة ساعة ونصف الساعة مع دالاس والسفير كابوت لودج ومع همفري . وقال كابوت لودج إن مزيداً من إعاقة المشروع العربي لن يتيسر بعد نهاية الاسبوع .

وعبر الوزير دالاس عن وجهة نظره بشدة قائلاً بأننا قد مضينا شوطاً بعيداً لتسهيل إنسحاب الأسرائيليين . وإذا استمرينا فإننا بالتأكيد سنفسد النفوذ الغربي

باسره في الشرق الأوسط ، وأن دول تلك المنطقة ستقول بأن سياسة الولايات المتحدة نحو المنطقة، يسيطر عليها النفوذ الصهيوني في الولايات المتحدة في حالة كهذه، فإن الأمل الوحيد للبلدان العربية يكمن في الاتحاد السوفياتي ، إذا حدث ذلك ، فسيكون تفسيراً لفشل « مشروع إيزنهاور » حتى قبل أن ينطلق المشروع في طريقه . وأشار السفير لودج حسب تقديره للوضع في الأمم المتحدة ، فان فشل المشروع سيفتح الطريق أمام الحرب .

في دراستي للسبل المختلفة الممكنة ، رفضت منذ البداية أي مزيد من مشاريع قرارات الأمم المتحدة التي تهدف إدانة إسرائيل . ورفضت أيضاً أي مشروع جديد مثل ذلك الذي قُدم في ٣٠ تشرين أول ١٩٥٦ ، الذي طالب بتوقيف كل تأييد حكومي لإسرائيل . في الواقع ، أن توقيف التأييد لكلا مصر وإسرائيل كان عملاً ساري المفعول من قبل الولايات المتحدة .

تجنباً لنشوب الأعمال الحربية ، كنت أفضل مشروعاً يطلب من الأعضاء في الأمم المتحدة بأن توقف ليس فقط المساعدة الحكومية بل المساعدات الخاصة إلى إسرائيل . إن عملاً مثل هذا لم يكن إيماء أجوف . وعندما ناقشنا الموضوع ، طلب جورج همفري من راندولف بورغس ، مساعدة وزارة الخزانة للشؤون النقدية ، الذي قدم تخميناً تقريبياً للمساعدات الاميركية الخاصة لإسرائيل بنحو ٤٠ مليون دولار في السنة ، ومبيعات أسهم إسرائيل في بلدنا بين ٥٠ مليون و ٦٠ مليون دولار سنوياً . (كانت معلوماته تستند على أرقام وزارة الخزانة على حسومات ضرائب الدخل) .

طلبت من فوستو دالاس بأن ينشر نص رسالتنا لإسرائيل في ١١ شباط .

كان الوقت قصيراً . كما قال السفير لودج أن معظم الدول في الأمم المتحدة عازمة بقوة على الإستعداد في طلب عقوبات إقتصادية شاملة ضد إسرائيل لإرغامها على الإنسحاب .

في ١٨ شباط ، أبرق بن غوريون لي مناشداً تأجيل مناقشة الأمم المتحدة للموضوع مرة ثانية ، وقال « أن الانسحاب في الظروف الحاضرة سيعني كارثة بالنسبة لنا » .

في مؤتمر خاص في البيت الأبيض مع زعماء الكونغرس لكلا الحزبين ، بعد

يومين ، كانت السياسة في ظهر أذهان معظم المؤتمرين . ١٩٥٦ حاز الجمهوريون على أكثر من مليون ونصف المليون صوتاً — أكبر رقم في تاريخ الولايات المتحدة . ولكن مواجهة إحتمال إتخاذ موقفاً حازماً من قبل الولايات المتحدة ضد إسرائيل ، أغضبت بعض الحاضرين .

افتتحت المؤتمر في ذلك الصباح مشدداً على أهمية إستقرار الشرق الأوسط بحيث تفتح الطريق أمام المساعدة المالية التي تحتاجها إسرائيل عن طريق بنك الاستيراد والتصدير . وأهم من ذلك كانت الحاجة لانماء حلول للمشاكل الأساسية في المنطقة : من سيستخدم قناة السويس ؟ كيف يمكن وضع حد للصراع العربي الاسرائيلي ؟ فأجبت أن عدم التقيد بقرارات الامم المتحدة ، سيعني أن لا شيء من هذه سيتم إنجازه . وسيزداد الركود الاقتصادي من ناحية ثانية ، فهذه التطورات ، بالاضافة إلى نفوذ روسيا المتزايد في الدول العربية ، سوف تؤدي إلى توقف تدفق النفط من الأنابيب الباقية ، واستمرار في سد القنـــاة ، وضربة ممكنة إلى إقتصاد فرنسا وبريطانيا ، وأخيراً إحتمال متزايد من حرب شاملة .

قال دالاس : في نظري ان اسرائيل سوف تسحب آخر قواتهـــا قريباً إذا اقتنعت حكومتها ان الولايات المتحدة ستصر على مثل هذا العمل . وقال بانه يرى أن موقف الولايات المتحدة عنصر عصيب في الوضع الراهن . وأضاف : « إذا وجدت الدول العربية إثباتاً لهذا الاعتقاد ، فانها سترى بانها مرغمة للالتفاف حول روسيا » . وقال بان ليس للولايات المتحدة ان تعتمد سياسة معادية لاسرائيل ، إنها فقط عازمة على معارضة رفض اسرائيل لقرارات الامم المتحدة .

اعترض كل من السناتور ليندون جونسون والسناتور ويليم نولاند على موقف الادارة من اسرائيل بحجة اننا كنا نستخدم مقياس مزدوج باتباعنا لسياسة واحدة للقوي وسياسة واحدة للضعيف .

ثم سأل نولاند : لماذا لا تصوت الولايات المتحدة بعقوبات ضد الاتحاد السوفياتي لعدم انصياعه لقرارات الامم المتحدة بشأن المجر ؟ فأجاب السفير لودج ان الامـم المتحدة لن تحاول تطبيق أي عقوبات ضد روسيا أو الولايات المتحـدة . وقال ان هذا ليس إلا إحدى الحياة الدبلوماسية لأن أراضي واقتصاديات كل من الدولتين

قوية إلى درجة تجعلها منيعتين عملياً .

أشرت على الحاضرين أن يوافقوا على تصريح ينص على ايماننا ونوايانا . كان السناتور ليندون جونسون بعض التحفظات بشأن التصريح واقترح بأن ينبغي على وزير الخارجية دالاس أن يحاول ما اذا كان بوسعه الحصول على تصويت سخي من كلا مجلس الشيوخ والكونغرس مؤيداً لسياسة الإدارة وإذا كان ذلك يسبب إنسحاب إسرائيل . وأضاف جونسون أن الكونغرس سيتحرك بسرعة إذا أكد له ان هذا العمل سوف يعطي نتيجة . لكن رئيس الكونغرس رايبورن رفض بشدة المشاركة في أي مشروع قرار من الكونغرس .

عندما فض الاجتماع في الساعة الحادية عشر ، سمّى أحد موظفي البيت الابيض المناقشة التي عارض فيها زعماء الاغلبية والاقلية الحكومة بـ « علبة من الديدان » .

بعد الاجتماع أبلغت وزير الخارجية دالاس ، والسفير لودج ، وجيم هاغارتي بأنني الآن سأنقل قضيتي إلى الشعب بأسره بواسطة التلفزيون والاذاعة .

لكن قبل ذلك ، أبرقت الى بن غوريون محذراً إياه بأنه إذا لم يتخذ قراراً مرضياً ، لن يكون هنـــاك ضمان بأن خطوة الامم المتحدة التالية لم تكن بالغة الخطورة :

« سأكون متأسفاً أسفاً شديداً على ضرورة وقوف الولايات المتحدة مع الامم المتحدة ، وعلى الإجراءات التي سوف تتخذها الامم المتحدة نفسها والتي سيكون لها تأثير بعيد المدى على علاقة اسرائيل مع العالم كله » .

أعد الفنيون غرفة مكتبي ، وابتدأت أكتب حديثي الذي ألقيته في الساعة التاسعة من تلك الليلة .

تحدثت عن غزو إسرائيل لمصر قبل ان أتحول الى قرارات الامم المتحدة وعن موقف إسرائيل العنيد من القرارات. ثم أثرت حجة إسرائيل بأن ينبغي أن يكون لديها « ضمانات متينة كشرط لسحب قواتها الغازية » وسألت سؤال مبدأ :

« إذا هاجمت دولة واحتلت اراضي دولة أخرى في وجه عدم موافقة الامم المتحدة ، هل يسمح لها ان تفرض شروطاً على انسحابها ؟ » .

إذا وافقنا بأن الهجوم المسلح قد يوصل المعتدي الى أهدافه ، فاني أخشى باننا إذ ندير ساعة النظام الدولي إلى الوراء » .

ثم تحولت إلى الموقف الذي تمسك به جونسون ونولاند بأننـا نتبع مقياساً مزدوجاً بموافقتنا على قصاص الصغيرة إسرائيل بينما ندع الكبيرة روسيا على كيفها. لم يكن احـد أشد أسفاً مني انا لتجاهل الاتحاد السوفياتي لقرارات الامم المتحدة، ولم تكن أي دولة أقوى من دولتنا في إلقاء الضغط الادبي ضد الاتحاد السوفياتي. لكن ذلك كان غير متعرض لأنواع أخرى من العقوبات.

أكملت إذاعتي بعبارة تنطوي على اعتقاد صريح:

« يجب على الامم المتحدة ألا تفشل ».

وقلت:

واني أثق أن ليس للامم المتحدة أي خيار إلا بالضغط على إسرائيل. نرجو أن يرى الاسرائيليون أن مصالحهم الفورية والطويلة المدى ستكون مضمونة إن هي وثقت بالمنظمة الدولية، وبتصريحنا اننا سنحاول لنرى أن القاعدة التي يشن منها المصريون هجومهم من قطاع غزة مضمونة محروسة من قبل قوات الامم المتحدة.

الخطوة الثانية كانت من حكومة تل أبيب. ففي اليوم التـالي أبرق لي بن غوريون، وقال بأن مجلس الوزراء الاسرائيلي كان منعقداً طول النهار، وأن السفير إيبان سيغادر صباح غد إلى نيويورك فواشنطون. وطلب بن غوريون بأن أستخدم نفوذ حكومتنا لحمل الجمعية العامة على تأجيل المناقشة حتى يوم الاثنين بعد أن يكون إيبان قد تحدث مع دالاس.

لكن الأحداث كانت تكسب اندفاعاً كبيراً. ففي الجمعية العامة، في اليوم التالي، ٢٢ شباط انفجر سكوت دول الشرق الاوسط ودول أخرى. فقدم كل من لبنان والعراق، والسودان، وباكستان، وافغانستان، واندونيسيا مشروعاً داعين إنهاء المساعدات العسكرية والاقتصادية والمالية الى إسرائيل. أرجأ كابوت لودج اتخاذ موقفاً الى ان ينهي محادثاته مع إيبان ودالاس.

بدى واضحاً أن مشروع العقوبات في شكل أو آخر كان متجهاً نحو التصويت. لكن لم يحدث التصويت. ففي أول آذار، جاءت غولدا مـاير وزيرة خارجية إسرائيل ووقفت امام الجمعية العامة لتعلن خطط إسرائيل على « إنسحاب تام وشامل...

أبرقت لبن غوريون ما يلي :

« كنت مسروراً من الاعماق على قرار حكومتكم بالانسحاب الفوري الكامل إلى ما وراء خطوط الهدنة كما جاء على لسان وزيرة خارجيتكم في خطابها امام الجمعية العمومية . أود أن أعبر عن أملي أن تنفيذ إنسحابكم سيمضي قدماً بأقصى السرعة .

أبلغت بن غوريون عن عزمنا على العمل السريع بتنفيذ تعهداتنا اتجاه إسرائيل.

لمنع المزيد من شجار الحدود ، تحركت فوراً إلى قطاع غزة قوة طواريء تابعة للامم المتحدة تحت قيادة الماجور جنرال بورنز .

❖

بعد الجلاء عن قطاع غزة ، تحولت الانظار فوراً إلى مسألة الملاحة في خليج العقبة . في هذه الناحية ، كان الامر الواقع لصالح إسرائيل . فبانسحاب قواتها ، استطاعت أن تطالب بأن ليس هناك حالة حرب في الخليج . في مؤتمر صحفي في ٧ آذار قلت اننا والدول البحرية على استعداد لإن نعتبر خليج العقبة بأنه ممر مائي مفتوح، وعليه يجب استعماله هكذا. لكي نجعل تأييدنا للحق في « المرور البريء » ، أشرنا بأن تمر سفينة اميركية استأجرتها شركة إسرائيلية من خليج العقبة في اوائل شهر نيسان .

احتج الملك سعود على موقفنا المتحيز لاسرائيل . وكتب إلي قائلاً أن إسرائيل قد اعتمدت سياسة استفزاز ضد المسلمين في جميع أنحاء العالم . مثلاً ، قال ، أن مدمرة إسرائيليه ابحرت من إيلات واتجهت نحو البلدة العربية الشيخ حميد ، وتحولت بعد أن وصلت الى بعد كيلومتر واحد فقط من المياه الاقليمية للملكة العربية السعودية . وذكر عدة امثلة بما فيها المناورات البحرية والجوية فوق الخليج التي سببت استياء كبيراً بين شعبه . وفسر هذه التحركات بدليل آخر من نوايا اسرائيل العدوانية .

ثم انني أكدت للملك مره ثانية عن استعدادنا على منع العدوان ضد بلاده ، غير اني ذكرته أن فيما يتعلق بشرعية خليج العقبة « فإن وجهة نظر الولايات المتحدة ، التي شرحها وزير الخارجية دالاس وأنا عندما كنتم هنا .. تختلف من وجهة نظر جلالتكم » . اننا نتمسك بالصفة الدولية للخليج .

كان الملك سعود دائماً يعبر عن قلقه العميق على مصير أمكنة الاسلام المقدسة في شبه الجزيرة العربية . إحدى تخوفه كان إذا سمح للملاحة الاسرائيلية باستعمال الخليج ، فإنها ستقف امام الحجاج المسلمين المسافرين لاداء فرائض الحج . أكدت له بأن الولايات المتحدة سوف تؤيد مبدأ « المرور البريء » من الخليج للجميع . يبدو أنه اقتنع بذلك لكنه كان يفضل اعتبار الخليج ملكاً عربياً .

عند عودته إلى بلاده بعد زيارته التي قام بها في شهر شباط الى الولايات المتحدة ، أخذ الملك سعود يقوم بنشاط لبذل الجهود لإقناع بعض الدول العربية وأهمها سوريا والاردن بأن يشاركوه في معارضته للشيوعية وللرئيس ناصر . ففي مؤتمر القمة في القاهرة الذي حضره شكري القوتلي رئيس سوريا ، والملك حسين ملك الاردن . اختلف الملك سعود مع عبد الناصر لأن الأخير طلب تفاصيلاً عن اتفاق الملك معي ، وقيل بأنه هدد الانسحاب من المؤتمر . كان موقف الملك سعود الموالي للغرب يسبب له مشاكل كبيرة مع بعض الحكومات العربية . فاتهمه عبد الناصر بأنه ليس إلا أداة بيد الولايات المتحدة .

*

أثناء ربيع ١٩٥٧ ، كانت قناة السويس تنظف من العقبات ولكن ليس من حيث مشكلة الادارة . بدى أن القناة ستفتح في اوائل شهر آذار وتدار في آخر الشهر المذكور . إلا إذا تم الوصول الى إتفاقية عن كيفية إدارة القناة في باديء الأمر ، فإن الملكية تقع مع عبد الناصر . كان في هذا الوقت يقول بأن الغزو الثلاثي قد أراحه من التقيد بأي اتفاقية كان فيها فريقاً . فدولته كانت المعتدى عليها ، وكان عازماً على استخدام تلك المنفعة التي أيدها الرأي العام العالمي .

أثنـــاء المفاوضات التي عقبت ذلك ، كان قلق الدول الغربية وبوجه خاص البريطانيين مزدوج الصفة . الكثير في الغرب وخاصة البريطانيون كانوا لم يزالوا يشكّون في مقدرة المصريين على إدارة القناة ، وتساءلوا عن استعداد المصريين وكفائتهم على إجراء التحسينات والاصلاحات الضرورية من وقت لآخر . كان هناك أيضاً تخوفاً تصاعدياً لدى الفرنسيين والبريطانيين من عبد الناصر وطموحه ، بأن القناة ستصبح أداة السياسة المصرية .

في الاسبوع الاول من شهر آذار كان لم يزل سفينتان ضخمتان غارقتان . قال المصريون ان هاتين تحتويان على متفجرات شديدة مما يبطيء إزاحة السفينتين .

في هذا الحين كان الرأي العام البريطاني شديد الغليان وعلى وشك الانفجار إذا استطاع المصريون فرض رسوم على المرور .

لكن في ١٨ آذار صرح الرئيس عبد الناصر مرة ثانية بأن القناة سوف تُدار من قبل هيئة قناة السويس الذاتية التي أنشأتها الحكومة المصرية . وأضاف أن مصر ترى أنها ملتزمة بمعاهدة ١٨٨٨ .

وأخيراً أُخرجت آخر سفينة غارقة من القناة وفي ٢٩ آذار مرت اول قافلة من تسع شاحنات . خلال بضعة أيام ، أعلن راديو القاهرة بأن سفناً لإثني عشر دولة مرت من القناة . وصدف أن تخلى الامين العام للامم المتحدة داغ همرشولد عن محاولته في مفاوضات المصريين ، ووقع العبء على عاتق الولايات المتحدة بالسعي بواسطة المحادثات السرية في القاهرة الى الوصول الى اتفاقية مقبولة للغرب بالنسبة لإدارة القناة .

بعد أن استمرت المحادثات لبضعة إسابيع من غير أي نتيجة مثمرة ، بعث وزير الخارجية المصرية الدكتور محمود فوزي برسالة إلى داغ همرشولد حيث أعلن موقف مصر من إدارة القنـــاة . كان نداء بعيداً من الغرب وعلى الاغص من بريطانيا ، لكن الرسالة تضمنت بعض التنازلات ، رفض المصريون المفاوضة على رسوم ثابتة غير أنهم وافقوا على أن ٢٥ بالمائة من مجموع دخل القناة سوف يوضع جانباً لتطوير القناة ، وان الجدال على التعويض على صاحبي الأسهم السابقين ، سوف يُحل بالتحكيم . وأعلن عن نوايا مصر لاحترام بنود معاهدة ١٨٨٨ ، وعرض محكمة تحكيم لاصدار قرارات ملزمة على مسائل انظمة القناة .

لأن القناة تقع ضمن الاراضي المصرية ، بدى أن هذا الموقف عسير الجدال قانونياً . إن خطة عبد الناصر ونواياه الحسنة يمكن تجربتها فقط بالادارة الفعلية . وقررنا على المضي في ذلك . وعلى هذا ، فقد أعلنا في مجلس الامن الدولي ان الولايات المتحدة توافق على التدابير المصرية وأن موقفنا في المستقبل سوف يتوقف على الطريقة التي تنفذ فيها مصر تلك التدابير .

بعد مرور أسابيع قليلة ، أصبح جلياً أن المصريين يستطيعون إدارة القناة

بنفس الكفاءة التي كانت شركة قناة السويس القديمة تديرها . وهذا قطع الطريق امام إدعاء البريطانيين بأن مصر ينقصها المهارة الفنية لإدارة الممر المائي . وعلاوة على ذلك مذ أن عبد الناصر لم يشير أنه سينقض التعهدات التي قدمها في تصريحه ، فإن الحقد والغيظ أخذ في التلاشي حتى في صدور البريطانيين . هـذا التحسن في العلاقات ، ساهمت نحوه جهود الصحافة المصرية التي تديرها الحكومة التي توقفت ، على الاقل ، موقتاً ، على مهاجمة بريطانيا .

وهكذا ، فقد انتهت أحدى أصعب الأحداث في تاريخ اميركا الديبلوماسي — ذلك الذي أرغمنا لبعض الوقت على معارضة ثلاثة من اصدقائنا — إثنان منهم أقرب حليفتين .

*

بانتهاء أزمة السويس ، لم نكن قد انتهينا من مصالحنا في الشرق الاوسط . ففي اوائل شهر كانون الثاني ، قبـل فتح القناة ، كنت قد طلبت من جيمس ريتشاردز ، احد الديمقراطيين من جنوب كارولينا ، الذي كان رئيساً للجنة الشؤون الخارجية في الكونغرس ، بأن يقوم بإداء مهمة نيابة عني ضمن مشروع الشرق الاوسط . كان عليه ابتكار وسائل فعالة للتعاون مع الدول التي ترغب في تحسين أمنها وازدهارها الاقتصادي . كان ريتشاردز مفوضاً بأن يحدّد البلدان التي كانت ترغب في التعاون في هذا الجهد ، وأن يتقيد بتقديم المساعدة ضمن حدود الصندوق الذي خصصه الكونغرس ، والذي بلغ في هذه السنة الى ٢٠٠ مليون دولار . كان معلوماً ، طبعاً ، أنه لن يتورط بدون إذن واشنطون ، ولكن كان معلوماً أيضاً أننا سوف نتصرف بسرعة على اقتراحاته .

*

كانت لدينا مشاكل أخرى في المنطقة . أبلغنا الآن دالاس عن تذمر المشاكل الداخلية في الاردن في الاسبوع الاول من شهر شباط ، حين قام الملك حسين بعمل جريء لكن غير ناجح لتغيير وزارته . كان واضحاً أن الشيوعيين حرضوا على الاضطرابات . وجاءت أزمة الملك حسين الثانية في أوائل شهر نيسان حين أبعد رئيس وزراء مؤيد للاتحاد السوفياتي وأبدله ، لسوء الحظ ، برئيس وزراء

رجعي محافظ . أغضب هذا الفعل الرئيس عبد الناصر ووجّه حملة دعائية ضد الملك حسين . استمرت الحكومة الاردنية الجديدة لمدة أقل من ثلاثة أسابيع . كان مراقبينا يبلغوننا ان حياة الملك كانت في خطر .

رد الملك حسين الصاع حالاً . متأكداً من ولاء جيشه ، أخذ المذياع وراح يندد بمصر وسوريا ، وبالمعارضين في بلاده . فرض حالة الطواريء ، ومنع التجول المحكم ، وانشأ حكومة بقيادة رئيس الوزراء إبراهيم هاشم . غير أن ضعف الاردن دعم الاعتقاد أنه على وشك التفكك . كانت جارات الاردن مفعمة بفكرة واحدة — كيفية الحصول على حصة الأسد من التالف . مثل هذا الحدث ، سيعقبه بوجه التأكيد حرب شاملة في المنطقة .

في ٢٤ نيسان ، بعث إليّ الرئيس اللبناني ، شمعون يناشدني باتخاذ عمل سريع وفعّال لإنقاذ الاردن بأي ثمن كان . أجبته بأننا قد بعثنا الى حسين بتشجيعنا وتأييدنا السياسي . وعلاوة على ذلك ، آخذين في عين الاعتبار وعد إسرائيل تجنب أي محاولة لاستغلال الوضع ، أبلغت الرئيس شمعون أيضاً بأن وحدات من الاسطول السادس كانت حينئذ تتحرك في شرقي المتوسط ، ولفت انتباهه إلى المساعدة التي تلقاها حسين من سعود ومن العراق .

في نفس الوقت فوضت جيم هاغارتي بأن يعلن بأني ووزير الخارجية دالاس نعتبر « استقلال وسيادة الاردن حيوياً » .

بعد ذلك أخذ الوضع في الاردن يستقر وفي ٢٩ نيسان أعلنّا عن مساعدة اقتصادية تبلغ عشرة ملايين دولار الى تلك الدولة . وفي أول أيار دعينا الاسطول السادس الى غربي المتوسط .

*

خيم الهدوء لفترة من الزمن على الشرق الاوسط . ولكن قبل نهاية شهر تموز تعكر هذا الفصل بثورة مفاجأة ترأسها إمام عمان ضد سلطنة مسقط وعمان — المحمية البريطانية الواقعة على الجانب الشرقي من شبه الجزيرة العربية .

إن تاريخ علاقات الولايات المتحدة مع السلطنة يعود الى سنة ١٨٣٢ حين وقعت الولايات المتحدة معاهدة مع سلطان عمان — وكانت احدى اوائل المعاهدات التي وقعتها الولايات المتحدة مع أي بلد آسيوي .

إن سبب هذه الثورة الهامة كان الاشتباه الشديد الذي طبخ من الخارج . كان يصعب على مشيخة عمان الصغيرة أن تقوم بعمل عسكري ضد السلطان الذي يدعمه البريطانيون . والى هذا ، بينما كان الوضع لم يزل مبهماً ، علمنا ان بعض قوات عمان قد دربت في السعودية على ايدي ضباط مصريين وسعوديين ، من غير موافقة سعود ، كما يبدو . لكن البريطانيون ، في حالة قلقهم المزمن على مصير محمياتهم الغنية بالنفط في المنطقة ، افترضوا بسهولة بأن الملك سعود كان وراء هذه الثورة .

كنا بطبيعة الحال ، نسعى لتطوير علاقات أوثق مع الملك سعود ، وكنا نفعل كل شيء باستطاعتنا لتحسين الجو بينه وبين البريطانيين . وهكذا ، لأن صداقتنا مع سعود أضحت معروفة لدى بريطانيا ، ربما لم نفاجأ حين كنا نشارك في الاستياء والاشتباه الذي وجهه البريطانيون نحونا . في عرض صحفي في بريطانيا اثناء الاسبوع الاخير من تموز ١٩٥٧ ، ابدى البريطانيون اعتقاداً قوياً بأن شركات النفط الاميركية كانت خلف العصيان بصوره غير مباشرة. كان ذلك سخيفاً ولكن تلاشى الاعتقاد ببطء .

في آخر تموز ، قرر البريطانيون أن من الضروري استخدام القوات الارضية لقمع العصيان . قام بالحملة عدد صغير من الجنود ، واتمت العملية في بضعة أيام جرى خلالها قليل من القتال الفعلي . بعث الملك سعود برسالة لي يؤكد انه لم يزود الثوار بالسلاح . وادعى بأن الثوار كانوا يحصلون على الاسلحة بموجب اتفاق بين ناصر ونهرو . لم يذكر الملك اي برهان لادعائه ، لكني أبلغت هارولد ماكميلان على الفور ، وكان مسروراً بهذه الاشارة أن الملك سعود لم يكن راغباً في تطوير هذا الحادث إلى شجار كبير بين السعودية وبريطانيا . وأكدت لماكميلان عن الاشاعات الزائفة التي تضمنت شركات النفط الاميركية ، فكتبت قائلاً : « إذا كنا عازمين على تحمل هـذا الشيء ، فاننا لا نكون مستعدين على بذل الجهود للمساعدة على حل مشاكل النفط التي انتابتكم على أثر أزمة السويس في الخريف الماضي » .

وأخيراً وافق سلطان مسقط وعمان الذي كان مثل البريطانيين دائماً يشتبه بالملك سعود وافق على الاجتماع مع الأخير . وهناك انتهى الحادث .

❁

بالسرعة التي كانت ازمة ما تختفي ، كانت تظهر أزمة أخرى . ففي ١٣ آب ١٩٥٧ ، أذاع راديو دمشق تهمة مفادها ان الولايات المتحدة مشتركة في مؤامرة لقلب نظام حكم القوتلي وأن ثلاثة ملحقين بالسفارة الاميركية في دمشق سيطردون من أجل نشاطهم التخريبي . بعد بضعة أيام ، استقال القائد العام للقوات المسلحة السورية ، معتدل سياسياً ، ونُقل مركزه الى ضابط معروفاً بموالاته لموسكو .

إن العملية كلها كانت مغطاة بسرية ، ولكن الاشتباه قوياً بأن الشيوعيين قد سيطروا على الحكومة . وإلى هذا ، فقد وصلتنا تقارير بأن الأسلحة كانت تُرسل الى سوريا من الكتلة السوفياتية .

في الأيام التي تلت الثورة والهجمات الدعائية على الولايات المتحدة ، حاولنا من خلال نطاق المراقبة الضخمة أن نستنتج المدى الذي توصلت اليه الحكومة السورية نحو الشيوعية . إذا كانت الحكومة تتألف فقط من القوميين العرب المتطرفين والناصريين فذاك شيء آخر . أمـــا إذا كانت ماضيه نحو الشوعيين ، فذلك يتطلب عملاً .

كانت جارات سوريا تثق بأن عقرب الساعة قد مضى نحو نقطة الخطر . وسرعان ما انتفض الشرق الاوسط الى غضب ديبلوماسي . كانت هناك اجتماعات بين الأتراك والعراقيين ، وبين العراقيين والاردنيين ، وبين الاردنيين والاتراك . اما لبنان الذي كان يغص بالسوريين فطلب من الولايات المتحدة ضمانات رسمية بتأييده في حال هجوم سوريا على لبنان . حتى الرئيس القوتلي كان قلقاً على سرعة الاحداث في بلاده ، وابدى تخوفه ، فهرع الى مصر للتشاور مع الرئيس عبد الناصر . بالرغم أن مفاجأة التغيير السوري قد أذهلت عبد الناصر ، لكنه كان لا يزال يرى ضرورة مشاركة سوريا على التنديد « بالمؤامرة الاميركية للاطاحة بنظام الحكم في سوريا » .

في الولايات المتحدة ، كنا عازمين على عدم توريط انفسنا رسمياً بمجرد الاستناد الى معلومات غير كافية . إنما حقيقة واحدة كانت ظاهرة ، وهي أن جارات سوريا ، بما فيها العربيات استنتجت أن نظام الحكم الحالي في سوريا يجب أن يتغير ، وإلا فإن الشيوعيين سوف يستولون على الحكم وشيكاً .

في هذه الظروف ، كانت معظم دول الشرق الاوسط تجد ضرورة عمل

عسكري مباشر . وقالت انه يجب القيام بهذا العمل ، قبل أن تتسنى الفرصة للسوريين وللسوفيات بتوقيع معاهدة دفاع مشتركة علناً ، أو قبل أن يُعترف رسمياً بسوريا بأنها دولة تابعة للشوعيين . واتفقت أن ينبغي عدم المبادرة بعمل عسكري ، إلاّ بعد أن تقترف سوريا عدواناً ضد جاراتها ، وبذلك تكون قد استفزت الانتقام . إذا مضت الحكومة السورية الى اليسار كما ظنت جاراتها ، فان ذلك الاستفزاز سيأتي في وقت قريب ، بحيث يتطلب عملاً مشتركاً .

كان يبدو أن العراق هي الدولة العربية الوحيدة التي تستطيع اتخاذ مبادرة العمل الانتقامي . لأن العراق أقوى واكثر استقراراً من الدول التي لها حدود مشتركة مع سوريا . لا تستطيع تركيا المبادرة في العمل ، لأنها بالرغم أنها دولة إسلامية ، لكن بسبب سيطرتها على المنطقة قبل الحرب العالمية الأولى ، لم يزل يذكرها العرب بمرارة ويتعذر عليهم القبول بقيادتها . ولكن كان هناك شك كبير ما إذا كانت قدره العراق العسكرية تستطيع لوحدها اتخاذ عمل عسكري ناجح في حال أصبح ذلك ضرورياً . كان يُعتقد بأن كلًا من لبنان والاردن وتركيا سيحشد قواتهم على طول الحدود الغربية والجنوبية والشماليه من سوريا ، بحيث يتوجب على تلك الدولة أن توزع قواتها ، وبذلك يسهل عمليات حربية عراقية ناجحة من الشرق . كان سؤال العرب بسيطاً : ماذا بوسع الولايات المتحده ان تفعله لمساعدتهم ؟

لكي نقدم جواباً بسيطاً لم يكن سهلًا . ان تأييد المبدأ القائل أن القوه العسكرية لم تكن وسيلة مبرره لحل المشاكل الذي اتخذته الولايات المتحدة في الامم المتحدة منذ اقل من سنة ، والآن يطلب منا أن نبدي موافقتنا على غزو دولة ذات سيادة من قبل دولة أخرى .

كانت الظروف ، على اية حال ، تختلف تماماً . في هذه الحالة ، العرب الذين يعتبرون انفسهم موحدين ، اتخذوا موقفاً ان احدى دولاتهم قد هوجمت من الخارج حتى بمجرد التغلغل . كانوا يرون أن العمل على إعاده سوريا الى الحكم السوري سيكون اساساً ذا طابع دفاعي ، وخاصة لأنهم كانوا يزعمون رد الفعل على عدوان متوقع وليس أن يقترفوا عدواناً عارياً . بالرغم أنهم كانوا يثقون ان الرئيس ناصر كان يتصرف ضمن حقوقه المشروعة منذ سنة في تأميم القناة ، غير أنهم بالنسبة

لسوريا ، كانوا مقتنعين ان دولة اجنبية – الاتحاد السوفياتي قد تحرك لينال من حقوق الغير .

كان يعتقد الأمريب ان عواقب التراخي في العمل ، سيكون كارثة لهم والى كل الغرب . بوجود سوريا في ايدي الشيوعيين ، فإن دول عربية أخرى ستلاقي نفس المصير حتماً . إن تطوراً مثل هذا سيواجه اوروبا الغربية بصعوبات تؤدي في نهاية المطاف إلى نكبة . وفي النهاية ، ستشكل هذه السلسلة من الأحداث خطراً جسيماً للولايات المتحدة بحيث لا نستطيع تحمل تجاهل بدايتها المحتملة .

قررنا على اتخاذ عدة افعال اولية . اولاً ، أُرسلت رسالة الى عدنان مندريس رئيس وزراء تركيا – وكان عليه إن يوصلها الى جيرانه . (علمنا أن زعماء العراق والاردن كانوا في هذا الوقت في استنبول) كانت الرسالة تحتوي على ضمانات أن إذا وجد جيران سوريا ضرورة اتخاذ عمل ما ضد عدوان تشنه الحكومة السورية ، فالولايات المتحدة تأخذ على عاتقها إرسال شحنات من الأسلحة ، وعلاوة على ذلك فإنها ستعوض الخسائر في أسرع وقت ممكن .

ثانياً ، سيقع على عاتقنا أن نتأكد ان ليس من دولة أجنبية مثل ، الاتحاد السوفياتي أو إسرائيل ستتدخل في التدابير التي ستتخذها هذه الدول المسلحة لتدافع عن نفسها من هجوم سوريا . ولضمانة إعادة سوريا للسوريين .

كانت مساعدتنا ستُقدم فقط إذا كانت الاعمال المشتركة محدودة الى أهداف معقولة ومنطقية ، ولا تحتوي أي هدف باحتلال الاراضي السورية .

بالإضافة الى الرسالة التي بعثنا بها الى مندريس ، فقد حصلنا فوراً على ضمانات من إسرائيل ، بأنها سوف تتجنب استغلال الفوضى الراهنة كفرصة الاستيلاء على اراض لتضمها إليها .

كخطوة تمهيدية ، ارسلت طائرات الولايات المتحدة من اوروبا الغربية الى قاعدة الولايات المتحدة في أضنة في تركيا لتكون جاهزة عند الطلب ، وأعطيت الاوامر للاسطول السادس بالتوجه الى الطرف الشرقي من المتوسط .

كنت أدرك ان التبور في الشرق الاوسط والاستعدادات التي كنا نقوم بها

قد تؤدي الى مجازفة حقيقية من الحرب . إذا استفز العدوان السوري رد فعل العراق ، بحيث تقدم تركيا على مساندة العراق ، فان السوفيات قد ينتهزون هذه الفرصة للتحرك ضد تركيا . وإذا حدث ذلك ، فان حرباً كبيرة ستكون حتمية علينا . لكن البديل لذلك كان الا نفعل شيئاً ونفقد الشرق الاوسط للشيوعيين — إن هذا هو الأسوأ . نظراً لهذه التطورات ، طلبت أن يكون لأعضاء الكونغرس البارزين علم بالتحركات الجارية . وقد استنفرت قواتنا « المستعدة » وخاصة « قيادة الجو الاستراتيجية » ووضعت في حالة تأهب .

بعد اتخاذ هذه الخطوات التمهيدية ، أوفدت السفير لوي هندرسون الى أنقرة حيث كان الملك حسين ، ملك الاردن ، وولي عهد العراق، والملك فيصل حاضرين. كان على السفير هندرسون أن يحصل على موافقة هؤلاء الزعماء .

عكست الردود على رسائلنا المختلفة اعترافاً إجماعياً بخطورة الوضع ، لكنها كانت تختلف اختلافاً شاسعاً . بدى رئيس الوزراء التركي مندريس متفاؤلاً . وأقر بن غوريون ، رئيس وزراء إسرائيل بسرعة بضرورة ابتعـــاد إسرائيل عن أي مشاركة ، لكنه ألح بشدة على الولايات المتحدة ان تتخذ عملاً خاطفاً ومباشراً ضد سوريا . كان مقتنعاً ان سوريا قد تحولت شيوعية ، قائلاً في رسالته الاولى : « من المستحيل ان تميز بين سوريا وروسيا » . كان بن غوريون قلقاً أيضاً من الدعاية المناهضة لإسرائيل في الصحف السوفياتية حديثاً ، وأشار بأن ذلك لم يكن من غير هدف . وأكمل رسالته بقوله أن إسرائيل هي الهدف المباشر لأسلحة الاتحـــاد السوفياتي التي بدأت تنصب على سوريا . وقال : « إن إنشاء سوريا كقاعدة للشيوعية الدولية يعد احدى أخطر الأحداث التي تواجه العـــالم الحر ، في زمننا هذا » .

تلقت رسالة فوستر لوزير الخارجية البريطانية لافتاً نظره الى المجازفات التي كنا نقدم عليها ، تلقت رداً مختلفاً نوعاً ما . في غياب سلوين لويد، تسلم هارولد ما كميلان نفسه مهام وزارة الخارجية مؤقتاً ، فشابه التطورات في سوريا باستيلاء الاتحـــاد السوفياتي على تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٤٩ . مذكراً أن ردة فعل اوروبا الغربية كانت بانشاء الحلف الأطلسي . كان واضحاً ان ما كميلان بدى يفكر بثمة وسيلة

لخلق او تحسين أجهزة الدفاع للدول الصديقة في الشرق الاوسط .

الوضع ، الذي كان في باديء الأمر جلياً ، سرعان ما أصبح مبهماً . توافدت الرسائل على واشنطون يومياً ، وتقريباً في كل ساعة ، وأهداف هذه الرسائل كان بعيداً عن الإستقامة على مبدأ أو رأي . في حين أشارت المعلومات الأولية على احتمال عمل عسكري خاطف من قبل العراق ، وأن تركيا ستبتعد ، أما الآن فيوجد تلميحات باعادة النظر بهذه التدابير . الذي حال دون العمل العراقي كان التهديد على دخله من النفط ، الذي كان سينجم عن قطع السوريين لأنابيب النفط التي تعبر سوريا . نصف مجموع دخل الحكومة العراقية — ٤٠٠ مليون دولار كان مهدداً .

اما ملك الاردن ، حسين ، فقد غادر إلى إيطاليا للاستجمام من غير توقع ، وهكذا مشيراً بوضوح أن الاردن كان على نقيض ما حملنا على الاعتقاد منذ أيام من قبل ، لم يرغب في الاشتراك في أي عمل ضد سوريا . ثم أننا كنا مذهولين لنرى أن الملك سعود ، بدلاً أن يعد نفسه لمجابهة سوريا الشيوعية في الشرق الأوسط ، بدى مهموماً بإسرائيل ، وبخليج العقبة ، وبيطئنا في تزويد حكومته بالاسلحة .

إستطعت رؤية أمرين في هذه الورطة : أولاً ، بسبب ردود الفعل بين العرب ، فيلبغي على الاتراك ان يبتعدوا عن القيام بأي مبادرة ضد سوريا . بينما كنت أعرف أن ليس للولايات المتحدة أي سلطة لمنع تركيا من العمل التي تراه مناسباً ، فباستطاعتنا استخدام كل نفوذ ممكن لمنع هجوم تركي . ثانياً ، كل التزاماتنا بالنسبة لتصدير الأسلحة لأصدقائنا في المنطقة يجب أن تبقى سارية المفعول .

إنتظرنا لمدة بضعة أيام نتائج مناقشات السفير هندرسون في الشرق الأوسط . ورد تقرير غير مؤكد من لبنان زاعماً تسلل عدد كبير من السوريين الى الحدود اللبنانية حاملين متفجرات وبنادق وذخيرة . من ناحية ثانية مشجعة أفادت أن اللبنانيين كانوا واثقين ان اغلبية السوريين لا يرغبوا بما كان يعتقد نظام حكومتهم .

بدى غير المتوقع من الملك سعود الذي اتهم الولايات المتحدة بخلق صعوبات عديدة ، بالرغم اننا لم ندرك سبب اتهامات الملك . طبعاً ، كان الملك يخالف

الولايات المتحدة الرأي بشأن خليج العقبة، وكان يقلل من القلق السائد نحو سوريا، ورجاؤه الوحيد كان منع الاسرائيليين من استخدام مياه العقبة .

وتفسير آخر لموقف الملك سعود ورد من الرئيس اللبناني شمعون . قال شمعون أن سعود كان خائفاً من إذاعة القاهرة ، إذا هاجمته فانهـا تستطيع استفزاز الاضطرابات وقد تؤدي إلى ثورة .

عاد لوي هندرسون الى واشنطون في ٤ أيلول . كانت أخباره مثيرة . كانت استنتاجاته أن هناك خوفاً في كل بلدان الشرق الاوسط أن السوفيات قد يستطيعون قلب كل نظام حكم باستغلالهم لأزمة سوريا . وجد أن لبنان كان يقوم بعمل كفيء بالقبض على المتسللين ، وكان يشك في بقـاء لبنان حليفاً للغرب أكثر من ثلاثـة إلى ستة شهور إذا لم يُفعل شيء في إزاحة نظـام الحكم السوري الذي يسيطر عليه الاتحاد السوفياتي .

لكن هندرسون أطلعنا على أن هناك خصومات واسعة النطاق بين العرب . مثلاً ، فهناك عداء متبادل بين البيتين الملكيين الهاشميين في العراق والاردن . علاوة على ذلك ، فان العراق يرغب في تجنب فقدان دخله إذا دمرت انابيب النفط عبر سوريا . وقال هندرسون ان استعداد ومقدرة العرب على اتخاذ عمل عسكري ضد سوريا في حال اختلافات الحدود يبدو ضئيلاً .

لكنه قال ، أن الاتراك لم يزالوا عازمين على إزالة نظام الحكم السوري . إذا لم تفعل شيئاً ، فان الحكومة التركية تخشى ثورة داخلية . كان مندريس مفوضاً على التصرف حتى لو كان ذلك يعني تحدي نصائح وإرشادات الولايات المتحدة .

في هذا الوقت كانت التحركات السياسية والدعائية السوفياتية في أوجها . كما قال فوستر دالاس أن ذلك تسخيناً للحرب الباردة . وقد ذكر بضعة حقائق : لقد توغل السوفيات جيداً داخل سوريا ، وأنهم يديرون مناورات حربية في المتوسط .

في أية حال ، في صيف ١٩٥٧ ، قامت الولايات المتحدة بكل شيء يمكن عمله . منعنا إسرائيل ، وأكدنا للعرب تأييدنا ضد التغلغل الشيوعي ، ونقلنا بواسطة الجو أسلحة الى تركيا واسرعنا بتزويد دول أخرى بالاسلحة ، ونقلنا الأسطول السادس

الى الموقع حيث يستطيع دعم وزن قوة الولايات المتحدة البحرية إذا كان ضرورياً. كل ما نستطيعه الآن كان مراقبة الوضع عن كثب للاشارة التالية من التحرك — إنما هجوم شامل من قبل سوريا أو بعض الدلائل عن هدوء الوضع.

لم يحدث أياً من هذين الأمرين.

في منتصف ايلول ١٩٥٧، تخلت جميع الدول العربية باستثناء لبنان عن أي فكرة عمل موحد. عقد اجتماع قمة في دمشق بين الملك سعود، ورئيس وزراء تركيا علي جودت، والرئيس السوري شكري القوتلي. بعد الاجتماع صرح الملك سعود علناً أنه سيندد بأي عدوان على أي بلد عربي، بما فيها سوريا. ولكن بعد انفضاض هذا الاجتماع، دعى سعود القائم بأعمال السفارة الاميركية وطلب إليه بان ينقل إليّ تحياته قائلاً انه يتطلع الى الامـام نحو صداقتنا المتواصلة وتعاوننا الوثيق وانه يأمل في مشاهدتي عما قريب. لاحظ القائم بأعمال سفارتنا ان الملك إنما صرح أمام السوريين ذلك، ربما ليخلق طابعاً في نفوسهم، كما أنه بعث بتأكيداته إليّ.

أما الأتراك م فلم يكونوا راضين على الاطلاق. بالرغم من تردد عسكريهم، فقد كانت الحكومة التركية مصممة على العمل. أرتفع عـدد القوات التركية على الحدود السورية من إثني وثلاثين الفاً إلى خمسين الف.

في ٥ تشرين اول، استغل فوستر دالاس وجود أندريه غروميكو في الولايات المتحدة لكي يعقد وإياه اجتماعاً خاصاً. كانت النتيجة تكراراً محزنة لسائر الإتهامات الشبه صادقة التي اضحت في هذا الوقت أليفة.

في ٨ تشرين أول في مقابلة مع صحافي اميركي شهير، جيمس ريستون، إتهم المستر خروتشوف الولايات المتحدة بأنهـا تحاول استفزاز الحرب ضد سوريا. وأكد خروتشوف ان لوي هندرسون قد أعطى اوامراً معينة بهذا الخصوص، وبعد فشله من الحصول على تعاون الدول العربية، فان الولايات المتحدة منهمكة الآن لحمل تركيا على شن هجوم. وفي جملة معدة للاستهلاك التركي قال: «إذا أطلقت نيران المدافع، فان الصواريخ ستنطلق في الجو».

لدحض الإتهامات أن الولايات المتحدة كانت تحاول شن حرب ، أصدرنا تصريحاً ذا كرين فيه الحقائق . ذكرنا خروتشوف أن تركيا هي دولة مستقلة ، قادرة على صنع سياستها الخارجية .

وحذر فوستر دالاس في مؤتمر صحافي ان أي هجوم على تركيا لن يكون إلا عملية دفاعية من جانب الولايات المتحدة .

في نهاية ١٩٥٧ ، بالرغم أن التوتر كان مستمراً ، كانت قناة السويس تُدار بكفائة وتمر منها معظم الدول البحرية ، وكان خليج العقبة مفتوحاً أمام السفن الاسرائيلية ، وحافظت قوات الطواريء التابعة للامم المتحدة على السلام في قطاع غزة .



إنزال البحرية في لبنان

لم يُخفف قلق الغرب على انحراف سوريا المتصلب نحو الفلك الشيوعي في أواخر ١٩٥٧ حين اعلن عبد الناصر في كانون الثاني ١٩٥٨ أن مصر وسوريا مصممتان على الوحدة، وسوف تشكلان دولة جديدة ـ الجمهورية العربية المتحدة.

كان فوستر دالاس يحضر اجتماعاً لدول حلف بغداد في انقرة حين وردت الأنباء، ووصل المؤتمر إلى نهايته في جو مضطرب مرتبك. لم يكن واضحاً في بادىء الأمر ما إذا كان هذا الاتحاد ناجماً عن النفوذ الشيوعي او إذا كان الشيوعيون يسيرون مع طموح عبد الناصر في توحيد العالم العربي. تطلعت الدول العربية الى التطورات بقلق بالغ.

في أول شباط ١٩٥٨ وقع كل من الرئيسين ناصر والقوتلي وثائق الوحدة.

علمنا، أن وفقاً للاتفاقية، كان على الجيش أن يبعد عن السياسة، والاحزاب السياسية السورية ستكون محلولة، وسيمنع الشيوعيون من نشاطهم. جميع المراكز الرئيسية ستدار من القاهرة. أبلغنا نائب مدير المخابرات المركزية، تشارلكز كابل، أن الجيش السوري كان يخشى من نمو النفوذ الشيوعي في البلاد، فكان المحرك الرئيسي للاتجاه نحو الوحدة.

ابلغتنا المخابرات المركزية أن عبد الناصر كان متردداً باديء الأمر في الانصهار مع سوريا بسبب قلقه من موقف السوفيات. ويبدو أنه وافق على الوحدة لأنه كان يشعر انه لا يستطيع الرفض، ولكنه كان يدرك جيداً ان الجمهورية العربية المتحدة الجديدة ستواجه مشاكل اقتصادية خطيرة، وعليها ان تجد وظائف جديدة لعدد كبير من الضباط السوريين الجدد.

كانت ردود الشرق الأوسط على إنشاء الجمهورية العربية المتحدة مختلفة . بالرغم ان الجماهير العربية بأسرها كانت ترى أن الوحدة هي الخطوة الأولى نحو الهدف المنشود منذ مدة طويلة ، فان حكوماتهم كانت تخشى من هذا الارتفاع في نفوذ ناصر ومركزه . كان الملك سعود غاضباً لوجود مثل هذا الالتحام العدائي ، وكانت الحكومة اللبنانية خائفة . اما بن غوريون فكان مشتبهاً . من بين الدول العربية ، اليمن وحدها ابدت بعض الحماس ، وسافر ولي عهد اليمن في الاسبوع الأول من شباط ليناقش نوعاً ما من الاتحاد بين بلاده والجمهورية الجديدة .

في رد على هذا التطور قرن الاردن والعراق بإنشاء اتحاد . كان الملك فيصل والملك حسين ابني عم وكلاهما كان شجاعاً . وسميا اتحادهما بالاتحاد العربي في ١٤ شباط أي بعد إسبوعين من توحيد مصر وسوريا . كان الملك فيصل وهو الاكبر سناً ، وحاكم الدولة الأقوى رئيساً للاتحاد، ولكن في جميع الحالات كانت الدولتان متساويتين . كان مجلس الوزراء متساو العدد بين الدولتين ويتناوب مقر اعماله كل ستة أشهر بين عمان وبغداد .

أغضب هذا الاتحاد الرئيس ناصر الذي ذهب الى دمشق ليقوم بسلسلة من الحشود الجماهيرية شن منها هجوماً على الاتحاد . وهرع أنصار عبد الناصر من لبنان الى دمشق للاشتراك مع الحشود في سوريا .

❦

في صباح ٦ آذار ١٩٥٨ ، بعثت برسالة الى الملك سعود ـ الرجل الذي كنا نأمل أن يصبح خصماً لعبد الناصر في الزعامة العربية . كان الملك حذراً في تعامله الرسمي الظاهري مع مصر وسوريا ، ولكنه كان يدبر المؤمرات، خلف الكواليس، ضد زعماء البلدين . ولكن نشاطه سرعان ما كشفه الكولونيل عبد الحميد السراج وزير الداخلية في الجمهورية العربية المتحدة في سوريا[1] . كانت النتيجة كما كان متوقعاً، فقد اعلن عبد الناصر معركة دعائية شاملة ضد الملك وسحب بعثته العسكرية من السعودية . وأخذت العلاقات بين البلدين تهدد بالانقطاع .

---

(١) كانت مؤامرة الملك سيئة التنظيم ، وقد حذر رجال مخابراتنا الملك بانه سيقع في الفخ ـ ولكن التحذير اما وقع في اذن صماء او انه اتى متأخراً .

وقد ازداد مركز الملك تزعزعاً ، وأصبح عدد كبير من شعبه يكن التعاطف مع الجمهورية العربية المتحدة . بالإضافة إلى ذلك فقد كان الملك لا يحظى بولاء العديد من اخوته واقربائه .

وأخيراً ، لما غدا شخصاً غير قوياً ، فقد اضطر الى التنازل عن معظم سلطاته . ففي ٢٤ آذار ، أولج لأخيه ولي العهد فيصل السلطة التامة على سياسة الدولة الخارجية ، والداخلية والمالية . هذا التسليم للسلطة أوصل الملك الى مجرد رئيس صوري ، واحتفظ بلقبه للعرش .

❦

في نفس ذلك الربيع أخذت اضطرابات خطيرة تنشب في لبنان . هذه الجمهورية الصغيرة التي يعد سكانها بمليون ونصف المليون إنها رسمياً دولة عربية ، و ٩٠ في المائة من سكانها يتكلمون العربية . إن الرئيس اللبناني شمعون ووزير خارجيته الدكتور شارل مالك مؤيدان للغرب . كانت السياسة اللبنانية منذ مدة طويلة تغضب العرب الآخرين .

مثلاً ، في عام ١٩٥٦ أغضب الرئيس شمعون العرب برفضه قطع العلاقات مع بريطانيا وفرنسا أثناء العدوان الثلاثي على مصر . في عام ١٩٥٧ ، بسبب قبول لبنان مشروع ايزنهاور ، رفضت مصر وسوريا استيراد عشرين طناً من التفاح اللبناني . لكن رئيس الوزراء اللبناني ، سامي الصلح كان العروة الوثقى بين المسيحيين والمسلمين — فقد كان مسلماً وموالياً للغرب .

من الناحية الشخصية ، كان الرئيس شمعون شديد التدقيق في الاستفسار عن صحتي أثناء نوبتي القلبية عام ١٩٥٥ . في ١٩٥٧ استطعت أن ارد له الجميل حين طلبت من الدكتور بودادلي وايت الذي كان متوجهاً الى الشرق الأوسط ، ليقوم باجراء فحوصات على رئيس الوزراء اللبناني حين اصيب بنوبة مماثلة حديثاً . بطرق شخصية ورسمية كانت علاقاتنا تزداد متانة .

بينما كانت حكومة شمعون ذات الوجه المؤيد للغرب مفيدة ، كانت كذلك محاطة بالاخطار من الداخل . في صيف ١٩٥٧ ، مثلاً ، حين قدم فوستر تقريراً

عن الإنتخابات البرلمانية التي انتهت منذ قليل ، أعرب عن قلقه ان الانتخابات قد قطعت شوطاً بعيداً باتجاهنا الى حد خلق التوتر الداخلي . فقد أبعد القوميون العرب المعتدلون عن مراكزهم ، وهاجمت المعارضة سلوك الحكومة في الانتخابات .

ثم في آخر نيسان ، وصلت الامور الى ذروتها . كان مفجر القنبلة إشاعة موثوقة مفادها ان شمعون قد ابدى موافقته على حركة لتعديل الدستور اللبناني بهدف الحصول على تجديد لولايته رئاسة الجمهورية ، ولم يكن ذلك قد تم لرئيس قبله . تشكلت على الفور معارضة مسلحة ضده .

حين وصلتني الانباء ، كنت مقتنعاً ان شمعون قد اقترف خطأ سياسياً . إذا لم يكن موافقاً بالفعل على التعديل الدستوري ، لكان دحض كل الإشاعات بمجرد ظهورها . لكنه لم يفعل شيئاً من هذا . أثارت هذه الأنباء استياء في صفوف المعارضة لبعض اسابيع ، وأخيراً انفجرت الثورة المسلحة في اوائل أيار في بيروت .

القوات الموجودة لدى الحكومة كانت ضئيلة جداً - تتألف من تسعة آلاف جندي ، والفين وخمسماية دركي . بالرغم ان الصورة للوضع كانت بعيدة عن الوضوح ، لكن الجيش اللبناني بدا انه يملك الاسلحة والقوة لقمع الثوار ، ما عدا حقيقة واحدة - رئيس الاركان اللواء فؤاد شهاب كان يظهر قليلاً من الحماس للسير في المعركة .

وراء كل هذا ، كان اعتقادنا العميق أن الشيوعيين هم المسؤولون الرئيسيون عن الاضطرابات ، وان شمعون كان مدفوعاً بمشاعره الوطنية القوية . انه اقدر السياسيين اللبنانيين ، وكان بلا ريب سيقبل عدم ترشيح نفسه مرة ثانية للرئاسة إذا تأكد له أن خلفه سيكون موالياً للغرب .

في صباح ١٣ أيار اجتمعت مع فوستر دالاس وآخرين لمناقشة رسالة من شمعون مستفسراً عما « سيكون عملنا إذا ما طلب مساعدتنا » . اجتمعنا في جو خال من الصبر بسبب اعتقادنا ان مشكلة شمعون كانت نتيجة الاستفزاز الشيوعي . بالرغم ان السوفيات كانوا يتبعون خطاً دعائياً ليناً ، فقد كانوا يتحركون في كل

مكان ، يثيرون الاضطرابات في فنزويلا ، واندونيسيا ، وبورما ، إذا ما استثنينا الشرق الاوسط . استطاعت الولايات المتحدة في الماضي على مديد العرن في مثل هذه الحالات . فإذا دعتنا الحكومة اللبنانية لمساعدتها ، فإننا سوف نتحرك بحزم وبانسجام تام مع الحكومة المحلية ومباديء الامم المتحدة .

طبعاً ، لو كنا لم نتدخل ، فإن العاقبة ستصبح شديدة بسهولة . أعرب فوستر دالاس عن رأيه قائلاً إذا ارسلنا قواتاً الى لبنان ، سيكون هناك ردود فعل شاملة في الشرق الاوسط واشتبه أن أنابيب النفط التي تمر من سوريا يحتمل تدميرها ، وأن قناة السويس قد تغلق ، وأن موجة الاستياء بين الجماهير العربية ستصبح قوية بحيث يتعذر على حكومتي الاردن والعراق التعاون مهما كانت رغبتها في ذلك . وردود فعل السوفيات ستكون موضوعاً آخر للمناقشة . لم تقلقني هذه النقطة إلى حد بعيد ، لأني كنت واثقاً أن السوفيات لن يقوموا بأي عمل ، إذا كانت حركة الولايات المتحدة ضاربة وقوية ، على الأخص إذا لم تكن اجزاء أخرى في الشرق الأوسط متورطة في العمليات .

عندما استمرت المناقشة ، أصبح واضحاً أن فوستر دالاس كان يحبذ العمل المباشر ، لكن أخاه آلن دالاس ، مدير وكالة المخابرات المركزية ، اتخذ موقفاً أكثر حذراً ، ملحاً على تأخير العملية لمدة اربعة وعشرين ساعة .

في الحقيقة كان تعلق آلن دالاس ، إذا حدث امر جذري في النهار ، اكاديميا ، لأن المشكلة الوحيدة المتوفرة حالاً كانت إبلاغ الرئيس شمعون عن المساعدة التي يستطيع أن يتوقع عندما نتلقى الطلب المناسب من حكومة لبنان .

كان ردنا اننا ، في الظروف الحاضرة ، سوف نتجاوب بكل قوة ولكن ضمن شروط ذكرت في الجواب الذي اشرت على وزير الخارجية ان يبعث به للرئيس شمعون : أولاً ، اننا لن نرسل قوات الولايات المتحدة الى لبنان بقصد الحصول على فترة ثانية للرئاسة . ثانياً ، يجب أن يحوز الطلب على موافقة دولة عربية أخرى ، ثالثاً ، إن مهمة قوات الولايات المتحدة في لبنان سيكون لها هدفان : حماية حياة وممتلكات الاميركيين ، ومساعدة حكومة لبنان الشرعية .

وافقنا فوراً على بعض الأعمال التمهيدية . في المرة الثانية ، سنرسل عناصر من الأسطول السادس الى شرقي المتوسط . وسنضع جماعات من المظليين في اوروبا أعدوا لنقل يحتمل إلى الشرق الأوسط ، وسوف نشحن جواً الى بيروت بمعدات بوليسية وعدنا لبنان بها من قبل وتتكون من أسلحة صغيرة ، وذخيرة ، وغازات المسيلة للدموع .

في الوقت الحاضر ، قررنا عدم تقديم تقرير الى الامم المتحدة ، مفترضين ان من الافضل على الحكومة اللبنانية ان تقدم تقريرها الى مجلس الأمن . بالإضافة ، أصررت على انه ينبغي التأكيد للرئيس شمعون على ان يصون استقلال لبنان من غير مساعدات خارجية إذا كان ذلك ممكناً . إن تدخلنا ينبغي أن يكون آخر ذريعة .

كما تبين لم يكن هناك حاجة للتدخل الفوري . فقد تمكن الجيش اللبناني من السيطرة على الانفجار الرئيسي . لكن كما يبدو كانت تنقصه القوة الكافية لإيقاف الثورة كلها . في أواسط شهر أيار غدت بيروت هادئة بالرغم من ان مدينة طرابلس كانت في نزاع بين الجيش والثوار .

في ٢٢ أيار طلب الرئيس شمعون اجتماعاً لمجلس الأمن الدولي للنظر في شكواه أن مصر وسوريا كانتا تحرضا ان على الثورة وتسلحان الثوار . ولم يكن هناك شك لدينا في صحة التهمة . كان الثوار أقوياء بحيث بدا أنهم يحاولون فصل شمال لبنان عن جنوبه تمهيداً للسيطرة على لبنان كله .

قدم الدكتور شارل مالك في ٦ حزيران إتهاماً طويلاً ضد الجمهورية العربية المتحدة الى مجلس الأمن . بعد أربعة أيام صوّت المجلس ١٠ ضد ١ (تمنعت روسيا عن التصويت) مطالباً الأمين العام بإرسال فريقاً من المراقبين العسكريين الى لبنان . لم تعترض الجمهورية العربية المتحدة . لوصل أول فريق من المراقبين الى المنطقة بعد يومين .

لقد أدهشنا الرئيس ناصر حين تمنع عن الاعتراض على إرسال مراقبين الى لبنان . لكن بدا لنا أنه فعل ذلك ليشير انه يرغب في إنهاء النزاع في لبنان . في نفس

الوقت الذي صوت مجلس الأمن فيه على إرسال مراقبين ، اتصل بنا الرئيس ناصر وعرض محاولة استخدام نفوذه لانهاء الازمة . وكانت شرطه ما يلي : ان ينهي شمعون فترة رئاسته ، وأن يخلفه اللواء شهاب ، الذي اعتبره الخبراء انه اقوى سياسي لبناني بعد شمعون ، وان يصدر عفو عام عن جميع الثوار . حولنا الرسالة الى شمعون بواسطة الطرق الديبلوماسية ، لنؤكد له أن حكومتنا لم تكن إلا رسولاً من هذه الناحية وأننا لم نكن مشتركين مع الجمهورية العربية المتحدة ضده . لكن الرئيس شمعون لم يفعل شيئاً في مشورة الرئيس ناصر .

وصل الأمين العام للامم المتحدة الى لبنان في ١٨ حزيران ، حيث حدثت هدنة غير معلنة لمدة ثمانية واربعين ساعة . استنتج همرشولد ان ادعاء الرئيس شمعون عن تسلل السوريين كان مبالغاً فيه .

في نفس ذلك اليوم ، سوئلت في موتمر صحفي ما يلي : « تحت أي ظروف سنكون مستعدين على اتخاذ عمل عسكري فيما يتعلق بالازمة اللبنانية ؟ » كنت عازماً من قبل على عدم التصريح بأي شيء يعوق فريق مراقبي الأمم المتحدة ، لذلك أجبت قائلاً : « ان الأمين العام تناول المسألة برمتها شخصياً . وعليه ، فإني أقول ان ما يمكن عمله يتوقف على استنتاج فريق المراقبين وعلى حكم الأمين العام . لكنني لن اتنبأ في هذا الوقت بالذات » .

حين علم بما دار في هذا الموتمر الصحفي ، أصبح الرئيس شمعون قلقاً ، رغم اننا كنا قد أكدنا له سابقاً أن نوايانا لم تتغير أساساً بسبب دخول فريق مراقبي الأمم المتحدة . (وردتنا تقارير بأنه كان في حالة رعب منذ يومين ، وقد حصل من مجلس وزرائه على إذن خطي بدعوة تدخل الولايات المتحدة او بريطانيا) . لكنني ، بعد المؤتمر الصحفي ، وجدت من الضروري أن أؤكد له بأن ملاحظاتي ينبغي أن تقرأ ضمن محتويات التفاهم المتبادل بيننا . بينت له انه منذ طلب لبنان وتلقى تأييد الامم المتحدة ، فإن الولايات المتحدة ستجد من غير ملائم العمل بالقوة العسكرية الا إذا أقرت الامم المتحدة بفشلها في المحافظة على السلام . من الواضح، اننا لو كنا تصرفنا قبل الاوان ، كان علينا تحمل نقد ومسوءولية انهيار جهود الامم المتحدة . أكدت الرئيس شمعون ، على اية حال ، أننا أثناء أي أزمة لن نكون

ملزمين بموافقة ومشاورة الأمين العام قبل تقديم العون العسكري ، لكن في مثل هذه الأزمة ، ينبغي ألا نعترض سبيل الأمم المتحدة . أكدت للرئيس شمعون ، مرة ثانية ، عن ثقتنا به ، لكنني كررت ايضاً ان إرسال قوات غربية الى بلاده سوف يخلق استياء العالم العربي . لذلك طلبت إليه بأن يعمل ما بوسعه لحل المشكلة بقواته .

في أوائل تموز بدا أن الأزمة اللبنانية سوف تمر من غير مساعدة الغرب العسكرية . فقد أعلن الرئيس شمعون لأول مرة علانية انه سوف يتخلى عن مركزه عند انتهاء مدة رئاسته في ٢٣ أيلول . كنا نشك في كفاية هذا التصريح لاقناع المعارضة التي كانت تريد منه ترك الرئاسة فوراً ، لكن هذا التعهد قد سلبهم عذرهم الأساسي . وبدأ البحث عن مرشح يكون مقبولاً لدى الجانبين .

❖

أخذ الوضع في لبنان بالاتجاه نحو الاستقرار ، لكن أحداثاً أخرى في بلد عربي جعلته عصبياً ثانية . ففي صباح الاثنين ١٤ تموز ١٩٥٨ ، أصبت بصدمة حين تلقيت انباء انقلاب في بغداد ضد العائلة المالكة الهاشمية . كنا نعتبر تلك الدولة انها حصن الاستقرار والتقدم في المنطقة .

بدى أن الجيش بمشاركة الجماهير تحرك نحو القصر الملكي وقتل الأمير عبدالاله . أما مصير كل من الملك فيصل ونوري السعيد فقد كان مشكوكاً فيه . كنا نخاف الأسوأ . ان هذا التحول في الأحداث ، يستطيع ، إذا لم يكن هناك يد من جانبنا ، ان يعمل على إزالة النفوذ الغربي كلياً في الشرق الأوسط . في ليلة واحدة تغير هدفنا من تهدئة وضع مضطرب إلى مواجهة أزمة شديدة . شغل لبنان ، مرة ثانية ، قلقنا بسبب الصراع الداخلي فيه .

في ذلك الصباح ، جمعت في مكتبي جماعة من المستشارين لأتأكد أن لا ناحية من الوضع ستترك مهملة . نظراً لدراستي الطويلة للمشكلة ، فقد صممت في هذا الاجتماع على اتخاذ خطاً عاماً من العمل ، حتى قبل أن نجتمع . كان الوقت يدنو بسرعة ، وكنت أثق اننا يجب أن نتحرك نحو الشرق الأوسط ، وخاصة الى لبنان

لوضع حد للانزلاق نحو الفوضى . وعامل آخر كان يشغل قلقي العميق ، وجود عدد كبير من الأميركيين في لبنان كانت حياتهم مهددة بالخطر .

في مراجعة الوضع ، أبلغني مدير المخابرات المركزية آلن دالاس أولاً عن الحقائق كما عرفها فقال : « إن الانقلاب نفذته عناصر مؤيدة للرئيس ناصر في الجيش العراقي ، وان حكومة «جمهورية» قد شكلت وتضمنت أشخاص ناصريين . لم يكن لدينا معلومات بعد ما إذا كان ناصر نفسه وراء الانقلاب . فرض نظام منع التجول في العراق ، وأحيل ما يقارب خمسين ضابطاً عراقياً الى التقاعد . لم تردنا تقارير عن القوات العراقية خارج بغداد ، وكان هناك احتمال وجود ألوية على حدود او داخل الاردن وقد تكون موالية للملك . اختفى كل من الملك فيصل ورئيس الوزراء نوري السعيد ، ويفترض انهما ميتان » . (علمنا فيما بعد ان كلًا من الملك ونوري السعيد قد قتلا وأن ألوية الجيش أيدت النظام الجديد) .

وأضاف آلن دالاس قائلاً : « كان الملك حسين هدف مؤامرة ، لكنه يبدو انه على ما يرام في الوقت الحاضر . لقد تصرف بجرأة بإعلانه انه الرئيس الجديد للاتحـــاد العربي وقائد قواته المسلحة . ولا نرى كيف يمكنه تنفيذ ذلك . إن إسرائيل قلقة على ما يبدو . وقد طلب المتطرفون الاسرائيليون منه الاستيلاء على ذلك الجزء من الاردن – الضفة الغربية .

وقال آلن دالاس : « في لبنان ، حكومة شمعون مهددة بالخطر ، وقد طلبت رسمياً بواسطة سفيرنا ان تتدخل الولايات المتحدة وبريطانيا خلال ثمانية واربعين ساعة . وأن الرئيس شمعون غاضب جداً لأننا لم نرسل قوات الولايات المتحدة لتدعمه . وقد تعهد بمواصلة القتال ، وطلب من اللواء شهاب بأن يطيع الأوامر أو يترك مركزه » .

وقال آلن دالاس أن الملك سعود قلقاً سراً وقد طلب تدخل دول حلف بغداد في العراق ، بحيث بقيت السعودية وحدها أمام الجمهورية العربية المتحدة .

لقد حان وقت العمل . لكن هناك بعض الروتينيات التي يتوجب إتمامها أولاً مع عائلتنا . التفت الى وزير الخارجية دالاس وقلت : « قدّم لنا يافوستر تحليلك

عن التدخل الأميركي في لبنان . ماذا بوسع روسيا أن تفعل ؟ »

فأجاب : « من المحتمل أن تقوم روسيا بإيماءات تهديد نحو تركيا وايران بوجه خاص ، لكنها لن تتصرف إلاّ إذا كانت واثقة من نتائج حرب شاملة لصالحها » . لم يعتقد فوستر أن السوفيات سيقومون بهذه التجربة بسبب إحترامهم لقوتنا — وبوجه خاص لقاذفات قنابلنا الساحقة .

على أية حال ، فقد كانت قضية التدخل بعيدة عن جانب واحد . فقال فوستر دالاس : « إذا ذهبت الولايات المتحدة الى لبنان ، فإننا نتوقع رد فعل سيء الطالع من معظم الدول العربية » . وكرر تصريحه السابق أن انابيب النفط عبر سوريا سوف تُقطع ، وقد نُمنع من استخدام القناة . والملك سعود بالرغم من رغبته الشخصية في تدخلنا ، فلا يمكنه المساعدة في شيء . سيضطر البريطانيون للتحرك الى الكويت لحماية نفطهم ، وقد ترى الولايات المتحدة ضرورة مضاعفة قوتها في الظهران في السعودية .

ومضى فوستر دالاس قائلاً : « امـــا بالنسبة الانقلاب في العراق ، فتنقصنا الأدلة المتينة بتدخل الرئيس ناصر . اما من حيث أمكانية خلق ثورة مضادة ، فذلك يتوقف على نوري السعيد ، الذي كما نعلم جيداً انه ربما مات . فإذا كان ميتاً ، فأي عمل مضاد في العراق سيكون بعيد الاحتمال » .

قدّر فوستر ان الرأي العام في اوروبا الغربية وربما أميركا اللاتينية سيكون موءيداً لتحركنا الى لبنان . معظم الدول الآسيوية — الهنـــد وسيلان ، ودول افريقيا المستقلة حديثاً ستعارضنا . وزعماء كثيرون في تلك الأمكنة قد يرحبون سراً لكنهم يخشون الحديث .

إن المسألة الحاضرة ، من وجهـة النظر القانونية ، تختلف تمامـاً عن الغزو الانكليزو — فرنسي على مصر . إن تدخلنا سيكون استجابة لطلب حكومة شرعية ومتمشياً مع المباديء المذكورة في مشروع الشرق الأوسط . غير أن فوستر حذّر أن كثيراً من الناس لن يدركوا الفرق وقد تنشب معارضة محلية .

بعد هذا الأجتماع المتطاول ، نظمت اجتماعاً مع جماعة من النواب تمثل الحزبين لتشاور شامل . في الساعة ٢،٣٠ من ذلك النهار – ١٤ تموز ، دخل الى مكتبي اثنان وعشرون زعيماً من مجلسي الشيوخ والنواب . لم يكن الجو مرحاً حين قدم كل من آلن وفوستر دالاس تحاليلهما . كان هدف الاجتماع ، في طبيعة الحال ، اختبارياً من جهتي أنا ، كنت أريد معرفة آراء زعماء الكونغرس وتزويدهم بآخر استخباراتنا وخطوط العمل قيد الدراسة . كان ضيوفي كثيبين ، ولكن موقفهم ، في الوقت الحاضر ، لم يعكس أي شيء حزبي . كانت المحادثة كلها بناءة . إحدى زوايا المناقشة كانت حول دور الأمم المتحدة ، وعن الزمن الذي سنعلم المنظمة فيه عن عملنا . هنا راح فوستر يشرح المادة ٥١ من ميثاق الأمم المتحدة ، التي تسمح لدولة ما بالعمل على أساس الطوارىء على أن تسلم المشكلة في أول فرصة للامم المتحدة .

ذكّر بعض اعضاء الكونغرس بفعالية سياستنا ازاء ازمة السويس عام ١٩٥٦ وشعروا ان التدخل في لبنان سيعقبه رد فعل معارض . اشرت الى الفرقين الأساسيين بين الوضعين . في الحالة الأولى ، تضمنت هجوماً ضد مصر وحكومتها – وإن الذي نقوم بدراسته الآن هو الدخول الى لبنان للدفاع عن شعب برغبة حكومته .

ابدى رئيس الكونغرس سام رايبورن تخوفه بأننا نتدخل في أمر يعتبر حرباً داخلية على نحو صارم . كان السناتور فولبرايت أكثر شكوكاً من الجميع حين اعرب عن شكه بأن الأزمة موحاة من الشيوعيين .

وقال بأنه يرى ان فشل داغ همرشولد في التعرف على مصدر تأييد الثوار ينبغي أن يبعد تدخلنا .

وقال النائبان روبرت تشبرفيلد وكارل فينسون أن ليس لدينا خيار إلا بالتحرك . وقال النائب جون فوريز من أوهيو أن السوفيات اعتبروا الصراع اليوناني عام ١٩٤٧ حين قدمت الولايات المتحدة معدات ومشورات بأنه لم يكن غير حرب أهلية .

في نهاية الاجتماع ، كنت متأكداً أن الكونغرس ، بينما لا يحاول تعويق تدخلنا في ابنان ، فإنه إذا حصل شيء طاريء أكبر ، لن يؤيد أي عمـــل واسع النطاق أكثر مما نوقش في الاجتماع . باستثناء قلائل أمثال ، فينسون ، فويز ، وتشيبرفيلد ، لم يتحدث أي من الزعماء عن تأييده للتدخل في لبنان . غير أن سلطة عمل كهذا تقع ضمن مسؤولية السلطة التنفيذية ، لذلك لم يسمع صوت أي معارضة مباشرة . على أية حال ، كانت المسألة واضحة بالنسبة لي - وعليه يجب التحرك .

عند إرجاء الأجتماع ، ناقشت مع زملائي احتمال مشاركة البريطانيين في إنزال القوات . اعترضت على هذا لأنني كنت أشعر أن قوات الولايات المتحدة كانت كافية ، وبوجود ثلاثة آلاف وسبعماية جندي بريطـــاني في قبرص ، سيكونون احتياطاً لأغراض أبعد من حدود مشروع الشرق الأوسط .

اما بالنسبة لخطط ووجود القوات التي ستنزل في لبنان ، أشار الجنرال توايننغ ان هناك ثلاثة كتائب بحرية من البحر ، في شرقي المتوسط ، مستعدة للتحرك في أي وقت . كان عاملان الزمن والمسافة يشيران أن الكتيبة الأولى ستصل الى الشاطيء وحدها عند الساعة الثانية عشر تقريباً . أشرت بأن يكون النزول بعد ظهر اليوم التالي في الساعة ٣ بتوقيت بيروت .

تحركت عناصر الأسطول السادس على الفور ، وكانت الكتيبتان في اوروبا المعدتان للتحرك إلى الشرق الأوسط ستتلقيان اوامرهما في نفس الوقت الذي ستنزل فيه أول دفعة من البحرية على الشاطيء اللبناني . في هذا الوقت ، كان علينا طلب انعقاد جلسة طارئة لمجلس الأمن الدولي في أقرب وقت ممكن ، أي في صباح ١٥ تموز . تجنبت الادلاء بأي تصريح إلا بعد ان يتم نزول القوات فعلاً .

انفض الأجتماع ، وغادر وزير الدفاع مسرعاً لتولي مهامه الفردية ، بقي فوستر دالاس معي ، فأخذت الهاتف واتصلت بهارولد ماكميلان . وجدت ماكميلان منسجماً مع قراري ، ومتحمساً . وافق بدون ان يزيد على وجهة نظري بأنه ينبغي على القوات البريطانية البقاء في قبرص كاحتياط ريثما تحط قوات الولايات المتحدة . وقال انه قد تلقى طلباً من الملك حسين . (أضحكتني جهود ماكميلان في اللغز على الهاتف فقال : — وردنا طلب من الشابين الصغيرين » أي حسين وشمعون) لكنه

كان قلقاً إزاء ادراكنا المدى الذي تستطيع الحالة التوصل إليه . وطلب ضماناً مني بأننا سنبقى معاً في هذا العمل وعلى طول الطريق . أكدت له ذلك مع العلم بأنني أستطيع اتخاذ عمل ما فقط من جانب واحد . كانت الحكومة تتحرك إنسجاماً مع بنود مشروع الشرق الأوسط ، أما إذا توسع نطاق الصراع الى شيء خارج حدود المشروع ، فإنني سوف ألجأ الى الكونغرس لتفويض إيضافي .

من الواضح ان قرار إرسال قوات الى لبنان لم يتخذ بسهولة . في دراسة الأمر ، كما تدرس سائر القرارات العادية التي تتضمن عمليات حربية ، كانت المشكلة أختيار إحدى السبل الممكنة للعمل التي تثير اعتراضاً ضئيلاً . مثلاً ، حين بادرنا في تحديد يوم الهجوم بغزو نورماندي عام ١٩٤٤ ، كان القرار ما إذا كنا سنهاجم تحت أخطار حالات الطقس السيئة ، أو أننا سنجمد لمدة اسبوعين القوات الضاربة المنتظرة العمل . لم يكن أي من البديلين جذاباً . أما في لبنان ، فقد كان السؤال ما إذا كان من الأفضل أن نستفز استياء كل العالم العربي (وبعض العالم الحر) وبفعلنا هذا ، كنا نجازف بحرب شاملة مع الاتحاد السوفياتي - والأسوأ من كل شيء ، إذا توقفنا عن فعل أي شيء . في كل من اليوم المحدد لشن الهجوم على نورماندي، وإنزال قوات في لبنان، كان هناك بعض الشك في ذهني بصحة القرارين. بالرغم من التباين الشاسع في حجم العمليتين ، فالعواقب الممكنة في كلتا الحالتين ، لو سادت الأحوال ، كانت فاترة .

طبعاً ، ان قرار التدخل كان يمثل فقط ، خطوة واحدة في جهودنا لإعادة الاستقرار للشرق الأوسط . كان علينا أن نشرح للشعب الأميركي والى العالم أسباب عمل كهذا . لذلك ، كتبت تصريحاً للمستر هاغارتي وطلبت منه أن ينشره في ١٥ تموز . كان توقيت صدور البيان يتوافق مع إنزال القوات . أشار البيان إلى طلب الرئيس شمعون بإرسال قوات الولايات المتحدة ، وأكد البيان أن طلب شمعون كان بموافقة مجلس وزرائه :

« استجابة لمناشدة الحكومة اللبنانية ، أرسلت الولايات المتحدة قوات اميركية الى لبنان لحماية أرواح الأميركيين ، ولتشجيع الحكومة اللبنانية بوجودها هناك على الدفاع عن سيادة لبنان واستقلاله . لم ترسل هذه القوات للقيام بأي عمل حربي .

إنها ستعبر عن اهتمام الولايات المتحدة باستقلال لبنان و كرامته ، الذي نعتبره حيوياً للمصلحة القومية والسلام العالمي . سنظهر اهتمامنا بواسطة المساعدة الاقتصادية . سوف نعمل وفقاً لهذه الاهتمام المشروع ».

أعلن البيان عن عزمنا بتقديم تقرير الى الاجتماع الطاريء لمجلس الأمن الدولي ، واننا سوف نشرح باننا قد تصرفنا ضمن الحق المتأصل بالدفاع عن النفس الجماعي الذي ينص عليه ميثاق الأمم المتحدة .

اثناء النهار ، كررت نفس المعلومات ثلاث مرات : في رسالة الى الكونغرس ، في إعلان كابوت لودج أمام الأمم المتحدة ، وأخيراً بواسطة الرسالة التي أذعتها من الإذاعة والتلفزيون في الساعة السادسة والنصف مساء . في تلك المحادثة ، رسمت خطاً بين الوضع في لبنان وبين ما واجهناه في اليونان عام ١٩٤٧ .

تفادياً لأي سوء فهم عن موقفنا ، أكدت مرة ثانية بأن الولايات المتحدة ليس لها نية في أخذ مكان الأمم المتحدة في مسؤوليتها البدائية بالمحافظة على السلام والأمن الدوليين . لقد شعرنا بضرورة العمل الفوري ، لأن العمل السريع وحده كان يكفي . أعربت عن أملي في أن التدابير التي اتخذتها الأمم المتحدة ستحفظ استقلال لبنان ، و « تفسح لقوات الولايات المتحدة الطريق بالانسحاب » .

كنت عازماً بأن يدرك الشعب الأميركي الوضع ، فقلت : « إنني أدرك أن إنزال القوات الأميركية في لبنان قد تؤدي إلى عواقب خطيرة . من أجل ذلك فقد اتخذنا هذه الخطوة بعد دراسات جدية واستشارات واسعة . وقد توصلت إلى استنتاج صريح أن العمل الذي أتخذ كان لمصلحة الولايات المتحدة . كان مطلوباً منا تأييد مبادىء العدل والقانون الدولي التي يستند عليها السلام والاستقرار الدولي » .

إن المهمة الأساسية لقوات الولايات المتحدة في لبنان لم تكن القتال . عملنا كل جهد لجعل تدخلنا يبدو كخطوة للحماية وليس أكثر . اثناء خطابي ، كنت حذراً في استعمال عبارة « المقيمة في » بدلاً من « الغازية » . لو كنا تروينا في الأمر ، لكنت فضلت ان تنزل الكتيبة الأولى على المرفأ بدلاً من الشاطيء . على اية حال ، لم يكن موقف الجيش اللبناني معروفاً في هذه اللحظة ، وكان من الحكمة إن تحط

القوات في تشكيلات منتشرة مستعدة لأي طارىء . كما تبين ، لم يكن هناك أي مقاومة ، في الواقع أخذ اللبنانيون المقيمون على الشاطيء يرحبون بقواتنا . إن الأهداف الجغرافية لنزول القوات تضمنت مدينة بيروت فقط ، والمطار .

كانت أخبار ١٥ تموز من الناحية العسكرية طيبة . جاء الجنرال توينيغ لمشاهدتي في صباح ذلك اليوم ليبلغني أن عملية الانزال تمت على خير . وصل فريق من الكتيبة الثانية التابعة لفوج البحرية الثاني (الف وسبعمائة رجل) في الوقت المعد له . كان في استقبال القوات اللواء شهاب ، والأميرال هولواي والسفير الأميركي روبرت ماكلينتوك ، حيث شاهدوا القوات على طريق المطار ، وبعد تأخير قليل أوصلوها لبيروت . وصلت الكتيبة الثانية عند الفجر في اليوم التالي ، والثالثة عند هبوط الليل . أما كتيبتان المظليين في المانيا باستطاعتها الوصول خلال اثني عشر ساعة بعد أن يطلبها الجنرال هولواي . وهذا سيعطينا قوة محترمة جداً في المنطقة .

قـــال الجنرال توايننغ ان رؤساء الأركان أشاروا بانتشار ناقلات الجنود الى المراكز الأمامية ، وازدياد حالة التأهب في قيادة الجو الاستراتيجية بأكثر من الف ومائة طائرة جاهزة مع ملاحيها .

بالإضافة إلى كتيبات البحرية الثلاث والكتيبتين الجويتين من المانيـا ، فقـد اتخذت تدابير استعدادية أخرى . كانت فرقة البحرية الثانية مستعدة للابحار في الوقت الحاضر ، لم أر أي حاجة لهذه القوات الاضافية ، وبدلاً من استئجار سفن اضافية ، أشرت الى الجنرال بأن يحتفظ بجدول السفن المتيسرة .

كانت ردود الفعل على إنزال القوات ، هنا وفي الخارج كما كنا نتنبأ . ذكرت جريدة النيويورك تايمز في ١٥ تموز ما يلي :

« قال اركادي سوبولوف ان الولايات المتحدة اقترفت « عملاً عدوانياً ضد العالم العربي » .

في واشنطون ... أيد الديمقراطيون قرار الحكومة بحزم . عدد من الديمقراطيين اعربوا عن نتائج خطيرة لكنهم قالوا ان منذ ان الجنود الأميركيون متورطين فعليهم أن يمضوا مع القرار في مصلحة الأمن القومي ...

قال كل من الرئيسين السابقين هوفر وترومان ان ليس للرئيس ايزنهاور أي خيار إلاّ بالعمل لإنقاذ لبنان ».

في الخارج ، كانت ردود دول الحياد كما كان متوقعاً . انتقاد مرير لسياسة الولايات المتحدة . ولكن كان هناك بعض الشعور بالمرارة والاستياء نحو القرار الأميركي في بعض الأوساط الغربية . مثلاً ، المانيا الغربية التي تقف في وسط الدفاع الامامية في اوروبا ، كانت قلقة من خطر حرب شاملة ... صاح زعماء حزب العمال المعارضة البريطانية « يا للعار ! » حين دافع سلوين لويد عن الولايات المتحدة في مجلس العموم .

... هناك إشاعات ان الملك حسين ، ملك الاردن ، يخطط على التحرك نحو العراق ليعيدها الى المعسكر المؤيد للغرب ... »

بعد بضعة أيام ، احتشد جمهور خارج السفارة الأميركية في موسكو واحدث بعض الأضرار ، وطار ناصر الى تلك المدينة للاجتماع مع خروتشوف .

وردت تقارير سرية عن موقف الحكومة – ونادراً ما وصلت الى الصحف – كانت تتدفق من سفاراتنا ومن مصادر أخرى . أمتدت ردود الفعل من اطمئنان في تركيا والباكستان إلى تنديد صارخ من السوفيات .

أرسلت اليّ مقتطفات من تقارير سرية في ١٨ و ١٩ تموز من المخابرات :

تموز ١٨ : – يحاول شمعون إبعاد العناصر غير الموالية من الجيش اللبناني . كانت ردود فعل الحلف الاطلسي على مساعدة بريطانيا للاردن مرضية على العموم ، بالإضافة الى تأييد معظم المندوبين . . ترحب اسرائيل بالتدخل الأميركي والبريطاني – وسوف تتحرك إذا سقط حسين . إن الوضع في الاردن هادىء ومستقر . يخشى المصريون توريط الاتحاد السوفياتي ، وينظرون الى تحذير الولايات المتحدة ضد أي هجوم على القوات الأميركية بأنه إنذار . ليس لشمعون السلطة في ابعاد العناصر غير الموالية من الجيش . تشير التقارير ان السوفيات يقومون بتدابير سياسية ودعائية واسعة النطاق ، ولكن من غير توريط ومن غير تحركات عسكرية فعلية . هناك

دلائل تؤكد احتمال اصطدام القوات اللبنانية المسلحة والثوار مع البحرية الأميركية . في العراق ، يبدو أن الانقلابيين يسيطرون على الوضع وأنهم يستجمعون مراكزهم ... تفيد المعلومات أن الجيش اللبناني كان ينوي مبادرة مقاومة البحرية الأميركية لكنه أوقف في اللحظة الأخيرة .

تموز ١٩ : ـ يواصل الاتحاد السوفياتي مهاجمة التدخل الغربي في لبنان والاردن، ولكن من غير توريط ، وبتصريحات حذرة جداً بالنسبة للعمل ... إن موقف الجيش اللبناني لم يزل غير قاطع، مع احتمال هجمات ارهابية على القوات الأميركية ، يبدو أن نهرو يريد أن يقوم بدور الوسيط ، كما حاول في ازمتي السويس وكوريا . يرغب الأتراك بالتحرك الى العراق ، ويقولون انهم قرروا القيام بذلك ، إيطلبون دعم الولايات المادي والأدبي (ضد الاتحاد السوفياتي) كانت ردود فعل الجمهورية العربية المتحدة على التحذير الأميركي شديدة ، وخاصة لأن تحذيرنا كان ضد القوات المعروفة أنها تابعة للجمهورية العربية المتحدة . إن ردود فعل اليمن نحو الانقلاب في العراق حيث تخشى العائلة الحاكمة هجوماً عليها . يؤكد فيصل حياد السعودية على نقيض الملك سعود الذي يلح باهتياج شديد على عمل مؤيد للغرب ضد العراق . نقلت بريطانيا كتيبة الى عدن ، وفوضت المستشار البريطاني في الكويت بطلب قوات في حال الاضطرابات ، لكن القلق لم يزل يخيم على الكويت بسبب عدم كفاية نظام الحكم . في العراق ، أعربت الحكومة عن رغبتها بالتقيد بارتباطاتها التجارية وبانشاء علاقات طيبة مع الولايات المتحدة وبريطانيا . يبدو أن وزير الداخلية عارف هو المنظم الحقيقي للانقلاب ..

بالاضافة الى تدخلنا في لبنان ، تحركنا بكل نشاط لتقوية مركزنا السياسي في اجزاء أخرى من الشرق الأوسط . لم يكن الاتراك راضين على كل الاوضاع ، وخاصة على حدودهم . كان هناك بعض الشك بموقف العراق . أعربت الحكومة الجديدة بقيادة اللواء قاسم ـ ديكتاتور ذو مزاج غير مؤكد ، أعربت بسرعة عن رغبتها بالصداقة مع الدول الغربية ، وكانت تتعاون على حماية أرواح وممتلكات الأميركيين والبريطانيين حين أجلينا بعض مواطنينا . غير أن أهداف تلك الحكومة كانت مجهولة ، وادركنا ان في مقدرتها اتخاذ عمل عسكري مفاجيء

ضد الاردن أو الكويت . أما في السعودية ، فكان هناك خطر دائم بالانقلاب .

لكي نضع ضماناً ضد هذه الاحتمالات ، وحتى نؤكد لأصدقائنا في المنطقة ، وافقت على نصيحة رؤساء الأركان على تحركات بحرية لفريق من البحرية المحاربين المنتشر على او كيناوا باتجاه الخليج الفارسي كمحطة . هناك باستطاعة البحرية حماية الكويت ضد تحركات عراقية ممكنة نحو الكويت ، أو أن تكون مستعدة في حال تهديد أمن الحكومات الصديقة . وافقت على تحركات القوة الجوية الموجودة في غرب اوروبا الى قاعدتنا في اضنة في تركيا .

وأخيراً ، اشرت الى الجنرال توايننغ بأن يستعد ، بعد موافقتي ، على استخدام أي وسيلة تكون ضروريه لمنع أي دولة غير صديقة من التحرك الى الكويت . في حالة التوتر السائدة حينئذ ، لم تكن هذه التدابير تؤدي بنا الى حرب شاملة أكثر مما وصلنا إليه .

❖

من الناحية الإعلامية والدعائية كنت مستاءً حين علمت أن مقـدرة الدول الغربية كانت غير مرضية . في الواقع ، كنا بحاجة الى البريطانيين الذين ، بسبب قلة المال ، اضطروا الى إغلاق محطة إذاعة في الشرق الأوسط التي كانت مفيدة في هذا الوقت . في واشنطون أبلغت ان مندوباً لصوت أميركا (أذاعة حكومتنا الى ما وراء البحار) قد حاول الحصول على تصريح من أحـد أعضاء مجلس الشيوخ يعارض فيه إنزال قواتنا في لبنان . أطلعت وزير الخارجية دالاس وأنا في حالة غضب أن تسهيل هذه السياسة المسماة بـ « الاذاعة الحرة » كانت بعيدة المدى جداً . وقلت له ، أن صوت اميركا ، ينبغي أن يستخدم الحق كسلاح لتأييد أهداف العالم الحر ، وليس لها أي إذن لنيل تصاريح خالية من التأييد المحلي لسياسة اميركا الخارجية .

عملت بمشورة دالاس وبعثت الى لبنان ممثلاً كفوءً . أرسل السفير روبرت مرفي في الحال لانجاز أفضل تناسق ممكن بين رسميي الولايات المتحدة في بيروت وبين السلطات اللبنانية .

أثناء كل هذا الوقت كنا على اتصال دائم مع رئيس الوزراء ماكميلان . بعد يومين من وصول المارينز الى لبنان ، ناقش مجلس الوزراء البريطاني إمكانيات المزيد من العمل في الشرق الأوسط . في ١٧ تموز قررت الحكومة البريطانية ، استجابة لمناشدة الملك حسين ، بإرسال الفين ومائتين مظلي من قبرص لدعم نظام حكمه المزعزع . لا ريب أن البريطانيين كانوا متأثرين بتقارير عن مؤامرة خطيرة على حياة الملك .

أرسل سلوين لويد الى واشنطون لاجراء محادثات معي ومع فوستر ، وكرر اقتراح ماكميلان في جعل عملية الاردن مشتركة بين الولايات المتحدة وبريطانيا . شرحت له ، أن في تلك اللحظة ، كنت متورطاً مع الكونغرس بالتدخل في لبنان فقط . لكن الى جانب القوات المقاتلة ، نستطيع تأييد البريطانيين في أي طريقة ممكنة . علاوة على ذلك ، تعهدت أن إذا تعرض البريطانيون لأي مشكلة ، فانني سأتخذ كل التدابير الضرورية لجعل عمليتهم ناجحة .

المشكلة التي كان يواجهها البريطانيون ، كانت وسيلة الوصول الى عمان ، عاصمة الاردن . أسرع وأقرب طريق جوية الى عمان المرور فوق إسرائيل ، ويتوجب طلب الاذن على ذلك . وافق رئيس الوزراء الاسرائيلي ، بن غوريون بالسماح للطيران فوق إسرائيل ولكن بعد أن اتصل بفوستر دالاس في الساعة ٢،٣٠ صباحاً توقيت واشنطون ليتأكد من مساندة الولايات المتحدة لطلب بريطانيا . وافقنا على ذلك ، وأنزلت القوات البريطانية في عمان في ١٧ تموز من غير أي صعوبة .

لم تكن مشكلة وسيلة الوصول محلولة تماماً . ولم يكن بن غوريون محبوباً في إسرائيل ، وكان السوفيات يضغطون عليه لسحب إذن المرور . كانت هناك طرق أخرى لتزويد الاردن وكنا نأمل أنها ستستخدم قريباً . إحدى هذه الطرق ؛ ستكون من قاعدة سلاح جو الولايات المتحدة في الظهران ، في السعودية . أعدت الخطط التموين من هذه المنطقة . ولكن في آخر لحظة ، سحبت الحكومة السعودية (لا ريب أن الأمير فيصل شقيق الملك سعود هو الذي تصرف) إذناً بالسماح للطائرات الأميركية من الخروج من هذه القاعدة . في حالة طارئة للغاية سيكون ضرورياً تجاهل قرار الحكومة السعودية .

لكن ، بقي أيضاً ، ميناء العقبة . غير أن الطريق المؤدية إلى عمان من العقبة ، لم تكن موجودة عملياً . كانت طريق صعبة جداً . لذلك ، في الوقت الحاضر ، كان لا بد من تموين البريطانيين والاردنيين من خـــلال الفضاء الجوي لعدو الاردن اللدود .

حين وصل السفير مرفي الى بيروت في ١٩ تموز ، زار لتوه الرئيس شمعون فوجده عصبياً وكئيباً . كان شمعون مرهقاً لدرجة انه أحياناً كان يفقد ذاكرته ، ويجد صعوبة في تذكر ما كان يقوله قبل بضعة ثوان . وقد قاسى نوبتين قلبيتين ، وبقي سبعة وستين يوماً لازماً قصر الرئاسة . وقد لوح مرة انه يتوقع أن يستقيل قبل ٢٤ تموز كي يرغم البرلمان على الاجتماع . غير أن وصول القوات الأميركية بدى يرفع ثقته ومعنويته ، وتحدث عن إصدار امر الى اللواء شهاب بمهاجمة الثوار . لاحظ سفيرنا في لبنان المستر ماكلينتوك أنه سمع حديثاً مثل هـذا منذ شهرين ، لكن الرئيس قال أن الوضع يختلف .

كانت هناك احدى المشاكل الديبلوماسية غير المتوقعة ، وقد حلّت على الفور . في اليوم الذي سبق وصول المستر همفري ، بعث عادل عسيران رئيس مجلس النواب اللبناني برسالة إليّ والى مجلس الأمن ، يعترض على انزال قوات الولايات المتحدة . وقد كان ذلك بمثابة وقود لشعلة استياء القوميين العرب . حين أثار بوب مرفي التأثير الدولي لرسالة عسيران ، وافق الرئيس شمعون على كتابة رسالة رسمية يفسر فيها الوضع . وصلت الرسالة في ٢١ تموز . بعد أن أعرب عن امتنانه للولايات المتحدة قال في رسالته :

« لقد لفت انتباهي أن السيد عادل عسيران ، بصفته رئيساً لمجلس النواب ، قد اعترض على انزال القوات ، في رسالة بعثها إليك ولمجلس الأمن الدولي . إن هذه الرسالة لا تعبّر إلا عن آراء السيد عسيران الشخصية . لأن رئيس مجلس النواب ليس له وضع دستوري ، كما يبدو واضحاً للواقـــع أنه غير مذكور على الاطلاق في فقرات الدستور اللبناني . إنه نائب كبقية النواب وبين النـــواب ، ينتخب فقط ليترأس جلسات مجلس النواب ، وليدير شؤون إدارة المجلس ، ويمثل المجلس في مناسبات رسمية .

أود أن اؤكد لك ، يا سيدي الرئيس ، اننا سعداء لوجودنا جنباً إلى جنب مع الدولة الأميركية العظمى ، لا تدافع على استقلالنا وكرامتنا ضد العدان المباشر فحسب ، بل تدافع على المبادىء السامية التي يؤمن بها العالم الحر ويعيش فيها » .

المخلص
كميل شمعون

بقي مرفي في لبنان وظل في اتصال مع وزارة الخارجية . ثم ذهب فيما بعد إلى العراق ليقدم ضمانات إلى اللواء قاسم ، وأخيراً ذهب إلى القاهرة واجتمع مع الرئيس ناصر .

بالرغم ان الوضع العسكري والديبلوماسي في لبنان بدى الآن هادئاً ، لكن القلق كان يسود الوضع بالنسبة لتموين البريطانيين في الاردن . لأن وصول النفط من العراق كان قد قطع عن الاردن ، كنا الآن ملزمين بتموين هذا البلد بالزيت والبنزين . كان الاردن يحتاج الى ١٠٥٠٠٠ برميل من هذين الصنفين في الشهر على الرغم من هذه المشقات الاضافية على تدابير التموين ، فقد طلب كل من الملك حسين وهارولد ماكميلان للمرة الثانية اشتراك قوات الولايات المتحدة مع البريطانيين في الاردن . لكنني في الوقت الحاضر ، كنت أرى أن خطوة كهذه غير حكيمة وغير ضرورية .

بعد اسبوع من وصول قواتنـــا الى لبنان ، أبلغني ماكميلان أن القوات البريطانية في الاردن لديهـا مؤونة اثني عشر يوم من الزيت ، وذخيرة لبضعـة أيام فقط للعمليات المحلية . عـلاوة على ذلك ، كان لم يزل يواجه صعوبات من قبـل بن غوريون بشأن التحليق فوق اسرائيل لأن الاسرائيليين قد اختصروا مدة التحليق أثناء النهار . لذلك، طلب ماكميلان دعم الولايات المتحدة ، ودعى الولايات المتحدة على القيام بالنقل الجوي لصالح البريطانيين . فأجبته بما يلي :

عزيزي هارولد ،

تلقيت نهار أمس رسالتك بشأن الاردن بعد أن تناولنا أولاً مسألة التموين ، فاننا مستعدون من حيث المبدأ على تقديم المزيد من المساعدة في هذا الخصوص . أنا

أدرك اننا نشحن النفط من لبنان الى الاردن محلقين فوق اسرائيل قرب الحدود السورية . إن الاسرائيليين موافقون على ذلك ، لكنهم لا يرغبوه . لقد ابلغناهم اننا نعتقد ان هذه الحاجة ستنتهي في هذا الاسبوع ، وان بديلا كافياً سيوجد في العقبة حيث ، كما اعتقد ، ان عملا واسع النطاق يفعل لتحسين طرق التسهيلات والمواصلات مع عمان .

إننا عازمون على استخدام طائراتنا من طراز غلوباستر لمساعدتكم في نقل التموين من قبرص الى قواتكم في الاردن . كما قلت أن عدداً صغيراً من هذه الطائرات الضخمه سيكون كافياً للقيام بالمهمة . غير أننا علينا أن نحصل على إذن من إسرائيل . فقد تكلم فوستر مع السفارة الاسرائيلية . هنا ، ونأمل الحصول على ردهم نهار غد . انا مقتنع أن مهما كانت النتيجة ، فإننا لا نستطيع اعتبار التحليق فوق إسرائيل أنه الحل الدائم . لا بد من التركيز على ما نحتاجه عن طريق العقبة ...

إن إرسال قواتنا الأرضية إلى الاردن ، سيخلق مشاكلا عصيبة . واني أدرك أن الرأي العام الأميركي ، والكونغرس ، سيكون ضدنا إذا نحن اتخذنا هذه الخطوة الاضافية . إننا نثق ، كما قلتم ، أن قواتكم قد بثت الاستقرار ، كما اننا نرجو أنها ستستمر هكذا إلى أن تتوصلون إما بواسطة الأمم المتحدة ، أو كيفما تستطيعون وضع هذا العبء عنكم » .

رأيت أن هذه المساعدة الجوية الأميركية لشحن المؤونة ، ستكون كافية ، وخاصة منذ أن الجنرال توايننغ أشعرني أن خط المواصلات بين عمان والعقبة سيكون مفتوحاً في ٨ تموز للسيارات والقطارات الحديدية .

إن إعلاننا امام الأمم المتحدة في ١٥ تموز عن الدخول الى لبنان ، حمل معه مشروعاً يقضي أن يدبر الأمين العام إرسال قوات طوارىء الى لبنان لتحل محل قوات الولايات المتحدة . واجه هذا المشروع الفيتو السوفياتي في مجلس الأمن ومشروع قرار آخر قدمه السوفيات يدعو الولايات المتحدة وبريطانيا على وضع حد للتدخل المسلح في الشؤون الداخلية للدول العربية . لكن هذا المشروع لم ينل إلا صوتاً واحداً .

وهزم مشروع قرار سويدي يدعو بسحب مراقبي الأمم المتحدة . بعد بضعة أيام قدمت اليابان مشروعاً معقولاً للغـــاية : ــ « على الأمم المتحدة أن تهيء انسحاب قوات الولايات المتحدة من لبنان » . واجه هذا المشروع الفيتو السوفياتي . وانتقلت الأضواء الآن إلى تبـــادل الرسائل المتعددة التي لم تثمر شيئاً بين المستر خروتشوف والغرب ، وخاصة الولايات المتحدة .

في ١٠ تموز ، ريثما كانت الامم المتحدة تنظر في سلسلة من المشاريع ، تحول خروتشوف الى صيغته المفضلة لحل مشاكل العـالم بمؤتمر قمـة . اقترح علي ذلك في رسالة اذاعها على الفور . كانت الرسالة تحتوي على اعتراف بالرغبة للسلام ، وهجوماً عنيفاً على قائد الأسطول الـسادس ، ملوحاً بقدرة السوفيات العسكرية . بعد ان تحدى شرعية دعوة الحكومتين المحليتين بانها تبرر دخول الولايات المتحدة وبريطانيا الى لبنان والاردن ، ثم بعـــد أن حذّر من الأخطار التي ستنجم عن ذلك ، اقترح خروتشوف اجتماع قمة لرؤساء حكومات الاتحاد السوفياتي ، والولايات المتحدة ، وبريطانيا ، وفرنسا ، والهند « كي ، تتخذ ، من غير تأخير ، تدابير وقف الصراع العسكري الذي ابتدأ » . اقترح خروتشوف أيضاً ان المؤتمر سينظر في مسالة وقف شحن الأسلحة الى بلدان الشرق الأوسط . واقترح مشاركة داغ همرشولد في الاجتماعات ، وأن تُقدم النصائح الناتجة عن المؤتمر الى مجلس الأمن الدولي للدراسة . أثناء دراسة هـذه النصائح في مجلس الأمن ، ينبغي مشاركة وفود من الدول العربيـة .

كان هذا المشروع جذاباً من الناحية السطحية ، وعلمت أنه قد خلق طابعاً قوياً في أوساط الأمم المتحدة . لكننا لم نستطع قبوله . اولاً ، لأن إمكانيات الامم المتحدة في المحافظة على النظام والاستقرار في الشرق الأوسط لم تكن نافدة على الاطلاق ، شريطة أن تُمنح المنظمة الدولية الوقت لتعبئة إمكانياتها . علاوة على ذلك ، فإن مشهد « الخمسة الكبار » جالسين ليقرروا مصير بلدان الشرق الأوسط من غير اشتراك إسرائيـل ، سيكون مناقضاً لفكرة الأمم المتحدة برمتها . بعـد دراسة الرسالة ، أصدرت تصريحاً علانياً مؤكداً عن رغبتنا باستمرار جهودنا داخل الأمم المتحدة .

ثم اني بعثت بجواب الى خروتشوف . إبتدأت بدحض إدعائاته على شرعية عمل الولايات المتحدة بارسال قوات الى لبنان، ولفت انتباهه الى سوء استعمال السوفيات لحق الفيتو في مجلس الأمن . ثم أشرت أن تضمين المشروع لن ينسجم مع ميثاق الأمم المتحدة ، وقلت أن « النصائح » بشأن الشرق الأوسط سوف تكون في الواقع ، قراراتاً تجعل الأمم المتحدة ليس أكثر من ختم من المطاط تستعمله بضعة دول كبرى. ثم إني أتيت الى الموضوع الاساسي لرسالتي :

« إن مجلس الأمن ، يعالج ثمة وجوه من المشكلة التي أشرتم إليها في رسالتكم . إذا كنتم ترون أن وجوهاً أخرى لهذه المشكلة أو مشاكل غيرها ينبغي معالجتها فوراً من أجل السلام ، فانها تنبسط امام أي منا لتكبير المناقشة في مجلس الأمن . وإلى هذا ، فان ميثاق الأمم المتحدة ، يقضي أن في إمكان أعضاء الحكومات ، بما فيهم رؤوساء الحكومات . ووزراء الخارجية ـ تمثيل دولة عضو في مجلس الأمن . إذا كان اجتماع مثل هـذا مرغوباً فيه عامة ، سوف تشترك الولايات المتحـدة في تلك الاجراءات .

أنا ، طبعاً ، لا أستثني المناقشات خارج الأمم المتحدة ، لمشاكل دولية أو قطرية ، لا تشكل خطراً مزعوماً للسلام .

أجاب هارولد ماكميلان في نفس الطريقة ، معطياً زاوية صغيرة لاحتمال اجتماعات رسمية خارج نظام مجلس الأمن . اعتبرت ذلك خطيراً .

لم يتأخر خروتشوف في الاجابة . ففي رسالة بعث بها في اليوم التالي ٢٣ تموز ، قال أن الدول الغربية ، وبريطانيا بوجه خاص قد وافقت على مشروعه بأكمله . وشدد على فرصة المناقشة خارج اجتماع مجلس الأمن ، وكرر اقتراحه ان تكون الهند فريقاً في محادثات مجلس الأمن . وأضاف : « إن ذلك من غير ذكر ان مندوبي الدول العربية المعنية يجب أن تحضر للمناقشات في مجلس الأمن باشتراك رؤوساء الدول الخمس المذكورة » . واقترح أن يكون ٢٨ تموز موعداً للاجتماع .

لم أضع الوقت في الجواب . كنت أرى أن خروتشوف كان ينتحل لنفسه امتياز تحديد من سيجلس في مناقشات مجلس الأمن . والى هذا ، رغبت في إبلاغه

أن أي مناقشة خاصة بالشرق الأوسط ، لن تكون محصورة بالاردن ولبنـــان وحدهما ، بل ستتضمن مواضيعاً مثل محاولات السوفيات في التخريب .

أصرت رسالتي بأن المساله تخص الأمم المتحدة وأن اجتهادات المنظمة يجب أن تطبق . رفضت الفكرة بأن يقوم خروتشوف إما لوحده أو بالاشتراك مع بضعة رؤوساء دول في تعديل شكل مجلس الأمن .

ثم قلت له بأن إذا كان يرغب في « اجتماع قمة » فينبغي ضمان موافقة شاملة بين رؤوساء الدول المتأثرة ليمثلوا بلادهم في مجلس الأمن الدولي .

ثم ان هارولد ماكملان ، اتخذ موقفاً شبيهاً بموقفنا . لكن لسوء الحظ ، لم يكن الجنرال ديغول كذلك ، مُصراً أن اجتماع قمة لا يمكن عقده ضمن نظام مجلس الأمن ، واقترح ان يُعقد اجتماع القمة في اوروبا . عقب ذلك ، استغل خروتشوف تصريح الجنرال ديغول وأخذ يكرر رغبته في اجتماع الدول الخمس في أقرب وقت ممكن ، في مكان ما في اوروبا .

أخذت رسائلنا تضحي غير مثمرة ، وعليه أجبت خروتشوف باختصار في أول آب ، مكرراً مرة ثانية نقاطي بالنسبة لمسؤوليات منظمة الامم المتحدة وعن عزمي على طلب انعقاد جلسة خاصة في ١٢ آب ، وقلت بأنني سوف أكون هناك وأملت انه سيكون هو أيضاً .

كل محاورتنا الرسائلية وصلت إلى نهاية بعد بضعة أيام . بينما كان خروتشوف في زيارة للصين الشعبية ، أصدر بلاغاً مشتركاً مع الرئيس ماوتسي تونغ ، داعيين بريطانيا والولايات المتحدة على سحب قواتها . عند عودته إلى موسكو ، بعث خروتشوف برسالة إليّ مؤكداً أننا كنا مسؤولين عن عدم انعقاد مؤتمر القمة . وقال أنه سيطلب انعقاد جلسة استثنائية للجمعية العامة التابعة للامم المتحدة .

فور استلام رسالة خروتشوف ، اتصلنـا بالبريطانيين ، وكانوا قلقين على هذه التطورات خشية ارتباكهم في الجمعية العامة ، إذا ما طُعنت حقوقهم في الاردن . كان واضحاً ، في طبيعة الحال ، أننـا لا نستطيع منع اجتماع الجمعية العامة . وفقاً لميثاق الأمم المتحدة ، إن انعقاد الجمعية العامة

أصبح محتوماً إذا ما طلب السوفيات لوحدهم ذلك. لكن في ضوء معاهدة بريطانيا مع الاردن، لم نستطع إدراك أي عذر للارتباك. إستعدينا لانعقاد الجمعية العامة.

أخذت الأمور تستقر في الشرق الأوسط الآن. في ٣١ تموز كان الوضع في لبنان هادئاً كفاية لتبرير انتخاب خاص للرياسة، التي سعى إليها المستر مرفي. أنتخب اللواء فؤاد شهاب، وهو مسيحي رئيساً جديداً. كان تقريباً المرشح المثالي، ومقبول لدى الثوار والحكومة.

فور انتخابه، بعثت إليه برسالة تهنئة، فأجاب عليها بحرارة. أضحكني قليلاً حين أعرب عن أسفه لترك الحياة العسكرية بعد سنوات عديدة.

في نهاية تموز، تحسنت الأوضاع في العراق. كان رئيس الوزراء قاسم يظهر بعض إمارات الود نحو الغرب، ويبدو انه في سيطرة تامة على الحكومة. بالرغم انه وقع على معاهدة دفاع مع الجمهورية العربية المتحدة، فلم يكن هناك أي عذر للولايات المتحدة ان تحجب اعترافها أكثر من ذلك. وافقنا على الاعتراف في ٣٠ تموز.

في ٨ آب، وصل مجموع قواتنا في لبنان اعلى ذروته — ١١٤و٣٥٧، كان منهم ٨٥١٥ جيش و ٥٨٤٢ من المارينز - البحرية. لقد ازدادت تلك القوة إلى هذا الحد لأننا كنا نجهل الوضع أثناء الأيام الأوائل للعملية. ولما كانت القوات أكثر ما نحتاج إليها، فقد قررنا على سحب بعضها. ولكي نتجنب ظهور هذا الانسحاب الجزئي انه على أثر طلب السوفيات، حين تنعقد الجمعية العامة، عملنا على سحب قوات كافيه لتلفت انتباه الرأي العام قبل افتتاح الجمعية. وسيكون ذلك توكيداً للواء قاسم الذي كان قد أعرب عن شكوكه في صدق نوايانا أن القوات سوف تستخدم للمحافظة على أمن لبنان. في نفس الوقت، راح رؤوساء الأركان يعدون خطط الانسحاب الشامل حين تنتهي الحاجة إليهم.

❖

حين اجتمعت الجمعية العامة ، بدى لي من الحكمة ان أخاطبها . كنت أرجو ان في الإمكان خلق جو بناء يؤدي الى نتائج حقيقية .

اعددنا ستة بنود هامة للسلام في الشرق الاوسط . البندان الاولان كما قد يتوقع تضمنت المحافظة على السلام في لبنان والاردن . كما رأيت أن من الضروري وضع حد للنزاع الداخلي من مصادر خارج المنطقة . لكي نحول دون هـذا النوع من العدوان المباشر ، كنا نأمل أن الأمم المتحدة سوف تنشيء قوات للسلام في حالة تأهب كي تشكل اداة جاهزة للعمل الفوري . علاوة على ذلك ، لكي نخفف من حدة التوتر بين العرب واسرائيل — التي لا تزال السبب الأساسي للصراع في الشرق الاوسط — اقترحت حكومتنا أن تطلب الدول المعنية (الاردن ، وسوريا ومصر وإسرائيل) من الأمم المتحدة ان تقوم بدراسة وبالتالي بإنشاء هيئة دولية لمراقبة تدفق الأسلحة على المنطقة .

أثناء الأسبوع التالي ، نشبت الخلافات الدبلوماسية في الأمم المتحدة . وصوت مجلس الأمن في ٢١ آب على مشروع قرار قدمته الدول العربية نفسهـا . نص المشروع بتعهد الدول العربية بعدم التدخل في شؤون بعضها بعضاً ، وأشار الى داغ همرشولد باتخاذ تدابير عملية تؤدي إلى سحب قوات الغرب من لبنان والاردن .

كان لهذا العمل من قبل الأمم المتحدة ، أساساً ، لتهدئة الأزمة اللبنانية ، على الرغم ان القوات الأميركية كانت ستبقى هناك لمدة شهرين آخرين . احتفظ الرئيس شمعون بمركزه حتى ٢٣ أيلول — الموعد الشرعي لنهاية عهده . طبعاً ، لم تنته الاضطرابات فجأة . فالأضراب العـام الذي نادى به المعارضون ضد شمعون لم يتوقف إلا في اوائل أيلول حين عزم هؤلاء على إرغام شمعون على الاستقالة . ثم حين تولى اللواء شهاب الرئاسة ، واجه بعض الصعوبات في تشكيل حكومة توافق جميع الفئات ، ولكن بإنشاء حكومة على نحو واف ، منتخبة بالوسائل الشرعية ، حوفظ على استقلال و كرامة لبنان .

في ٢٥ تشرين الأول ١٩٥٨ ، بدأ انسحاب قوات الولايات المتحدة ولم يصدر أثناء ذلك أي تعليق من أي جهة ، على نقيض الأيام الأوائل لتدخلنا .

لكن حتى بالرغم من هذا التطور الرفيع ، كان الوضع في العراق بعيداً عن الاستقرار . فاللواء قاسم كان شخصية غامضة ولم يوضح أهدافه – وحافظ على السلطات الديكتاتورية . في كانون الأول ١٩٥٨ بعثت وزارة خارجيتنا أحد مساعديها ، المستر وليم رونتري بزيارة العراق ، حيث استقبل بأعمال الشغب والتهديدات . غير أنه ، أفلح في زيارة طويلة لقاسم وشرح له أهداف الولايات المتحدة في المنطقة . عاد رونتري الى واشنطون وقدم تقريراً مشجعاً عن زيارته للواء قاسم ومحادثاته مع الرئيس ناصر .

أثناء السنة القادمة ، استمر الغموض . وردت تقارير تفيد بتقدم النفوذ الشيوعي في العراق – بظهور جماعة لم تكن من القوميين العرب ولا الناصريين ، لكنها كانت منهمكة بالاوامر من الكرملين . سمح لهذه الجماعات بأن تشكل منظمات شبه عسكرية وتحمل السلاح . بعد ذلك ، أخذ قاسم يبدو انه يحس بالخطر عليه وعلى نظام حكمه ، أو ربما تعرض لضغط من الرئيس ناصر ، فأخذ يخفف من قوة هذه المنظمات الشيوعية .

أثناء عام ١٩٥٩ ، أخذ موقف الرئيس ناصر يصبح أكثر اعتدالاً . من تشرين اول ١٩٥٨ حتى نهاية ١٩٦٣ ، تحسن الاستقرار في الشرق الاوسط وشمال أفريقيا . على الرغم أن حدث انقلابان في العراق وتركيا – ضد اللواء قاسم وضد مندريس حافظ الملك والرئيس ناصر ، واللواء شهاب ، وشاه إيران ، والرئيس بورقيبة والعائلة المالكة في المغرب على مراكزهم ونفوذهم . تحررت الجزائر بعد نضال شاق وطويل ، واستمر الرئيس ناصر يدير القناة في طريقة مقبولة لدى الجميع .

❖

بعد سنة من تدخلنا في لبنان ، جاء رئيس الوزراء اللبناني ، رشيد كرامي الذي كان أحد زعماء المعارضة ضد شمعون ، جاء لزيارتي . كان في الثامنة والثلاثين من عمره ، لكن السيد كرامي – قومي عربي أصيل ، ومعجب بالرئيس ناصر ، كان مشهوراً بالاعتدال .

استأنست بمحادثته . واثناء حديثنا ، ذكرت له عن تدخلنا في لبنان منذ سنة ، فقال السيد كرامي مبتسماً لو أن الولايات المتحدة أرسلت المستر مرفي بدلاً من

إرسال القوات لتهدئة الوضع . كنت مسروراً جداً بهذه الكلمات عن المستر مرفي – صديقي القديم ، الذي اشترك معنا في الحديث . ولكن من ناحية ثانية، لا المستر مرفي ولا أنا استطعنا الموافقة على تصريح رئيس الوزراء اللبناني . لا أحد يمكنه حل الخلافات التي كانت تمزق لبنان والتي أدت الى طلب الحكومة المساعدة من الولايات المتحدة . غير اني بعد انتهاء محادثتنا ، لم استطع التهرب من الفكرة أن لو كان تصريح زائرنا صحيحاً لكان كل فرد في حكومتي وفر لنفسه ساعات عديدة من القلق .

بالاضافة الى النتيجة الناجحة من تدخلنا في لبنان ، فاني اعتقد أن هناك فائدة ثانية للغرب – كسبها من غير دعاية . كان ذلك التغيير في موقف عبد الناصر نحو الولايات المتحدة .

أثناء أزمة السويس ، ومفاوضاتنا الطويلة للوصول الى حل مرض لسائر المشاكل الناجمة عن الأزمة كنا نجد أنفسنا على خلاف معه . كان الرئيس ناصر يشك في عزم الولايات المتحدة لتنفيذ تعهداتها . بدى أنه لا يثق أن الولايات المتحدة قادرة على استخدام قوتها العسكرية .

كان الرئيس ناصر في يوغوسلافيا حين كنا ننزل قواتنا في لبنان ، ثم هرع إلى موسكو للتحدث مع السوفيات .

وازن الرئيس ناصر بين رد فعل موسكو الحذر وبين عملنا فوجد غذاء كاملاً للتفكير ، كما يبدو . واستنتج أنه لا يستطيع الاعتماد كلياً على مساعدة روسيا له في نضال الشرق الاوسط .

❦

من انهيار محادثات باريس في أيار ١٩٦٠ حتى نهاية عهد إدارتي ، والسوفيات منصرفين الى حملات مشحونة بالإتهامات ضدنا .

إن تفسيرهم لذلك لأن خروتشوف كان غاضباً على وقاحة الولايات المتحدة في إرسال طائرات استكشاف فوق بلاده في أواسط ١٩٦٠ . غير أن خروتشوف ، كما قلت ، كان يعلم بطائرات استكشاف مماثلة كانت تطير فوق روسيا . كما انه يدرك ان لدينا دلائل عديدة عن التجسس السوفياتي في بلادنا ، وقد اعتقلنا عملائهم من وقت لآخر .

مهما كان السبب فإن إلغاء خروتشوف لدعوته لي بزيارة الاتحاد السوفياتي لم تعط ثمراً . ربما قد تهبه تأييداً محلياً . وقد سبّب إلغاء خروتشوف تعديلاً في خطتي في الذهاب الى اليابان . كنت أتوقع أن أتجول في الاتحاد السوفياتي لبضعة أيام ، وأن أسافر عبر سيبريا لأصل الى طوكيو في ١٩ حزيران . لم أرَ أي سبب لتغيير تاريخ وصولي الى طوكيو ، لكن الوقت الإضافي لديّ سيجعل ممكناً قبول دعوة لزيارة الفيليبين ، و كوريا ، وفورموزا .

غير أن الذي ألغى دعوتي لزيارة الاتحاد السوفياتي ، راح يعمل جاهداً ليفسد هذه أيضاً .

كان التكتيك الشيوعي في اليابان إساسياً : فقد انطلقت دعايتهم زارعة في نفوس اليابانيين اعتقاداً بربط زيارتي مع التصديق على معاهدة الأمن الأميركية اليابانية . هذه المعاهدة هي تعديل لاتفاقية عام ١٩٥٢ التي تلتزم بموجبها الولايات المتحدة بالدفاع عن اليابان .

طار كل من جيم هاغارتي وتوم ستيفنز الى مطار هانيدا ليدرسا تفاصيل تدابير السفر، فاستطاع الشيوعيون والاشتراكيون اليساريون المتطرفون أن ينظموا مظاهرة شعبية كبيرة، ذاكرين انها ستكون نموذجاً لما سيحدث أثناء زيارتي.

عند وصولهما إلى مطار هانيدا في ١٠ حزيران، استقبلا من قبل جمهور غاضب، ساخط، كان هاغارتي، وستيفنز ودوغلاس ماك آرثر مستقلين سيارة ويحاولين التوجه الى السفارة الاميركية، اصبحوا مجمدين في مكانهم من قبل المتظاهرين لمدة خمسة عشر دقيقة. كان لا بد من إنقاذهم من بين الحجارة الطائرة، فقامت طائرة هليكوبتر تابعة لسلاحنا وانجزت عملية الانقاذ.

أثار هذا الحادث قلقاً عميقاً لدى ممثلينا الذين كانوا ينظمون وصولي فيما بعد. غير أن السفير ماك آرثر احتفظ بثقته أن الاضطرابات ستتلاشى عما قريب، وأن رئيس الوزراء، كيشي لم يزل يأمل في زيارتي في الوقت المعين. لكن أحد عملاء الاستخبارات المركزية في طوكيو، المستر فلويد بورنغ، أبدى تشاؤمه من مقدرة الشرطة على السيطرة على الجمهور، وقدم تقريراً لرؤسائه بأن الوضع كان متفجراً. وشاركه ألن دالاس في هذا القلق.

كنت اترقب هذه التطورات يومياً. بالرغم أن لم تكن اي من التقارير مشجعة فقد رفضت الانصياع. وقلت ان مسؤولية أي إلغاء للدعوة تقع على عاتق الحكومة اليابانية. وإذا اضطربت لتغيير خطتي، فذلك سيكون حسب طلب الحكومة. إن الحكومة اليابانية وحدها ستقرر ما إذا بوسعها تقديم الحماية الكافية لرئيس دولة زائر. بينما كنت أدرك ان الدعوة قد تلغى، فكنت أرى أن زيارة للشرق الاقصى بدون اليابان ستكون ذات فائدة.

غادرت واشنطون في ١٢ حزيران. كان عميد السلك الدبلوماسي الدكتور غويلرمو سافيلا - ساكاسا، سفير نيكاراغوا، لم يستطع إخفاء قلقه على سلامتنا. ابتدأنا جولتنا وكانت دعوة اليابان لم تزل قائمة. بعد توقف في آلاسكا وكانت أول زيارة لها منذ أن اصبحت دولة، ثم ذهبت الى الفيليبين.

أثناء اقامتي في مانيلا (عاصمة الفيليبين) وردت تقارير تفيد أن الوضع في

طوكيو كان مستمراً في الغليان ، وأن المظاهرات الطلابية قد وصلت إلى أوجها . في مساء ١٦ حزيران بينما كنت أحضر احتفال في لرنيتا ، أبلغت بأن الحكومة اليابانية قد « أجلّت » دعوتها لزيارتي . لم أستطع الإفلات من الشعور باليأس .

من الفيليبين ، واصلت رحلتي الى فورموزا ، والى اوكيناوا و كوريا .

❦

في محادثتي الخاصة مع الرئيس كارلوس غارسيا ، رئيس الفيليبين . اعربت له عن إعجاب الولايات المتحدة بالشعب الفيليبيني وأكدت له بأننا ننظر إليهم كمتساويين معنا من غير أي شعور بالتفوق .

❦

كان حديثي مع الجنرال تشيانغ كاي شك ، طبعاً ، يختلف . ان الصين الوطنية تعيش تحت تهديد الصين الشعبية بالاستيلاء على فورموزا بالقوة . ولكي يؤكد الصينيون الشعبيون ذلك ، رحبوا بزيارتي بالقاء قنابل كثيفة على ماتساو و كويموي .

كان واضحاً أن تشيانغ كاي شك منزعجاً بالمظاهرات الطلابية الحديثة في كل من كوريا وتركيا وقال ان مثل هذا لن يحدث في بلاده . كان مقتنعاً أن هذه الاضطرابات موحاة من الشيوعيين ، ونظمت على حساب زعماء الكرملين وبكين. كان كاي شك قلقاً بوجه خاص على مستقبل اليابان ، وابدى تخوفه أنها قد تضيع في أحضان الشيوعية .

وأشار أن المخططين السوفيات قد اعطوا الشرق الأقصى الاولوية القصوى . ورفض الاعتقاد السائد أن دلائل الاختلاف بين السوفيات والصين الشعبية قد تنجم عنها نتائج ذات فائدة للعالم الغربي . وقال أن ذلك مستحيلاً فموتسي تونغ قد يجادل السوفيات لكنه لا يسعه الانشقاق عن الاتحاد السوفياتي لأنه مدين بقوة نفوذه لتأييد الكرملين .

اثناء هذه المحادثات كان كاي شك يصطحب زوجته الحسناء التي كانت تساعده وتترجم له .

❦

ثم اني حطيت في او كيناوا ، أهم جزيرة في سلسلة ركيو التي احتلها الاميركيون في الحرب العالمية الثانية وكلفت باهظاً . وقد احتفظت الولايات المتحدة باوكيناوا كقاعدة عسكرية في حين اعترفت بسيادة اليابان الملكية على الجزيرة . في هذا الحين كانت تدار الجزيرة بواسطة مفوض سامي اميركي ، الجنرال بوث . وكان يمثل شعب ريو كيوان المستر سايسا كواوتا . أثناء اجتماعنا القصير هنا ، شاهدنا استعراض « رقصة الأفعى » .

❖

كانت محادثاتي في كوريا مع رئيس الوزراء هوه تشونغ مفيدة لكنها محدودة الامكانيات لأن حكومته كانت تتولى الأشراف على الانتخابات بعد الاطاحة بالرئيس سينغ مان ري .

أحد المواضيع التي ناقشنا ، كانت العلاقات اليابانية الكورية . زعم رئيس الوزراء أن بلاده قد قاست كثيراً من الظلم تحت الحكم الياباني الذي استغرق نصف قرن ، وأن الآثار لم تزل واضحة . اعرب عن خوفه أن اليابان تتجه نحو الحياد أو نحو الشيوعية . وقدم لي لائحة بعدة شكاوى ضد اليابان . احدى هذه الشكاوي ان اليابان ترحّل بعض الكوريين الموجودين في اليابان الى شمال كوريا من غير استشارة السلطات الكورية الجنوبية .

في أمل مني لتطوير الاستقرار في كوريا الجنوبية ، اقترحت اثناء تناول الفطور مع عدد من الكوريين أن الانقلاب ليس الطريقة الافضل لتغيير أنظمة الحكم . كان من بين الحاضرين إثنان أو ثلاثة من زعماء الطلاب الذين قادوا المظاهرات للاطاحة بالرئيس ري في شهر نيسان الماضي في سيول . كانت كبرياؤهم في إنجازهم هذا حماسياً لدرجة انهم تعذر عليهم إدراك الفكرة الأكثر هدوءً التي كنت اشرح . لنفترض أن التهم ضد نظام حكم ري كانت صحيحة — انه كان مستبداً وفي سيطرة تامة على صندوق الاقتراع — كان يستحيل طرده من الحكم بواسطة الاقتراع . تحت هذه الافتراضات ، اعترفت بتبرير المظاهرات . غير اني اعربت عن رضاي أن الانقلاب لم يسبب أي عنف على شخص ري .

❖

في مساء ١ تموز ١٩٦٠ ، كنت مع زوجتي نحتفل بعيد زواجنا الرابع والاربعين مع عائلتنا في غيتزبرغ ، تلقيت نبأ أن طائرة دورية من طراز – ب – ٤٧ تابعة لسلاح الجو الاميركي قد اختفت فوق نهر بارنتس ، شمال روسيا . كانت الطائرة في مهمة روتينية لا تجمع معلومات كهرطيسية ، وإذاعية ، ورادارية ، وكانت تعمل بموجب الأوامر أن تبقى على بعد خمسين ميلاً من الأراضي السوفياتية ، وتعقب رادارنا الطائرة فوجد أنها قد توغلت قليلاً ولكن ليس أقل من ثلاثين ميلاً .

في الوقت الحاضر ، لم نحصل على كل الحقائق . لم نعلم ، مثلاً ، سبب هبوط الطائرة . فالقطع المعقدة من الآليات التي كانت تحملها الطائرة ، قد تتعطل عن العمل وحتى انها تنفجر باعجوبة . لقد تعمق الغموض اثناء اليومين التاليين ، حين بدأ السوفيات يبحثون عن الطائرة في بحر بارنتس .

بانت الحقيقة بعد عشرة أيام في شكل مذكرة سلمت للقائم بالأعمال الأميركي في موسكو . لقد اسقطت القوات السوفياتية المسلحة الطائرة . كانت تحتوي المذكرة على عدد من التهم . وجدت جثة كبير الطيارين ، كما عثر على اثنين أحياء الملازم أول جون ماكون والملازم أول فريمان بروس اولمستيد . اما الملاحين الباقين الثلاثة فلم يزالوا مفقودين . أشارت المذكرة الى القاعدة في بريطانيا التي منها حلقت الطائرة ، وتضمنت عبارات لم يسبق أن استعملها السوفيات من قبل :

إذا كان مصير الطيارين الأميركيين ... يمكن اعتباره من شأن الولايات المتحدة ، إذن فهذا يعني انه يشكل تهديداً خطيراً للسلام العالمي الذي ينبع من اعمال حكومة الولايات المتحدة الاستفزازية .

بما أن اختراق الحدود ، في هذه الحالة ، قد قطع في أول مرحلته ، فإن الحكومة السوفياتية ترى نفسها مستعدة لتدمير أي طائرة تخترق المجال الجوي ، وتقديم الطيارين الى المحاكمة وفقاً لأشد قوانين الاتحاد السوفياتي .

في نفس الوقت ، إن حكومة الاتحاد السوفياتي تحذر حكومة الولايات المتحدة بشدة على العواقب الخطيرة التي ستنجم عن استمرار الاعمال الاستفزازية من الطائرات الأميركية وتحمل حكومة الولايات المتحدة مسؤولية ذلك » .

ثم أكملت المذكرة بتحذير الى حلفائنا :

إن الحكومة السوفياتية يؤسفها أن تصرح أن حكومات بعض الدول الحليفة للولايات المتحدة عسكرياً ، لم تدرك الحقائق الضرورية المتعلقة بأفعال السلاح الجوي الأميركي . بسماحها استخدام القواعد العسكرية الأميركية على أراضيها ، فإنها تتبع سياسة الاشتراك في الأعمال العدوانية المذكورة اعلاه ، ومن خلال ذلك ، فإنها تسبب خطراً جسيماً على شعوب بلادها .

لم نستطع تجاهل هذا الهجوم . وعليه فقد أصدرنا التصريح التالي :

إن الطائرة الأميركية ر ب ـ ٤٧ كانت فوق المياه الدولية ، ولم تحلق بأي وقت فوق الأراضي السوفياتية ، أو المياه السوفياتية ، أو المجال الجوي السوفياتي . فإسقاط هذه الطائرة ، كما تزعم حكومة الأتحاد السوفياتي ، لا يمكن أن يكون غير محاولة طائشة لخلق حادث دولي . لمـــدة أحدى عشر يوماً ويذاع ان الطائرة مفقودة . وأعلن أن سفينة سوفياتية على الأقل تساعد في البحث عن الطائرة .

فأي محاولة لربط بين تحليق هـــذه الطائرة مع طائرة يو ـ ٢ في شهر أيار لا أساس له ، والسلطات السوفياتية ، بما فيهم ، المستر خروتشوف يدركون ذلك .

أما الرد الرسمي على السوفيات كان مفصلاً أكثر من هذا التصريح . وقد أعربنا عن عزمنا على القيام بفحص شامل للحادث مـــع الحكومة السوفياتية ، محتفظين بحقوقنا في طلب التعويضات .

أزمة الكونغو

أثناء تبادل الرسائل بشأن طائرة ر ب - ٤٧ في بداية الحملة السياسية ، لفت انتباه العالم الى العنف والفوضى الذي نشب في جمهورية الكونغو المستقلة حديثاً .

هذه المستعمرة البلجيكية سابقاً التي يعد سكانها بأربعة عشر مليوناً كانت احدى الدول الأفريقية السبعة عشر التي نالت استقلالها في تلك السنة .

معظم المستعمرات السابقة كانت مرتبطة اقتصادياً وثقافياً مع حكامها السابقين . علاوة على ذلك ، فالمراكز الرئيسية في المواصلات ، والجيش ، والحكومة ، كانت في أيدي موظفين أوروبيين .

لم تكن الولايات المتحدة متورطة مباشرة ، لأننا لم نحكم أي أرض في أفريقيا . ولكن بما اننا نحتل مركز زعامة العالم الحر ، فلم نكن نرغب في مشاهدة الفوضى والاضطرابات بين الشعوب المستقلة حديثاً والتي تتطلع الى التقدم والازدهار .

في منتصف عام ١٩٥٩ ، سمعت من عدد الموظفين الأوروبيين يقولون أن الكونغو البلجيكي سيبقى مرتبطاً مع الدولة الأم لأن البلجيكيين تجنبوا عمداً تدريب أحد من أهالي الكونغو على تسلم أي مركز حكومي . لذلك ، فقد فوجىء العالم حين نشبت أعمال العنف في ليوبدفيل - أن منحت بلجيكا الاستقلال للكونغو ابتدأ ٣٠ حزيران .

أخذ البلجيكيون يدربون الكونغوليين على مراكز يستلمونها ، لكن لسوء الحظ لم يكن الوقت كافياً . بدون كفاءة إدارية يبقى الاستقرار السياسي مستحيلاً ، وأخذ الوضع يصبح أسوأ بوجود عدد من الأحزاب السياسية المختلفة ، وبالصراع

القبلي في الكونغو . بالرغم أن الكونغو كان في حالة من الجهل الصرف ، فقد دخل حظيرة الدول المستقلة .

أخذت الأمور تسوء منذ البداية . حتى في احتفالات استقلال الكونغو ، حيث كان الملك بودوان حاضراً ، انتهز رئيس الوزراء الكونغولي باتريس لومومبا الفرصة لشن هجوم على بلجيكا ، لكنه وعد ان الكونغو سيبقى صديقاً لبلجيكا .

نادراً ما أثبتت أي حكومة في وقت قصير كهذا انها غير قادرة على الحكم خلال يومين من احتفالات الاستقلال ، نشبت الاضطرابات القبلية . وقد وصلت الأمور الى مستوى الخطورة حين ثار الجيش الكونغولي ، البالغ عـــدده خمسة وعشرون الفاً ضـد الضباط البلجيكيين . على أثر ذلك ، رقت حكومـة لومومبا جميع الكونغوليين في الجيش الى درجة وطردت البلجيكيين .

في ٧ تموز ، بينما كانت الأمم المتحدة ترحب بدخول الكونغو إليهـــا ، قام جماعـات من الجنود يشاركهم المدنيون ، ينهبون ويسلبون في ليوبودفيـل . وأخـذ البلجيكيون يفرون رعباً عبر نهر الكونغو الى برازافيل ، عاصمة الكونغو الفرنسي سابقاً . بعـد أربعة أيام حدثت خطوة كان يخشى وقوعهـا منذ مـدة ، أعلن أقليم كاتانغا الغني بالموارد ، انفصاله عن الحكومة المركزية بقيادة مويس تشومبي .

ابتدأت الآن ، اعمال العنف والشغب ، واندلعت ثورات لم تكن تلفت انتباه العالم ، لكنها أذهلته على الأقل . أول رد فعل على انفصال كاتانغا كان من جانب بلجيكا . تحركت الحكومة بقوات بحجة انها ترغب حماية مصالحها . احتج لومومبا على تدخل بلجيكا ، لكنه لم يكن قادراً المحافظة على النظام بقواته ــ وصلت المسألة الى الأمم المتحدة . ليس هذا هو المكان لوصف شيء حتى في شكل كـولة سائر الأعمال السياسية والاقتصادية والعسكرية ، والأعمال المضادة لتأليف قصة الأشهر الستة الأوائل من استقلال الكونغو . اصبحت الولايات المتحدة متورطـة حتماً ، حين وصلت قضية الكونغو الى الأمم المتحدة بعد الاسابيع الأولى من اعمـــال الشغب والاضطرابات .

اتخذ مجلس الأمن في ١٤ تموز مشروع قرار تونسي يدعو البلجيكيين على سحب

قواتهم ويفوض الأمين العام بأن يزود جمهورية الكونغو بمساعدة عسكرية الى أن تستطيع الحكومة الكونغولية مواجهة حاجاتها بقوات أمنهـــا القومية . أيدت الولايات المتحدة مشروع القرار هذا .

كانت السرعة جوهرية ، والتجاوب فوري ، وصلت أول دفعة من القوات التونسية وعددها الف رجل ، والف ومائتي جندي مغربي وصلت الى الكونغو في ١٥ تموز . قدمت الولايات المتحدة طائرات هليكوبتر وطائرات خفيفة ، وقدمت اربعمائة طن من الطحين كهدية لاستعمال الأمم المتحدة . كان الدكتور رالف بانش يمثل الأمين العام في المنطقة .

لم تبعث الولايات المتحدة بقوات مقاتلة ، فقد حصرنا مساهمتنا في التموين ، والنقل الجوي . لكننا وضعنا شاحنة هجوم قرب نهر الكونغو .

وصل الوضع في اوائل ايلول الى وجه جديد من الأزمة حين طرد الرئيس جوزف كزافوبو رئيس وزرائه لومومبا . ثم بعد ذلك بقليل أعلن جوزف موبوتو ، وهو جاويش سابق في الجيش ، اعلن نفسه ديكتاتوراً ، وقال بانه قد عزل كل من جوزف كازافوبو ، وباتريس لومومبا ، وجوزف إيليو من مناصبهم . شكل موبوتو حكومة من الطلبة والفنيين وأغلق السفارة السوفياتية وطلب من الديبلوماسيين السوفيات مغـــادرة الكونغو . أصبح الكونغو يحتوي على ثلاث حكومات ، حكومة لومومبا ، وحكومة كازافوبو ، وحكومة موبوتو . تجول لومومبا في البلاد محاولاً الحصول على تأييد ، وتم التجأ الى بعض قوات من الأمم المتحدة التي كانت تتعاطف معه بينما كانت قوات موالية لموبوتو تبحث عنه . وأخيراً القي القبض عليه وفي شباط ١٩٦١ أطلق النار عليه فيما كان يحاول الفرار [١] .

في نفس الوقت ، أفلح حاكم كاتانغا مويس تشومبي لفترة من الوقت في المحافظة على استقلال منطقته . كانت المزاعم القائلة أن البلجيكيين كانوا يخططون على دعم انشقاق دائم والتي سببت قلقاً عميقاً ، كانت هذه المزاعم في الأساس صحيحة ، غير أن البلجيكيين سرعان ما تخلوا عن هذه الخطوة .

---

(١) هذا غير صحيح. سلم موبوتو لومبا لقوات تشومبي الذي اصدر امراً بقتله . (المترجم)

بقيت مشاكل الكونغو حتى أثناء كتابة هذه المذكرات في اواخر عام ١٩٦٤. لقد تركت القوات الدولية، وغادت الاضطرابات ثانية. بينما كانت أزمة الكونغو تقترب دورنها في الأمم المتحدة، بلغنا نبأ في أول أيلول ١٩٦٠ أن خروتشوف على وشك شن هجوم دعائي. في ذلك اليوم أعلنت موسكو انه سوف يأتي الى نيويورك ليترأس وفداً سوفياتياً الى الجمعية العامة للأمم المتحدة التي كانت ستنعقد في ٢٠ أيلول. طبعاً، له الحق في ذلك، كما ينص ميثاق الامم المتحدة.

إن إعلان قدوم المستر خروتشوف للامم المتحدة قد غيّر خطتي في المشاركة في الجمعية العامة. علمنا أن السوفيات كانوا يتصلون بزعماء آخرين شيوعيين وزعماء دول الحياد بغية المجيء الى الامم المتحدة. إذا كان عدد الموافقين على اقتراح السوفيات كبيراً، فذلك يعني أنه «اجتماع قمة» تحت إشراف الأمم المتحدة. حين سؤلت في مؤتمر صحفي ما إذا كنت عازماً على القاء خطاب في الأمم المتحدة ثانية. أجبت في طريقة مؤقتة. قلت أن لدي نية جدية في الذهاب للامم المتحدة مرة ثانية، لكنني أكدت انني لست ذاهباً الى الجمعية العامة لكي أحط من شأن تلك الهيئة لكوني فريقاً في «معركة من القدح والدعاية». في ذاك الوقت، كنت أرى أن ينبغي إلقاء خطابي في الجمعية بعد انتخاباتنا القومية.

كانت مشكلة فورية تواجه الحكومة: إذا وجدنا أنفسنا فجأة اننا مضيفون لعدد من رؤوساء الحكومات، سنكون مضطرين لتقديم الحماية للزوار. صحيحاً أن رجال الأمن وشرطة نيويورك قد اعتادوا على إدارة حماية الشخصيات الأجنبية ولكن ليس على هذا المستوى الكثيف. بالرغم أن المستر خروتشوف كان قد زار الولايات المتحدة منذ سنة من قبل من غير وقوع أي حادث، فإن الجو منذ ذلك الحين قد تغير كثيراً. فالرأي العام كان غاضباً الى درجة احتمال حدوث بعض الأذى له إذا لم يكن محروساً بشدة. والأسوأ من ذلك كانت دلائل تشير ان رئيس وزراء المجر، جانوس كادار، ورئيس وزراء كوبا فيدل كاسترو سوف يكونا من بين الحاضرين للاجتماع، وكان الشعور لدى بعض فئات من سكان الولايات المتحدة شديداً ضد هذين الرجلين أكثر من المستر خروتشوف نفسه.

قررنا أخيراً أن يجب أن نصر على حصر تحركات أربع رؤساء دول، المستر

خروتشوف ، المستر كادار ، السنيور كاسترو ، والجنرال محمد شيخو (الذي لم نعترف بحكومته في البانيا) الى جزيرة مانهاتان . إزاء ذلك ستكون شرطة نيويورك قادرة على تقديم الحماية الكافية لهم ليسافروا متى يشاؤون بدون أي تدخل في إداء مهامهم كرؤساء وفود . كنت أشعر أن الولايات المتحدة لا تستطيع فعل أكثر من ذلك . وعليه ، بعثنا في ١٠ أيلول الى كل من هذه الحكومات المعنية الأربع مذكرة تنص على تحديد تنقلاتهم . كما كان متوقعاً ، استفزت هذه المذكرات احتجاج الدول المذكورة وبوجه خاص الاتحاد السوفياتي . لم يتأخر المستر خروتشوف بتسليم احتجاج رسمي الى وزارة الخارجية .

حتى ١٢ أيلول لم أكن قد قررت على مخاطبة الأمم المتحدة في هذه الجلسة ، في الوقت الذي كان المستر خروتشوف في طريقه الى نيويورك . لكن ، الآن ، إن أملي الأساسي في مخاطبة الجمعية العامة في الخريف قد تلاشى . لكن الآن كان هناك احتمال آخر ، أن المستر خروتشوف قد يمكث في نيويورك حتى عيد الميلاد في هذا الوقت تكون المناقشة في اشدها بحيث لا يسعني تجنب دخول قاعة الاجتماع إذا ما أخرت خطابي إلى ذلك الوقت . لذلك ، أفضل شيء كان يجب عمله ، كما اعتقدت ، هو مخاطبة الجمعية في يومها الأول . في هذا التوقيت ، استطيع استعمال لهجة موزونة ومعقوله . بالإضافة إلى ذلك ، استطيع تأكيد دعم الولايات المتحدة للامم المتحدة . ويكون هذا بادرة جوهرية ضد الهجمات غير المبررة ضد شخص الأمين العام داغ همرشولد .

وعليه ، اعلنا انني سوف القي خطاباً في الجمعية العامة في صباح الخميس ٢٢ أيلول . اقترح وزير الخارجية هرتر أن ينبغي انتهاز الفرصة اثناء الأيام التي كنت استعد فيها للقاء بعض رؤوساء الدول الزائرين في نيويورك ، وخاصة اولئك من الدول الافرو - آسيوية .

عند اعداد خطابي امام الجمعية العامة ، كنت عازماً انه لن يكون محدوداً الى ملاحظات تافهة . كان ضرورياً ، كما اعتقدت ، أن أقدم اقتراحات خاصة على المواضيع الرئيسية التي كانت تلفت انتباه العالم .

حين ابتدأت خطـابي امام الجمعية العامة ، لم اضع أي وقت لتأكيد تأييد حكومتنا الكامل للأمين العام :

« استجابة الى نداء حكومة الكونغو ، بذلت الأمم المتحدة بقيادة الأمين العام جهداً واسع النطاق لتقديم العون للجمهورية الجديدة . وقد هاجمت بعض الدول هذه الجهود علانية . فالانتقاد الموجه ضد الأمين العام الذي اتمم وصية الأمم المتحدة بنزاهة وكفاءة ، ليس الا انتقاد ضد الامم المتحدة بالذات . في رأيي أن الأمين العام قد كسب تأييد وامتنان جميع الدول المحبة للسلام » .

وأكدت ان الدولة الصغيرة ، وعلى الأخص ، الدول الافريقية المستقلة حديثاً هي التي تحتاج مساعدة الامم المتحدة نظراً لافتقارها للموارد الاساسية والانتاج . وشددت اهمية حماية الامم المتحدة لهذه الدول . ولذلك ، اقترحت منهاجاً من خمس نقاط :

(١) تعهد من جميع الدول الممثلة في هذه الجمعية باحترام حق الشعوب الافريقية في اختيار طرق حياتها وتقرير مصيرها . . .

(٢) ينبغي على الامم المتحدة ان تكون مستعدة على مساعدة الدول الافريقية في الحفاظ على أمنها من غير أي منافسة خطيرة في التسلح .

(٣) ينبغي علينا جميعاً تأييد استجابة الامم المتحدة الى حاجات طارئة في جمهورية الكونغو ، التي ابدى الامين العام مهارة فائقة في تنظيمها . . .

(٤) ينبغي ان تساعد الامم المتحدة الدول الافريقية النامية الجديدة على إنجاز مناهجها في التقدم . . .

(٥) في هذه النقطة الخامسة ، أقترح قيام الامم المتحدة على نحو شامل في جهد لمساعدة البلدان الافريقية بتطوير نشاطاتها الثقافية والتربوية .

بالإضافة إلى هذا المنهاج ذا الخمس نقاط ، لاحظت أن مناطق أخرى ايضاً بحاجة الى مساعدة . وذكرت مشروع برنامج « طعام للسلام » واعربت عن رجائي أن

الجمعية سوف تدرس مشروعاً خاصاً لتنفيذه .

ثم إني شددت على الحاجة لقوات أمم متحدة متاهبة ، وأشرت على أعضاء المنظمة اتخاذ عمل باقتراح الامين العام بإنشاء موظفين كفوئين في الأمانة العامة ليساعدوا في مواجهة متطلبات قوات الامم المتحدة . وقلت أن الولايات المتحدة تدعم اقتراح المستر همرشولد بأن تُعد الدول الاعضاء قوات خاصة مستعدة للخدمة في الامم المتحدة حين الطلب .

ناقشت الفضاء الخارجي ، وعرضت على الاتحاد السوفياتي وعلى العالم أجمع فرصة التعاون في نزع الاسلحة الفضائية - وأن توافق ، بين امور أخرى ، على « الا تضع أي دولة في الفلك أو محطة في الفضاء الخارجي ، أي اسلحة تدميرية شاملة » « ينبغي على الامم المتحدة ان تتفحص مسبقاً كل السفن الفضائية التي ستُطلق » .

في صباح ٢٢ أيلول ، كانت اربعة عشر دولة جديدة ، ممثلة للمرة الأولى .

في اليوم التالي ، صعد المستر خروتشوف المنصة وشن هجوماً قاذحاً على الغرب عامة ، وعلى الأمم المتحدة ، والأمين العام خاصة : —

« يحاول الاستعماريون العودة الى مستعمراتهم بوسائل جافة وبتدخل مباشر كما اعتادوا على ذلك في مثل حالات كهذه . لسوء الحظ ، في حالة الكونغو ، انهم ينفذون اعمالهم تلك بواسطة الامين العام للامم المتحدة المستر همرشولد وموظفيه .

يا للعار !

لقد وضعت حكومة الاتحاد السوفياتي مسألة الكونغو في جدول أعمال الجلسة الخمسين للجمعية العامة . يجب على الجمعية ان تصد الاستعماريين وعملائهم وأن تطلب من المستر همرشولد أن يقوم بذلك حتى لا يهين مركزه كأميناً عاماً للامم المتحدة ، وينبغي عليه القيام بواجباته في انسجام تام مع بنود ميثاق الامم المتحدة وقرارات مجلس الامن » .

ثم قام فيدل كاسترو وألقى خطاباً استغرق اربع ساعات ونصف الساعة . كان كاسترو وخروتشوف قد اجتمعا قبل يومين من انعقاد الجمعية العامة ، وهذا دعم اشتباهنا ان كاسترو شيوعي .

*

بعد انتهائي من خطابي ، دعوت رؤوساء دول اميركا اللاتينية الى الغداء في فندق والدورف . أثناء الأيام القليلة القادمة ، اتيحت لي فرصة قيمة للاجتماع بعدد من رؤوساء الدول الافرو آسيوية الذين لم يسبق ان قابلتهم من قبل .

كل منهم انتهز الفرصة ليشير الى ما يشغل بلاده . فرئيس الوزراء اللبناني صائب سلام ، وولي عهـــد المغرب مولاي الحسن ، كلاهما عرب ، فقد كانت مشاكلها تختلف عن بعض . ابدى رئيس الوزراء صائب سلام قلقه على كل المشاكل العربية ، وبوجه خاص ، كما اعتقد ، على الجزائر . لكن مولاي الحسن كان مهتماً بوجود المغرب زعيماً للعالم الاسلامي ، ويريد مساعدة الولايات المتحدة على إبقاء المغرب بهذا الوضع .

ثم قابلت نائب رئيس وزراء الحبشة اكليلو ابدي ولد ، فوجدته أشد الممثلين تحمساً للامم المتحدة ، وسألته أن يبلغ تحياتي للامبراطور هيلا سيلاسي .

تضمن برنامجي في نيويورك محادثات مع زعيمين افريقيين فقط ، الرئيس كوامي نكروما ، والرئيس سيلفانوس اوليمبيو ، رئيس التوغو . في محادثتي معهما ابديت ان هدفي الرئيسي هو تقديم المقترحات التي ذكرتها في الامم المتحدة لتشكيل كتل اقليمية من الدول . لم تعجب هذه الفكرة نكروما ، اليساري ، الذي اشتهر بطموحه في توسيع حدود غانا بوسائل غير طوعية .

من ناحية أخرى ، المستر اوليمبيو رئيس دولة توغو الصغيرة التي كانت سابقاً جزءاً من المستعمرة الالمانية توغولاند ، قد أقام اتحاد إقتصادي جزئي مع جارته داهومي . اشار المستر اوليمبيو ان المشكلة الوحيدة التي تقف امام تقدم افريقيا كانت الحرب القبلية المستمرة .

نظراً لهذه الحالة ، أشاد أن الامم المتحدة يجب الا تمنع من « التدخل »

في الشؤون الداخلية لتلك البلدان ، منذ أن تلك الحروب القبلية هي ذات طابع اقليمي وليس قومي . انه يتمتع بقوة حسن التقدير - نادراً ما يتوفر لدى زعماء الدول المستقلة حديثاً . وجدت المستر اوليمبيو أشد الزعماء الافريقيين جذيراً للاعجاب . (كان اغتياله في كانون الثاني ١٩٦٣ خسارة لبلاده ولكل افريقيا) .

تنبأ المستر نكروما ، لدهشتي ، تفاؤلاً كبيراً بشأن الوضع في الكونغو . وقال ان الوضع لا يتعذر حله ، وأكد أن على الحل أن يوجد في الامم المتحدة . وأعرب عن احترامه للولايات المتحدة ، قال انه قد اتخذ خطوات خاصة ليزورني قبل زيارة المستر خروتشوف ، الذي كان قد دعاه لزيارته . في ذلك النهار علمت ان الدكتور نكروما ذهب رأساً من غرفتي الى الجمعية العامة وخلال خمسة واربعين دقيقة أطلق العنان لخطاب تابعاً خط خروتشوف موجهاً نقداً شديداً للامين العام همرشولد .

ثلاث شخصيات عالمية أردت ان أرى ، كانت ، تيتو ، وناصر ، ونهرو . قابلت الرئيس جوزف بروز تيتو لأول مرة مساء اليوم الذي القيت خطـابي في الامم المتحدة . كان أقصر مما كنت أتوقع ، ومتحفظ . كان عكس خروتشوف ، يصغي باهتمام . شعرت انه يستطيع الاستفادة من جولة حول بلادنا . قلت له انني سعيد لاتاحة الفرصة بمقابلته منذ اني كنت أقود قوات الحلفاء في مسرح الحرب المتاخم ليوغوسلافيا حتى عام ١٩٤٣ ، غير اني لم اذهب لبلاده .

كانت المحادثات ، على وجه العموم ، غير ضارة . بدى راغباً في اقناعي ان يوغوسلافيا لم تكن على ما يرام مع سائر اعضاء الكتلة الشيوعية .

وقال : « ان الصينيين الشيوعيين يمقتون اليوغوسلافيين أشد من مقتهم للاميركان على الرغم من ذلك ، فقد أبدت دخول الصين الشعبية الى الامم المتحدة . إن المنطق يقضي قبول حكومة تسيطر على سمائة مليون شخص .

فأجبته : « إن شعبنا يشعر بعداء خاص نحو الصين الشيوعية . ولهذه الأسباب مثل غزوهم لكوريا الجنوبية ، واعتقال وتعذيب بعض جنودنا . علاوة على ذلك ، سوف لا يوقفون تهديداتهم المتواصلة ضد فورموزا ، وضغطهم المستمر على جنوبي

شرقي آسيا : حين قابلت خروتشوف في السنة الماضية في كامب دافيد ، أطلعته على ذلك ، على مسألة الصين الشعبية ، وكانت وجهة نظرنا مختلفة » .

❦

وزعيم آخر كنت أقابل للمرة الأولى : كان الرئيس عبد الناصر ، رئيس الجمهورية العربية المتحدة . منذ تسلمه السلطة في مصر ، ونشب الخلاف بين حكومته ومعظم دول الشرق الاوسط . وكنت متشوقاً لأعلم المزيد عن شخصيته وطموحه .

كان مؤثراً ، طويل القامة ، مستقيم البنية ، قوي وإيجابي . ووجهه : عينان سوداوان وشعر اسود يعلوه قمم من البياض مما اعطاه مظهر مشرق .

وأسرع الى المواضيع المعينة . فقال ، ان اغلاق الامم المتحدة لمطارات الكونغو لم يكن عملاً صائباً ، وقد زعزع هذا العمل ثقة العالم بأسره . قلت له أن هذا التأكيد مبالغ فيه . لم يفسر لماذا كان يرغب فتح تلك المطارات إمام طائرات الجمهورية العربية المتحدة .

وشكى ايضاً من عجز الامم المتحدة بفرض خط الهدنة التي رسمته الامم المتحدة بين مصر وإسرائيل عام ١٩٤٨ . وقال ، الى أن تفرض الامم المتحدة تلك التدابير ، فإنه لا يستطيع الموافقة على مشروعات قرار الامم المتحدة التي تطالبه فيها السماح للسفن الاسرائيلية بالمرور من قناة السويس .

أعرب الرئيس ناصر عن أمله أن افريقيا لن تكون ساحة قتال للحرب الباردة بين الشرق والغرب . وانتقد مرشحي رياسة الجمهورية في الولايات المتحدة الذين كانا يصرحان بتأييد إسرائيل ومناهضة العرب ، ثم أشار الى بعض الخطابات غير المنصفة التي كانت تلقى في مجلس الشيوخ الاميركي ، وأصر أن التسعماية الف لاجيء فلسطيني المحشودين في قطاع غزة وعلى حدود الاردن يجب ان يعودوا لبلادهم بمساعدة الامم المتحدة . ونكر أنه قد نادى بتدمير إسرائيل ، وأكد لي أنه يرغب في تخفيض الميزانية الحربية في بلاده في أقرب وقت ممكن . غير انه قال أن طالما

أن إسرائيل تُدعم بالمساهمات اليهودية من جميع انحاء العالم ، فليس له أي سبيل إلا بالانتباه الى امن بلاده .

وأصر أن ليس هناك أي خطر من استسلام مصر للسيطرة الشيوعية . وانه عازم على قبول المساعدات السوفياتية مذ أنها لا تضع بلاده في مأزق

أعدت عليه قولي أن الولايات المتحدة ترغب في صداقة جميع دول الشرق الاوسط ، ولن تتخذ موقفاً متعمداً مع أي من الجانبين ، العربي أو الاسرائيلي إلا إذا اقتنعنا أن أحد الجانبين مذنب بالعدوان . أكدت له أن الولايات المتحدة ليس لها أي طموح سياسية أو أقليمية في افريقيا ، وترغب في مساعدة تلك الدول التي تكون على استعداد لأن تعمل مسالمة وبنشاط نحو رفع مستوى معيشة شعوبها . مهما كانت قيمة النقاط التي طرحها عبد الناصر أثناء المحادثة ، فإن اجتماعي به كان ذا فائدة هامة .

كنت مسروراً أيضاً ، كما كنت دائماً ، على وجود فرصة أخرى للتحدث لرئيس وزراء الهند ، الباندیت نهرو . وعلق على خطاب خروتشوف قبل ثلاثة أيام ، قال أن الجميع ، بما فيهم هو نفسه ، دهشوا من الهجوم على الامين العام . وقال انه قلق جداً على الوضع في الكونغو ، غير أنه أشار بجزم أن البلجيكيين قد « تركوا البلاد في دمار » . وقال نهرو انه لم يقرر بعد أي موقف سيتخذ في المناقشات الجارية في الامم المتحدة التي قد تنفع في تهدئة الحالة وتسكن المشاعر .

تحدثنا عن المفاوضات الناجحة في تقسيم مياه نهر الاندوس . وعن تغلغل الصين الشيوعية داخل حدود الهند . كان هادئاً للغاية أثناء مناقشة الموضوع الأخير ، غير أنه قال أن الهند بأسرها عازمة على حماية اراضيها مهما كانت التكاليف .

أخر اجتماعاتي في ٢٧ أيلول كانت مع رئيس الوزراء جون ديفنباكر ، رئيس وزراء كندا ، وهارولد ماكميلان ، رئيس وزراء بريطانيا ، اخبرني المستر ديفنباكر أن وزير الدفاع الهندي ، كريشنا مينون ، استنتج أن الغاية من خطابي أمام الجمعية العامة كان « لتحريك الحرب الباردة » .

وجدت هارولد ماكميلان متفاؤلاً نوعاً ما . فقال : « ان الجو في الجمعية العامة يبدو انه يتغير ، وهناك شعور أن خروتشوف قـد لعب لعبته جيداً » . فأجاب المستر هرتر على ذلك مردداً قول داغ همرشولد « يبدو أن الامم المتحدة قد استوردت بعض الفوضى السياسية على الكونغو » . قارنا بين التحركات الأخيرة في كاتانغا ، ونشاط باتريس لومومبا ، ومشكلة النجيريين في مدينة نيويورك ، حيث كان وفدهم يلاقي صعوبات في الحصول على فندق بسبب لونهم .

*

عند عودتي الى واشنطون في أول تشرين الأول ، علمت أن جماعة من خمس دول محايدة قد قدمت معاً مشروع قرار الى الامم المتحدة تطالب باجتماع بيني وبين المستر خروتشوف .

كان واضحاً أن اجتماعاً مثل هذا سيحل عدداً من المشاكل التي يعاني منها الغرب والشرق . أربعة من الزعماء ، ناصر ، ونهرو ، وتيتو ونكروما كانوا قد اجتمعوا معي في الاسبوع الماضي ، ولم يلوح أي منهم بمثل هذا المشروع . اما الخامس ، الرئيس سوكارنو – رئيس اندونيسا ، فلم أره منذ سنوات . كان هدفهم بعيداً عن الوضوح . إن اشتراك رئيس وزراء الهند ، نهرو ، كان بوجه خاص محيّراً .

طبعاً ، إذا صوتت الاغلبية في الامم المتحدة على المشروع ، فسوف أكون في موقف حرج للغاية . حتى لو انني اقنعت نفسي بالاجتماع مـع خروتشوف ، فذلك يكون تفكيراً رغبياً إذا ما اعتقدت ان مشروع قرار لأي مسألة متعلقة قد تنتج . يستطيع خروتشوف ، بصفته الزعيم المعترف به للكتلة الشيوعية أن يتحدث بكل تفويض عن جانبه ، لكنني ، أنا ، رئيس الدولة الوحيدة (بالرغم انها أقوى) من العالم الغربي ، فلا أستطيع الدخول في ورطة يتقيد بها الجميع . لذلك ، لو افترضنا أن خروتشوف كان مستعداً لتقديم تنازلات هامة للغرب ، حينئذ فقط نستطيع إنجاز اجتماع كهذا .

بعد مناقشات طويلة مـع مستشاري وبعد اصدقائي من الدول الصديقة ، قررت اننا ينبغي ان نحاول اما بسحب المشروع من قبل مقدميه ، وإذا استحال ذلك . أن نتأكد من فشل المشروع .

لذلك ، أول خطوة اتخذتها كانت تعميم رسالة على الدول الموقعة على المشروع ، وقلت :

إن المشاكل التي تمزق العالم في الوقت الحاضر هي التي تقلق الدول الأخرى بما فيها الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة . إن اهمية هذه المسائل هي المضي الى أبعد من العلاقات الرسمية والرسمية بين فردين . . .

كنت تعهدت شخصياً ، بغض النظر عن اي اعتبارات شخصية بأن اجتمع مع أي شخص وفي أي وقت إذا كانت هناك وعود بنتائج مثمرة . لا يوجد شيء في كلمات وأفعال حكومة الاتحاد السوفياتي يقدم لي سبباً للاعتقاد أن الاجتماع الذي تقترحونه يهيء مثل تلك الوعود . لا أرغب في الاشتراك بمجرد إيماء الذي ، في الظروف الحاضرة ، قد ينقل تأثيراً خاطئاً وبائساً الى شعوب العالم . .

فشل مشروع دول الحياد ، وصوتت ضده الولايات المتحدة ، وتغيب الاتحاد السوفياتي عن التصويت .



طائرة التجسس يو ـ ٢

من خريف ١٩٥٩ حتى ربيع ١٩٦٠ ، معظم النـاس في العـالم الغربي كانوا يشعرون أن هناك ذوبان ظاهر في التوترات المثلجة التي كانت قد اصبحت عادية بين الغرب والاتحاد السوفياتي . نتج هـــذا الطابـع جزئياً من موافقة خروتشوف في كامب دافيد على سحب تهديده بإنهاء وجود القوات الحليفة في غرب برلين . إن فعله هذا جعل ممكناً موافقة الدول الغربية في كانون الثاني على حضور مؤتمر قمة من غير تضحية بالاحترام الذاتي ولا تحت تأثير التهديد الابتزازي . أعدت الخطط لمؤتمر الربيـع الذي كان سيُعقد في باريس في الخامس عشر من أيار ١٩٦٠ .

ذلك الاجتماع لم يُعقد مطلقاً .

❦

في مساء أول أيار ١٩٦٠ إتصل بي على الهاتف الجنرال غودباستر وقـــال : « احدى طائراتنا الاستكشافية التي طارت من أضنة في تركيا ، قد تأخرت وربما فـُقدت » . عرفت في الحال أن هذه كانت إحدى طائرات يو ـ ٢ ، ومحتمل أن تكون فوق روسيا . باكراً ، في صباح اليوم التالي ، دخل الجنرال غودباستر الى مكتبي ، وعلى وجهه علامات أخبـــار سيئة . وقال لي : « سيدي الرئيس ، لقد تلقيت علماً من وكالة المخابرات المركزية ان طائرة الاستكشاف يو ـ ٢ التي ذكرت أمس لم تزل مفقودة . كان الطيار قد بعث بتقرير عن اشتعال في المحرك في موقع على نحو الف وثلاثماية ميل داخل روسيا ، ولم يُسمع شيئاً عنه منذ ذلك الحين . بكمية الوقود التي لديه ، لا يوجد فرصة لوجوده عالياً » .

❦

إن برنامج طائرات يو - ٢ وليد الضرورة . في أواسط الخمسينات ، وجدت الولايات المتحدة نفسها في مجتمع مكشوف تواجه امبراطورية شيوعية مغلقة التي لم تفقد أي من طموحها ، ولكنها تملك الآن ، طائرات وصواريخ موجهة مسلحة بأسلحة نووية ، وفي مركز يمكنها من شن هجوم مفاجيء على الولايات المتحدة . طالما أن الامبراطورية الشيوعية باقية مغلقة ، فهذه المقدرة سوف تصبح أشد خطورة . باستطاعتها الشر من غير علمنا ، وباستطاعتها التعبئة لهجوم مباغت .

كان الوضع غير مرض لأي شخص يتحمل مسؤولية أمن الولايات المتحدة . حين قدمت مشروع « الفضاء المكشوف » في جنيف عام ١٩٥٥ كنا ندرك أن لو قبل السوفيات به بجدية ، لكان خفف من هذا الخطر على الولايات المتحدة ، وأزال فرص الحرب الكونية . لم يُعتبر المشروع بجدية .

من الواضح أن لدينا جهاز كفوء للتجسس . في هذه الظروف ، رأى آلن دالاس أن الجواب لهذا ، سيكون طائرة من طراز جديد تُنشأ خاصة لمهمات استكشافية على ارتفاع عال .

لنعود خلفاً الى تشرين الثاني ١٩٥٤ حين جاء فوستر دالاس ، وتشارلز ويلسون وآلن دالاس ومستشارون آخرون ليروني ليحصلوا على تفويض بانشاء برنامج لانتاج ثلاثون طائرة خاصة بكلفة ٣٥ مليون دولار . وافقت على هذا العمل . وقلت « هيا احصلوا على المعدات ، ولكن قبل البدء في العمليات تعالوا ودعوني القي نظرة أخيرة على المشروع » .

كانت السرّية عامل جوهري وضروري . أي تسرب للمعلومات إما هنا أو في الخارج قد يرغمنا على التخلي عن الفكرة كلها . لذلك ، كل الاجتماعات المتعلقة بالمشروع كانت تُعقد على أعلى المستويات . حتى أن صناعة وتجميع الطائرة كانت تُدار في طريقة لتقلل من فرص تعرضها لنظر الجمهور .

لا نستطيع المغالاة في التوكيد بأهمية الجهود في ذلك الوقت . ومقدرتنا في التجسس مقابل مقدرة السوفيات لم تكن سيئة . يتمتع السوفيات بوسائل الاقتراب الى معلومات ما ، في حين نجد ان ذلك يصعب علينا . مثلاً ، منذ بضع سنوات ،

نشر كتاب على يد عضو من لجنة الطاقة الذرية ذاكراً أوصاف مفصلة وعن مواقع أهم منشآتنا النووية . في كل مكتبة تقريباً في المدن الهامة توجد خرائط دقيقة للجسور الهامة ، والمونشآت الصناعية ، والطرق العامة ، ومراكز سكك الحديد . وباستطاعة أي سائح في البلاد أن يحصل على نسخة من هذه الخرائط من أي مكتبة .

يختلف الأمر في الاتحاد السوفياتي ، حيث لا يمكن لأحد أن يحصل على مثل هــذه الخرائط إلا القليل ، وليس لأي أجنبي فرصة الحصول على أي خريطة . علاوة على هذا ، كنا نعلم أن السوفيات يحتفظون بجهاز تجسس واسع النطاق في اميركا ، وكانت تنصب المعلومات المتواصلة على الكرملين ـ معلومات قد تكون مفيدة في حال نشوب حرب . نظراً لهذه الإعتبارات ، وافقت على اقتراح رئيس المخابرات على استخدام طائرات يو ـ ٢ فوق الاراضي السوفياتية .

إن طائرة يو ـ ٢ طائرة شراعية أكثر من انها عادية . كانت أجنحتها كبيرة لدرجة ان طرف الاجنحة زُودت بعجلات كي تمنعها من السحب على الارض أثناء الهبوط أو التدرج . عدة ميزات جعلت طائرة الـ يو ـ ٢ طائرة مثالية للغرض المطلوب : كان شكلها فريداً من نوعه بحيث كانت تبدو وكأنهــا قاذفة قنابل ، باستطاعتها حمل آلة تصوير ثقيلة إلى ارتفاع أكثر من ستين الف قدم ، وعلى هـذا الارتفاع تكون في مأمن من الطائرات المقاتلة السوفياتية التي تتصدى لها . كانت الدلائل عن مقدرة الطائرة بانتاج صور واضحة ، مثيرة جداً .

أطلعت على صور التقطت من على ارتفاع سبعين الف قدم لبعض مدننا الهامة . استطعنا بسهولة ان نحصي عدد السيارات في الشوارع وحتى الخطوط المرسومة على الطريق التي تشير بمواقف السيارات الخاصة . لم يكن هناك أي بالمعلومات التي تحصل عليها .

ثم اننـا قمنا بتجربة احتمال اكتشاف طائرة يو ـ ٢ من قبل السوفيات عندمـا تحلق فوق اراضي تلك الدولة . وهكذا ، أجريت عدة طيرانات تجريبية فوق بلادنا . بالرغم أن أجهزة راداراتنا أنذرت بوجود طائرات غريبة تحلق فوق اراضي وطننا ، لكن تحليق الـ ـ يو ـ ٢ ، كان أما غير منظوراً أو أن تعقبها كان مخطئاً .

قدم لنا هذا الواقع ثقة أن في كفائة الرادار الحالية ، وفي عجز الطائرات المقاتلة على العمل على ارتفاع أكثر من خمسين الف قدم ، فطائرة الـ يو ـ ٢ تستطيع القيام بمهامها بأمان مضمون .

هناك ميزة هامة أخرى بالطائرة : بناءها سهل المكسر. ادى هذا الى الافتراض أن في حالة أي حادث ستفكك الطائرة فوراً . وسيكون مستحيلاً ، إذا ساءت الأمور ، على وقوع أي معدات سليمة في أيدي السوفيات ـ أو لسوء الحظ ، طيار حي" . كان هذا افتراضاً قاسياً ، لكن أوكد لي ان الطيارين الشبان الذين يقومون بهذه المهمات إنما يفعلون ذلك بوعي وحذر كبيرين ، وبدافع من الوطنية .

ابتدأت طائرات الـ يو ـ ٢ بالطيران في عام ١٩٥٦ . كانت تطير بتقطع بسبب الحاجة الى الطقس الجيد ، الذي كان يسمح لعملية بضعة أيام في الشهر ، وأثناء الفصل الملائم . كل سلسلة من التعديات كانت تخطط وتنفذ بمعرفتي وإذني بوعي تام بالعواقب الديبلوماسية الشديدة التي سنواجه إذا ساءت الأمور .

أثناء السنوات منذ الحرب العالمية الثانية ، كانت المصانع الالكترونية ، في جميع الدول (ولم تزل) تحرز تقدماً باهراً في تضبيط معدات وفنون الرادار . منذ البداية تقريباً علمنا أن السوفيات كانوا يعلمون عن طيرانات الـ يو ـ ٢ ، وكانوا من وقت لآخر يقومون بتعقب جزئي بواسطة الرادار. علاوة على ذلك ، كان يقام عمل واسع النطاق ، في الاتحاد السوفياتي وفي بلادنا لتحسين الصواريخ الدفاعية ـ من النوع الذي يسقط طائرات تطير فوق متناول المدفعية المضادة للطائرات والطائرات المقاتلة .

من بين اولئك المسؤولين ، كنت الوحيد الذي يعرب عن اعتقاده باستمرار أن إذا ما سقطت إحدى الطائرات في الاراضي السوفياتية ، ستهب موجة من الإهتياج الشديد في جميع العالم بوحي من احتجاج السوفيات ضد العدوان ، والظلم الخ . . . لم يوافقني الآخرون باستثناء موظفي والمستر بيسل . فالمستر دالاس ، مثلاً ، قال : « إذا ما استولى السوفيات على احدى هذه الطائرات ، فأنا متأكد

أنهم لن يقروا بذلك ، لأنهم إذا صرحوا بذلك ، سيكون ضرورياً لهم أن يعترفوا أننا منذ سنوات ونحن نقوم بالطيران فوق اراضيهم وأنهم كانوا عاجزين عن فعل أي شيء نحو المسألة » . علما أن في عدة مناسبات انطلقت الطائرات المقاتلة السوفياتية من قواعد قريبة في محاولة التصدي ، لكنها لم تستطع الاقتراب من طائرة الـ يو — ٢ كي تصيبها . محتمل ان الطيارين لم يروا إحدى هذه المحاولات مطلقاً . غير انني قلت أن بينما أواثق من كل قلبي على استمرار البرنامج ، فقد كنت مقتنعاً أن في حال أي حادث يجب أن نكون مستعدين لعاصفة من الاحتجاج ، ليس فقط من الاتحاد السوفياتي ، بل من كثير من الناس ، وخاصة من بعض السياسيين في بلادنا . لن يكون وقت الفشل مفيداً .

لكن نظراً لنجاح عدد من الطيرانات في الماضي ، فقد أصبح رجال المخابرات أقوى ثقة أن نتيجة كل عملية في المستقبل ستكون مضمونة . وإلى هذا ، فالمعلومات التي حصلنا عليها كانت هامة . لذلك حين قُدم برنامج ربيع ١٩٦٠ وافقت عليه .

❦

كان هناك ، على وجه التأكيد ، عذر للقلق العميق والحزن على احتمال فقدان الطيار ، لكن من غير خوف فوري على المعدات . أوكد لي أن إذا سقطت الطائرة فانها ستدمر إما في الهواء ، أو وهي في حالتها ، وهكذا فان دليل التجسس سيكون مفقوداً . وضعت آلات تدمر نفسها في الطائرة .

لم يكن لدينا ما نفعل نحو المسألة في ذلك الصباح من أيار . فطلبت من الجنرال غودباستر أن يبلغني بكل جديد ، واستمريت في عملي اليومي .

مرّ يومان تقريباً على أول تقرير قدمه غودباستر من غير ورود أي خبر إليّ من أي مصدر عن مصير الطيار المفقود .

ثم في ٥ أيار ، بينما كنت أحضر اجتماعاً في مجلس الأمن القومي ، علمنا بردود فعل السوفيات . ابلغنا آلن دالاس بالدفعة الأولى من خطاب خروتشوف امام المجلس الأعلى السوفياتي ، حيث وعد الشعب الروسي بتخفيض ساعات العمل

والضرائب . اما بقية نص الخطاب كانت ترد برقياً حين غادر المستر دالاس اجتماع المجلس ، لكنه (دالاس) قال انه يعتقد أن الخطاب سيتضمن إشارة شديدة الى الولايات المتحدة واجتماع القمة . هنا وقف الجنرال غودباستر ، الذي كان فقدان الـ يو - ٢ يقلق باله ، وترك الاجتماع ليدبر أمر إرسال نص كامل للخطاب بآلة مبرقة سرية .

وصل نص الخطاب تماماً عند انفضاض الاجتماع . أعلن خروتشوف عن اصابة طائرة تجسس اميركية التي تغلغلت داخل الاراضي السوفياتية .

*

طلبت من كبار موظفي وزارة الخارجية ، ووزارة الدفاع ، والمخابرات المركزية - أولئك المختصين بعمليات طائرات - يو - ٢ أن يبقوا داخل المجلس لدراسة الوضع الذي يواجهنا الآن . تجنباً لأي ارتباك ، فقد كان من الأفضل أن يصدر تصريحاً للجمهور من جهاز واحد من أجهزة الحكومة ، في هذه الحالة وزارة الخارجية . في الوقت الحاضر كان على البيت الأبيض البقاء جانباً .

في مساء الجمعة ٦ أيار ، مثل خروتشوف أمام مجلس السوفيات الأعلى ، وأعلن ما كنت اعتقد غير محتمل : الطيار الذي لم يصب بأذى بالإضافة الى كثير من المعدات كانوا في أيدي السوفيات من غير أي تلف . إعترف فرانسيس غاري بورز ، الطيار بمهمته التي كانت تثبتها البراهين ، وأنه كان مكلف بالتغلغل داخل اراضي الاتحاد السوفياتي . عرضت صور بورز وصور اجزاء طائرة التجسس على الجمهور .

كانت ردود الفعل هنا وفي الخارج مختلطة . تلقى بعض الاميركيين النبأ بارتياح فكتب أحد المحررين المشهور بتفائله مقالاً تحت عنوان «الاخبار المدهشة» ، متباهياً أن الولايات المتحدة كانت ترسل تلك الطائرات فوق الاراضي السوفياتية منذ مدة طويلة . وآخرون استقبلوا تصرف خروتشوف باستياء شديد : وقلائل كانوا يتخوفون أن هذا الاستفزاز قد يؤدي الى حرب شاملة .

أصدرت وزارة الخارجية تصريحاً تشير الى أهمية نشاط جمع المعلومات . كنت

ارى أن ذلك قد يُعتبر خطأ ، لكن المستر هرتر قال أن من الاهمية ان نسير على هذه الطريقة كي نقدم لخروتشوف « مخرجاً » في الحادث الذي يرغب أن يقلل من المسألة برمتها .

في الصباح التالي ، زارني وزير الخارجية هرتر مرة ثانية ، في هذه المرة اقترح إصدار تصريح نعترف به بصحة إدعاءات الروس . سوف يكون من جانب الحكومة الافشاء بالحقيقة انني كنت قد أشرت بجمع المعلومات بكل وسيلة ممكنة لحماية الولايات المتحدة والعالم الحر ضد أي هجوم مفاجيء .

إن اعترافي بتحمل مسؤولية نشاط التجسس لم يسبق أن حدث لأي رئيس دولة ، لكن هكذا كانت الظروف . لم يكن فرنسيس غاري بورز مسافراً عادياً يتسلل عبر الحدود بين الحراس ويعيش في الخفاء في أرض عدو مقتدر . كان بورز قد اعتقل على مسافة ألف وثلاثمائة ميل داخل الأراضي السوفياتية ، ناقلاً آلة باهظة التكاليف ومزوداً بأكثر آلات التصوير تعقداً . في الحقل الديبلوماسي كان الروتين المألوف نكران المسؤولية لأي حدث مثل هذا ، حين يكون هناك فرصة واحد في المائة من التصديق ، لكن حين يكون العالم بأسره لا يتمسك بأي حبل من الشك بالحقيقة ، فليس هناك أي جدوى في المحاولة للتهرب من الامر .

علاوة على ذلك ، بدى لي أن ثوران المستر خروتشوف كانت تدوم العالم مغناطيسياً بتقديم مشوه لوجه واحد من الجاسوسية الدولية .

في اجتماع في البيت الأبيض مساء ذلك النهار ، التاسع من أيار ، وضعت حادثة طائرة يو ــ ٢ في قمة اعمال اليوم . لم يكن هناك شيء يتطلب تعليمات الى كل الاعمال التي ينبغي اتخاذها . غير اني ، رأيت من الأفضل أن ندرس الأحداث المحيطة بحادث الـ ــ يو ــ ٢ ونوع العاصفة التي نشأ عنها . أشعرت الحضور أن آلن دالاس سيجتمع هذا المساء مع زعماء الكونغرس ليفسر عملنا التجسسي « كاملاً ومن غير أي اعتذار » راجعت تاريخ طيراننا الطويل الأمد الناجح ، والأسباب التي دعتني اتقبل المسؤولية شخصياً من غير تردد بكل اعمال برنامج الـ ــ يو ــ ٢ . ولكي أطمئن بالهم ، أكدت لهم بأن البرنامج قد زودنا بمعلومات كثيرة هامة ومفيدة .

وتحولت الى المستقبل ، وقلت أن يجب أن يكون هناك دائرة واحدة ضمن الحكومة مفوضة على التحدث عن حادث الـ يو - ٢ وزارة الخارجية . ليس لأحد أن يعلق . كنت أتوقع أن أي تصريح يصدر عن آخرين ، حتماً سيحتوي على بعض التناقضات التي تتعرض لتفحص الصحافة . وأضفت : « ليس علينا الآن إلا تحمّل العاصفة » . أدرك الجميع انني أنا وحدي - لي الحق بذلك - أنا من يتحمل العاصفة .

٭

من بين كل هذه الاضطرابات ، كان ضرورياً تجنب فقدان مشهد الموضوع التالي المباشر : تأثير حادثة يو - ٢ احتمالات نجاح مؤتمر القمة المقبل في باريس . ومسألة صواب حضوري اجتماع يتضمن المستر خروتشوف ، فقد أبلغت وزير الخارجية بأنني غير عازم بتعديل خططي . التطورات الوحيدة التي تستطيع الحؤول دون حضوري ، سوف تكون أنباء إلغاء المؤتمر أو أن المستر خروتشوف لن يحضر الاجتماع .

كنا نعلم في مؤتمر كهذا ، لن يكون هناك ، علامة من الاعتدال ، حتى من الناحية السطحية . لن يكون ضرورياً محاولة إخفاء تحت قناع مزيف على الصداقة الحميمة ، وجهات النظر المتناقضة لكل من الجانبين عن المشاكل الرئيسية للحرب الباردة . بالنسبة لي ، كان الحضور واجباً . قد لا يكون محبذاً ، غير اني لست انوي تجنبه .

سافرت في ١٤ أيار إلى باريس .

قبل مغادرتي ، أطلعت الجهات المختصة أن طيران طائرات يو - ٢ فوق الاراضي السوفياتية لن يُستأنف . كان سببان لذلك : الأول ، نظراً للتقدم السريع للصواريخ التي تطلق من الأرض إلى الجو والى الكفائة الرادارية فإن طائرة يو - ٢ لم تعد الطائرة التي يعتمد عليها لهذه الأغراض . والسبب الثاني هو التقدم في التصوير للارض بواسطة الأقمار الصناعية . في نفس الوقت ، اقترح عليّ بعض زملائي في الحكومة (وبعض اعضاء الكونغرس) بأن أعاقب ، إما

بالتأنيب أو بالطرد من الوظيفة المسؤولين القلائل عن عمليات الـ يو - ٢ . إن فكرة عمل كهذا ستنطوي على الاقل ، على مغزى أن طائرات يو - ٢ كانت تقوم بعملياتها من غير تفويض مني أو حتى بدون علمي - وانني مجرد ضحية موظفين بارعين .

لم استطع فهم هذه الحجة . إذا انكرت اشتراكي في المسألة برمتها فذلك يعني أن أجزاء من حكومة الولايات المتحدة كانت تعمل بوحي اللامسؤولية ، ودون أي اعتبار لسيطرة الرئاسة . وهذا بما لا يصدق . علاوة على ذلك ، حين اشترك في مؤتمر يكون خروتشوف أحد اعضائه فإنه سيشير بأسى إلى « عجزي » على إدارة مسائل حكومية هامة ، وانه سيهزأ ويرفض أي حجة من جانبي على أساس انني لا استطيع التكلم نيابة عن حكومتي . وأخيراً ، إذا تظاهرت باتخاذ عقوبات ضد بعض الموظفين - حين يكون جميع المسؤولين عن العمليات يدركون جيداً أن ذلك كان بموافقتي الخاصة - سيكون اتخاذ عملاً ظالماً مكشوفاً . لذلك فقد رفضت الفكرة على الفور .

❀

حطينا في مطار أورلي ، قرب باريس في صباح ١٥ أيار . بعد وصولي بقليل اعلمني هارولد ماكميلان الذي وصل الى باريس قبلنا ، انه استلم رسالة من خروتشوف ، ويبدو أنها كانت نسخة من الرسالة التي ارسلت الى الرئيس ديغول - رئيس المؤتمر المرتقب .

بعد أن احتوت الرسالة على عبارات الشعور بالغضب والاستياء لدى الحكومة السوفياتية وشعبها بأسره على وقاحة حكومة الولايات المتحدة بتفويضها لعمليات التحليق فوق الأراضي السوفياتية ، فقد تضمنت شروطاً عليّ أن آخذ بها قبل أن يحضر خروتشوف الى المؤتمر . أول هذه الشروط كان أن يجب أن أندد بعمليات يو - ٢ بأنه استفزاز غير مبرور اقترفه سلاح الجو الأميركي ضد الاتحاد السوفياتي ، وثانياً ، يجب أن أعلن عدم استمرار عمليات مماثلة في المستقبل ، وأخيراً يجب أن أعاقب بشدة اولئك المسؤولين عن « الخرق المتعمد للاراضي السوفياتية بواسطة الطائرات الاميركية » . وأضاف خروتشوف في رسالته أن حتى تنفذ جميع هذه

الشروط « فلا أستطيع أن أكون بين المشتركين في مفاوضات حين يكون احدهم يكن العداء نحو الاتحاد السوفياتي » .

وأنتهت الرسالة بالقول أن إذا فـُعلت تلك الأمور ، فإن المستر خروتشوف كونه رئيساً للحكومة السوفياتية سيكون على استعداد في الاشتراك بالمؤتمر وسيفعل كل شيء ممكن نحو الاسهام في نجاحه .

قلت للمستر ما كميلان على الفور ان لا يوجد أي احتمال لأي اعتذار من جانبي على اعمال كنت ارى أنها ضرورية لأمن الولايات المتحدة .

في نفس ذلك المساء دعى الرئيس ديغول كلًا من ما كميلان وأنا لمشاركته في قصر الاليزيه لمناقشات تمهيدية ، وبوجه خاص مناقشة رسالة خروتشوف . قلت أن خروتشوف شكاني ولا أرى أي سبب لعدم توجيه تلك الشكوى مباشرة إليّ . اتصل خروتشوف بالرئيس ديغول وبما كميلان ليسجل اعتراضه ويذكر شروطه ، لكنه لم يقم بأي خطوة ليعلمني .

وقد اعترفت صراحة للرئيس ديغول ولرئيس الوزراء البريطاني ، أن عمليات يو - ٢ التي قمنا بها بالرغم أنها سيئة الطابع لكن موقف مخابراتنا كانت خطيرة لدرجة انني وجدت أن ليس هنـــاك أي خيار . كلاهما ادرك أسبابي ، وبديا انهما يتعاطفان معي .

تحولت محادثاتنا الى نوع الرد الذي ينبغي أن أعد لخروتشوف إذا افتتح المؤتمر في الصباح التالي بانفجار عنيف . اقترح الرئيس ديغول أن يكون ردي هكذا : « الجميع يفعلون هذا ، وانتم أيضاً أيها السوفيات تقومون بها » .

قال الرئيس ديغول أن يجب على هذا الحادث ألاّ يُفسر بأنه السبب الحقيقي للتوتر العالمي . فرد ما كميلان قائلًا ان الحادث يقدم دليلًا بضرورة عمـــل شيء لتخفيف حدة التوتر .

ثم اننا تحولنا الى عدد من المواضيع الأخرى المتوقع ظهورها في المؤتمر . في كل هذه المسائل ، كانت الأولى مشكلة برلين .

اتفقنا أن منذ أن رسالة خروتشوف التي ارسلها الى ديغول وما كميلان شاكياً، فمن الملائم، حين الاجتماع في المؤتمر في صباح الاثنين، أن يطلب مني رئيس المؤتمر (الجنرال ديغول) الحديث كي استطيع أن أرد بسرعة على الاتهامات التي وضعت امام زميلي الغربيين .

لكن حين اجتمعنا في الصباح التالي ، أفسد خروتشوف هذه التدابير بسرعة . لم يكن الرئيس ديغول قد أتم جملته التي أعلن فيها افتتاح اعمال المؤتمر ، وإذ بخروتشوف هب واقفاً ، محمر الوجه ، مطالباً بصوت عال الحق في الكلام . نظر إلي الجنرال ديغول متساؤلاً ، وحين اوميت له ، التفت نحو خروتشوف وقال ان كل شيء على ما يرام .

عندئذ شن رئيس الوفد السوفياتي (خروتشوف) نقداً ساخراً عنيفاً طويل ، من نص معدّ سلفاً . لم يكرر الإتهامات والشروط التي ذكرها في الرسالة التي بعث بها لديغول وما كميلان ، لكنه مضى شوطاً بعيداً لتفسير الأسباب التي أصبحت الآن ضرورية في سحب دعوته اليّ لزيارة الاتحاد السوفياتي .

إن طول تفسيره والتوكيدات التي قدمها نحو هذا الموضوع يشير بوضوع انه عازم على إبعادي من الدخول الى روسيا .

ثم جاء دوري ، ورديت عليه باختصار معيداً ذكر السبب الذي رأته حكومتي ضرورياً لإدارة نشاط التجسس ، مشيراً ان هذا النشاط لا ينطوي على نوايا عدوانية ، لكن لتطمين الولايات المتحدة من أي هجوم مفاجيء . وابلغت المؤتمر أن الطائرات نفسها لم تكن مزودة بالسلاح ، وأننا قد الغينا البرنامج ولن يُستأنف بعد الآن . وذكرت أن إذا كان هدف المستر خروتشوف الأساسي إبعادي عن بلاده فلن يحتاج الى المضي في مثل هذه التفاصيل الطويلة . مجرد تصريح بأنني غير مرحب بي سيكون كافياً . وقلت :

« لقد جئت الى باريس لأسعى على اتفاق مع الاتحاد السوفياتي لإزالة سائر انواع التجسس ، بما فيها الطيران . ولا أرى أي سبب لاستخدام هذا لفض الاجتماع .

إذا ثبت مستحيلاً ، نظراً لموقف السوفيات ، للمجيء الى باريس والتشبث بهذه المشكلة ، في حين توجد مشاكل أخرى حيوية تهدد السلام العالمي ، فإني أعد في المستقبل القريب مشروعاً لتقديمه للامم المتحدة بخلق مراقبة جدية لاكتشاف الاستعدادات الهجومية . كنت انوي وضع هذا المشروع امام هذا المؤتمر . إن جهاز المراقبة سيعمل في أراضي كل الدول التي تقبل تفتيش كهذا ...

عندما انتهيت ، أبدى الجنرال ديغول ملاحظة مثيرة بأن الأقمار السوفياتية كانت تمر فوق فرنسا خلال الأيام القلائل الماضية ، وأن جميع الفرنسيين قد أبلغوا عن طبيعة هذه العربات الفضائية ، وقد تكون التقطت صوراً فوتوغرافية استكشافية لجميع الأراضي الفرنسية .

فاعترضه خروتشوف قائلاً أنه كان يتحدث عن الطائرات وليس عن الاقمار . وقال بإمكان أي دولة في العالم التي ترغب بأخذ صور للاراضي السوفياتية أن تفعل ذلك ، ولها مطلق الحرية .

على أية حال ، لقد بدى التوقف التام واضحاً ، وخرج خروتشوف مع وفده قائلاً انه سيعطي تصريحه الخطي للصحفيين في الوقت الذي يراه مناسباً. بعد مغادرته بقينا نحن الثلاثة نتحدث غير رسمياً لبعض الوقت .

عندما خرجنا من الاجتماع لمسني الرئيس ديغول بمرفقي وقال : « مهما حدث فإننا معكم » . كان ولاء زميلي ديغول وماكميلان ألمع شيء في المسألة كلها .

في صباح اليوم التالي اجتمع الحلفاء الغربيين في قصر الاليزيه . في ذلك الاجتماع قرر أن يبعث ديغول بدعوة خطية لخروتشوف للاجتماع معنا في الساعة الثالثة بعد الظهر ، ثم طلب رداً خطياً على دعوته . بينما أبلغنا بواسطة الهاتف عن عزمه بالحضور ، فقد قاطع الاجتماع عمداً ومن غير أي إشعار غير أننا انتهزنا الفرصة لنقرر صيغة عمل الغرب . قررنا على وضع صيغة تصريح دقيق عن الحادث بأسره ، وأن ننشره فوراً بعد انقاع أي أمل بالاجتماع معاً مع المستر خروتشوف . ثم اجتمعنا ثانية في المساء في قصر الأليزيه انتفق بين بعضنا في وضع الكلمات للتصريح .

❦

كان اجتماع باريس آخر مرة أرى فيه خروتشوف شخصياً . اني آسف لذلك . لا بد من قول الصدق أن خروتشوف كان رجل محبوب . كان ذكي ، ومحنك ، وفذ الشخصية ، وبارداً عن عمد حتى حين كان يتظاهر أن الغضب يسيطر عليه . في المحادثات الخاصة كان فظاً لكن ظريف ومرح . يحب الضحك دائماً ومتمسكاً بعائلته . إن خروتشوف على مائدة الشاي غير خروتشوف على مائدة المؤتمر .

أعتقد انه لو عقد مؤتمر باريس لكان نتيجته الفشل . كان بوسع خروتشوف استخدام ذلك الفشل كعذر لسحب دعوته إلي لزيارة موسكو . وقد سهل حادث طائرة يو - ٢ هذا الالغاء .

إن الغلطة الكبرى التي اقترفت ، كانت في طبيعة الحال ، تكمن في إصدار رواية تغطية قبل الأوان . إن أسفي وندمي الوحيدين هو اني سمحت لنفسي بالاقتناع بإصدار تلك الرواية .

كما انني آسف لأن أحد طيارينا الشبان كان سيدفع ثمن الفشل بالسجن .

أطلق سراح فرنسيس غاري بورز بعد انتهاء عهد رياستي . وقد تبادلنا مع السوفيات وسلمناهم الكولونيل رودولف ابيل رئيس شبكة التجسس الذي اعتقلناه في بروكلين ، مقابل فرانسيس بورز .

كان برنامج طائرة يو - ٢ من الناحية الفنية ناجحاً . فالمعلومات التي حصلنا عليها ساهمت كثيراً نحو حجم وجهاز دفاعنا وأمننا في كشف نموذج الصناعة السوفياتية التي تشكل خطراً جسيماً علينا . بعد أن تسلحنا بالمعلومات التي قدمتها طائرات يو - ٢ والتي زودت بها قواتنا المسلحة ، فقد أصبحنا قادرين على تخطيط عملنا السياسي - العسكري .

❖

كوبا وكاسترو

بعد عودة نائب الرئيس ، ريتشارد نيكسون من رحلته ، قدم تقريراً يقول : « إن خطر الشيوعية في اميركا اللاتينية أخطر بكثير عن ذي قبل » .

بالرغم ان ليس بيننا من يدرك في ذلك الوقت ، أن هذا الخطر سيشاهد في اميركا اللاتينية بل في جزيرة كوبا . هناك ، أفلح شاب ذا لحية يسمى فيدل كاسترو في جمع نحو ألف رجل في جبال اسكامبري ، كانت هذه القوة تهدد الاقطاعي الثري الفاسد الديكتاتور فولجنشيو باتيستا ووضع حد لدولته البوليسية الظالمة المستبدة .

خلال ١٩٥٨ ، وفقاً لميثاق منظمة الدول الاميركية ، تبنت الولايات المتحدة سياسة عدم التدخل في كوبا ، على الرغم أن التأييد لكاسترو كان ينتشر . كنا قد حجزنا شحنات من الأسلحة في طريقها الى كاسترو ، وفي آذار أوقفنا شحن الأسلحة إلى باتيستا . لم نرغب اتخاذ اي جانب ولا التدخل ، كما أخبرت مؤتمراً صحفياً في تشرين الثاني ١٩٥٨ ، إلا بحماية المواطنين الاميركين في كوبا . بعد شهر ، شن كاسترو هجوماً شاملاً على سانتا كلارا ، عاصمة إقليم لاس فيلاس في وسط كوبا وجدت قوات باتيستا إنها عاجزة على هزم كاسترو فانضمت إليه . بدا واضحاً أن كاسترو قد كسب تأييد الشعب المادي والمعنوي .

اثناء انحدار هذه الاحداث في الأيام الأخيرة من عام ١٩٥٨ ، أشارت وكالة المخابرات المركزية للمرة الأولى أن انتصار كاسترو قد لا يكون في صالح الولايات المتحدة . (كانت التقارير السابقة التي تلقيتها عن شيوعية كاسترو مشكوك فيهـا لكونها صادرة عن أشخاص يفضلون باتيستا) .

قال آلن دالاس : « يبدو أن الشيوعيين والراديكاليين قد تغلغلوا في حركة كاسترو ، إذا استولى كاسترو على الحكم ، فمن المحتمل أن يشتركوا في الحكومة » . عند سماعي هذا التقدير ، غضبت لأن لم يُقدم هذا الاستنتاج من قبل .

نصح أحد مستشاري أن ينبغي على الولايات المتحدة الآن ان تدعم باتيستا لأنه الاقل شراً . لم أتبع الاقتراح . إذا ظهر كاسترو سيئاً كما تقول مخابراتنا ، فإن أملنا الوحيد سيكمن في « قوة ثالثة » غير ديكتاتورية ، لا كاستروية ولا باتيستانية .

في أول يوم من سنة ١٩٥٩ ، طلب باتيستا اللجوء السياسي في جمهورية الدومينيكان ، واستعد فيدل كاسترو لدخول هافانا منتصراً .

على الرغم من تخوفنا ، فإن خطوات كاسترو الأولى ، في العام الجديد اعطت بعض المراقبين سبباً في الأمل الأفضل . ففي ٢ كانون الثاني ، مثلاً ، أعلن كاسترو تعيين رئيس مؤقت مقبول لدى الغرب ، كارلوس مانويل اوروتياليو ، الذي عين بدوره بعد بضعة أيام ، رئيساً للوزراء الدكتور جوسيه ميرو كاردونا . اعترفت عدد من دول اميركا اللاتينية بنظام حكم كاسترو في ٦ كانون الثاني .

في آخر أيام شباط ١٩٥٩ ، أعلن كاسترو تأجيل الانتخابات الى سنتين بعد أن كانت ستقام في ٢٦ آذار . قدم آلن دالاس تقريراً ذكر فيه : « إن نظام حكم كاسترو يتحرك نحو الديكتاتورية الكاملة . إن الشيوعيين يعملون علناً وشرعياً في كوبا . وبالرغم من أن حكومة كاسترو غير خاضعة للسيطرة الشيوعية فإن الشيوعيين يشقون طريقهم إلى نقابات العمال ، والقوات المسلحة ، ومنظمات أخرى » .

بلغنا أن محرري الصحف الاميركية قد دعوا كاسترو لزيارة واشنطون لإلقاء خطاب في نادي الصحافة الوطنية في ١٧ نيسان . كنت ساخطاً على انباء الدعوى وعن قبول كاسترو لها .

بعد أن كنت شخصياً اشتبه بشدة بميل كاسترو نحو الشيوعية ، سألت إذا كان

في الإمكان رفضه فيزا بالدخول . نصحت أن تحت الظروف الحالية ، لن يكون من الحكمة فعل ذلك . غير انني رفضت مقابلته .

في واشنطون ، عقد كاسترو مؤتمراً مع نائب الرئيس لمدة ثلاث ساعات . بعد نهاية الاجتماع ، كتب نائب الرئيس مذكرة طويلة وقدمها لوزارة الخارجية والى وكالة المخابرات المركزية وأشار فيها الى استنتاج واحد وهو أن كاسترو « إما إنه مخدوع بالشيوعية ، أو أنه تحت الانضباط الشيوعي» . إن تصريحاً كهذا عن حكومة اعترفنا بها ، لا يمكن نشره من غير واقعة مؤيدة .

أحداث متتابعة ، اثبتت وجهة نظر نائب الرئيس . فقــد رحب الماجور ارنستو تشي غيفارا ، وهو طبيب ارجنتيني ويعرف عنه بزمالته لليساري اربنز في غواتيمالا ، رحب بتأييد الشيوعيين لحكومة كاسترو . وأثنى ماوتسي تونغ وزعمــاء شيوعيين آخرين بكاسترو . سافر تشي غيفارا الى آسيا ، حيث أبلغ الشيوعيين الهنود أن حين تتخلص كوبا من القاعدة البحرية الاميركية في خليج غوانتنامو ، فإن كاسترو سيظهر الوانه الحقيقية في سياسة خارجية .

أخذت الصحف الشيوعية ، بما فيها صحيفة صينية تتدفق على كوبا . وزارت الوفود الكوبية بكين وتحدثت عن إنجازاتها مع الرئيس ماوتسي تونغ . كشف نائب مدير المخابرات المركزية النقاب أن الاتحاد السوفياتي كان قد ارسل بخبير الى كوبا لينظم نبل ثورتها . ندد كاسترو بالولايات المتحدة في شهر أوكتوبر — تشرين الأول ، وبعدها كانت حكومة كوبا تتضمن مسؤول واحد كبير غير مرتبط بالشيوعيين . بعد بضعة أسابيع أتت جميع الشركات الخاصة تحت سيطرة الحكومة .

في نفس الوقت ، خلال بضعة أسابيع من دخول كاسترو الى هافانا ، بدأنا نحن في الحكومة بدراسة غير رسمية للتدابير التي قد تكون فعالة في منع كاسترو إذا تطور الى مستوى الخطر . في نهاية ١٩٥٩ ، كنا نناقش بجدية تعديل القانون الذي يعكس موقف الولايات المتحدة الحمائي نحو كوبا لمدة ستين سنة ، وألزم الولايات المتحدة بشراء نصف محصول كوبــا من السكر سنوياً بسعر أعلى من

القيمة العادية . واقتراح آخر ، كان بذل الجهود لحث جميع دول اميركا اللاتينية على مراقبة كاسترو بحذر ، وأن تناهض أي حركة منه لنشر الثورة في شبه الكرة الغربية .

كانت أحد الاقتراحات بأن ننشيء قوة مناهضة لكسترو داخل كوبا بالذات . ورأى البعض أن نفرض حصاراً على الجزيرة ، بحجة أن إذا انهار اقتصاد كوبا ، الكوبيين أنفسهم سيطيحون بكسترو .

في أوائل ١٩٦٠ ، لم يكن هناك أي شك لدى الحكومة أن « شيئاً ما ينبغي عمله » ـ كان السؤال : متى ، وماذا ، وتحت أي ظروف ؟ كنا ندرك أن المبادرة بعمل من جانب واحد ، قد يكون فتاكاً لآمالنا في تقوية منظمة الدول الاميركية في معالجة مشاكل دولية ذات مصلحة مشتركة . كنا نعلم عن كاسترو انه : بطل الجماهير في عدد من دول اميركا اللاتينية . كانوا ينظرون إليه انه نصير الحقيرين وعـــدو الاستغلاليين الذي يسيطرون على ثروات وحكومات بلادهم .

❦

في ١٧ آذار ١٩٦٠ ، بعد عودتي من بورتوريكو ، أصدرت الأوامر الى وكالة المخابرات المركزية بأن تبدأ في تدريب الكوبيين المنفيين هنا وفي غواتيمالا لليوم الذي قد يستطيعون العودة فيه الى بلادهم .

لم نستطع فعل أكثر من ذلك ، لأن الكوبيين في المنفى لم يقوموا بأي خطوة في اختيار من بين أعضائهم زعيماً نستطيع الاعتراف به انه رئيس الحكومة في المنفى .

وحين حاولنا حمل بعض الدول على العمل معنا ضد كاسترو ، واجهنا مشكلة أخرى : أن معظم جاراته من دول اميركا اللاتينية يعتبرونه اقل خطراً من الجنرال رافايل ليونيداس تروجيلو مولينا ، رئيس جمهورية الدومينيك . هـذا الرجل الذي يبلغ الثامنة والستين من العمر ، والذي ما زال يحكم منذ ثلاثين سنة ، يستطيع ان يطالب من غير مجادلة بلقب « أقدم ديكتاتور على قيد الحياة » يدير قوة بوليس

ضربة كفيئة وحائز على سجل حافل بالقتل الغامض والاختطاف غير المنظور .
حاول كل من كاسترو ورامولو بتانكورت رئيس فنزويلا الشيوعي السابق أن يطيحا بتروجيلو ، عن طريق الغزو عـام ١٩٥٩ ، لكنهما اخفقا . وفي كانون الثاني ١٩٦٠ ، سحق تروجيلو مؤامرة أخرى ضده ، وسجن أكثر من الف شخص .
في أيار ، وردتني تقارير من المخابرات المركزية تقول أن حياة نظام حكم تروجيلو في تزعزع . لأن تروجيلو كان يهاجم الدومينيكيين المرتبطين بالكنيسة الكاثوليكية .

فعلقت على هذه التقارير قائلاً : « إن هذا النوع من الهجوم ، عادة يكون آخر ذريعة لدكتاتور يائس » . لكننا كنـا ندرك أن لو قامت الدول الاميركية بخطوة فعالة ضد تروجيلو ، فإنهـا لا تستطيع فعل شيء إزاء كاسترو .

في ٨ حزيران ، بعد أربعة أشهر من التحقيق ، أعلنت لجنة السلام المتكونة من الدول الأميركية ـ وتابعة لمنظمة الدول الاميركية ، أعلنت أن نظام حكم تروجيلو مذنب « بخرق فاضح ومنتشر لحقوق الإنسان » . بعد يومين أبلغني وزير الخارجية هرتر ان هناك احتمال انقلاب من الدومينيك ، وقد يؤدي إلى إنشاء حكومة مؤقتة .

فأجبته « إذا اقيمت حكومة كهذه ، فإننا سوف نعترف بهـا فوراً . ثم إذا دعت الضرورة ، فقد نرسل بقوات لهناك إذا ما طلبت الحكومة ذلك » .

في هذا الحين ، أخذ كاسترو يبدو أنه يشكل مشكلة أخرى . أصبح تشي غيفارا القوة الاقتصادية في كوبا ، وأعلن أن الدولة سوف تدير كل الصناعة . اختلف جوسيه ميرو كاردونا مع كاسترو وطلب اللجوء السياسي في سفارة الارجنتين في هافانا .

ابتدأت وكالة المخابرات المركزية بإنشاء محطة إذاعة قوتها خمسون كيلوات على جزيرة سوان التي تبعد ١١٠ أميـال من ساحل الهندوراس واربعمائة

ميل غربي جنوبي كوبا ، تستطيع هذه المحطة عند اتمامها أن تغطي كل البحر الكاريبي في الليل . قال آلن دالاس : « هذه المحطة الجديدة ، ستهاجم تروجيلو اولاً ثم كاسترو » .

كان من الصعب الحصول على موافقة جميع الدول الاميركية على عمل ضد كاسترو . فرئيس فنزويلا ، بيتانكورت ، مثلاً ، عارض عدداً من سياسات كاسترو ، لكنه ابلغ وزير خارجية كوبا راؤل روا ، أنه سيكون أول من يدافع عن كوبا ضد أي تدخل خارجي . هذا يعني إذا قدمنا إتهامات ضد كوبا في منظمة الدول الاميركية قبل ان تقرر ضد تروجيلو ، فإن فنزويلا ستقف الى جانب كوبا .

ولكن في الوقت الحاضر ، كان هناك بعض الخطوات التي نستطيع اتخاذها . فمن السخافة ، مثلاً ، أن نستمر في معاملة كوبا بالنسبة للسكر التي تصدره إلينا . لذلك ، في ٦ تموز ١٩٦٠ ، وقعت تشريعاً تفوض عملاً من قبل رئيس الجمهورية بتحديد الحصة على السكر الكوبي المستورد إلى الولايات المتحدة حتى آخر آذار ١٩٦١ . وأصدر مرسوم بتخفيض حصة ١٩٦٠ بأقل من ٧٠٠،٠٠٠ طن . (وأخيراً وضعت حصة للأشهر الثلاثة الأولى من عام ١٩٦١ الى صفر) وقلت حين وقعت : « أن هـــذا العمل يشكل عقوبات اقتصادية ضد كوبا . والآن يجب أن ننظر الى بعض الخطوات الأخرى ، اقتصادية ، ديبلوماسية ، واستراتيجية » .

ولكن قبل أن نتدخل ، يجب أن نؤكد لمنظمة الدول الاميركية أن كوبا قد اصبحت من غير أي مجال للشك ، قاعدة شيوعية . كان مؤكداً أن الرأي العام العالمي في الدول الاميركية لم يندد بكاسترو إلاّ بعد أن نتحرك ضد تروجيلو الذي اتهم في شهر تموز بمحاولة اغتيال الرئيس بتانكورت . حدثت المحاولة في أحد شوارع كاراكاس حيث وضعت سيارة ملآنة بالمتفجرات امام طائرة الرئيس بينما كانت مارة . أنقذ حياة بتانكورت الشباك الخلفي المغلوق ، أما الجالسون في المقعد الأمامي فقد قتلوا جميعاً .

صراحة كنا مترددين على العمل ضد تروجيلو إلى أن نتأكد أنه لن يأتي نظام

حكم شبيه بكاسترو ليحل محل تروجيلو ، وكان هذا من الصعب تحديده في دولة عاشت تحت ظل ديكتاتورية مستبدة . لكننا استمرينا بإعداد خططاً طارئة ضد كوبا . تضمنت هذه ، احتمالات مثل الحصار ، والعمل العسكري ، وعمل مشترك مع دول اميركا اللاتينية .

*

أثناء الشهرين التاليين ، كنا نتلقى تقاريراً هامة من البحر الكاريبي . في ٩ تموز هدّد خروتشوف باستخدام الصواريخ لحماية كوبا ضد هجوم الولايات المتحدة. لكن في منتصف شهر تموز قال لي آلن دالاس : « كما تعلم أن خروتشوف قد سخر علانية من الفكرة أن الاتحاد السوفياتي قد يضع صواريخ في كوبا ، حين يستطيع إطلاقها من الاتحاد السوفياتي . لكن وصل حديثاً إلى كوبا صناديق كبيرة مجهولة المحتوى ، وأن قاعدة حربية قد أنشئت . قـــد يكون السوفيات يعدون قاعدة صواريخ قصيرة المدى في مكان مـــا في الجزيرة . اننا نراقب بحذر لنرى ماذا يفعلون » .

طوال الصيف ووكالة المخابرات المركزية تراقب ، لكن من غير عثور على أي برهان قاطع ان الروس كانوا يشحنون أي مواد حربية هامة إلى كوبا . غير أن القائم في أعمالنا في هافانا حصل على صور لبنادق تشيكية شبه اوتوماتيكيه في أيدي الجنود الكوبيين . أثبتت هذه الصور للمرة الأولى تقارير دخول الاسلحة الشيوعية الى كوبا .

في كانون الأول ١٩٥٩ ، أعلن نلسون رو كفلر ، حاكم مدينة نيويورك انسحابه من مباراة التعيين في الحزب الجمهوري لانتخابات الرياسة عام ١٩٦٠ ، هذا يعني أن نائب الرئيس ريتشارد نيكسون سيبقى المرشح الجمهوري للرياسة من غير معارضة . إن قرار رو كفلر الحكيم أبعد كل مشاكل الحزب .

إن اطمئناني في انسحاب رو كفلر لم يعني انني لا اقدّر مقدرة الرجل . فقد عمـــل بولاء وبفعالية في إدارتي . لكن كان اعتقادي أن نيكسون ، نظراً لاستعداداته الفريدة من أجل الرياسة ، لم يسبق أن حدثت في تاريخنا ، سوف يكون مرشح الجمهوريين الملائم . بالإضافة لخدمته في البيت الأبيض من قبل ، وفي مجلس الشيوخ ، فإن سنواته التي امضاها كنائب للرئيس اتاحت له فرصاً واسعة لدراسة أعمال الحكومة الفدرالية ، والاجتماع بزعماء العالم ، وأكسبته إدراكاً للأحوال الداخلية والخارجية . فقـــد سافر إلى أمكنة عديدة وبعيدة ، وعرف كل شيء عن جهازنا الدفاعي ، وقد أتقن معرفة شاملة بالسياسة الخارجية والشؤون الاقتصادية .

كان نائب الرئيس قد أبلغني من مدة طويلة أنه ينوي جعل مباراة الترشيح للرياسة تبدأ حملته الفعلية في بداية ١٩٦٠ . ثم في نيسان ١٩٦٠ القى حاكم نيويورك رو كفلر خطاباً في فيلادلفيا ، وظهر من مقتطفات الصحف وكأنه ينتقد الحكومة وهذا يعني أنه قد تراجع عن انسحابه بترشيح نفسه .

كنت مرتبكاً . منذ أن الخطاب يعالج الشؤون الخارجية بوجه خاص ، فقد طلبت من دوغلاس ديلون ، مساعد وزارة الخارجية بأن يكتشف ما يبغي رو كفلر تحقيقه من وراء ذلك . وذهب ديلون وشاهد رو كفلر في نيويورك ،

وقدم تقريراً على الفور : اقترح نيلسون في خطابه في فيلادلفيا أن تنشيء الولايات المتحدة اتحاد اقتصادي في شبه الكرة الغربية ، وأن تعرض بوضع جزء من أسلحتها النورية تحت إدارة الحلف الأطلسي . وقال ديلون أن صيغة الخطاب بوجه عام ، لا يبدو أنه انتقاد لسياسة الحكومة كما قد ورد في الصحف .

❖

في ١٣ تموز ، عينت وفود الديمقراطيين جون ف . كندي عند أول اجتماع لهم . ثم اختار كندي زعيم الاغلبية ليندون جونسون للمركز الثاني . كانت مفاجأة سياسية مزدوجة . قبل اجتماع الديمقراطيين كان جونسون قد أصر بأن خبرته تجعله مرشحاً للرئاسة أفضل من زميله الأصغر سناً . بعد تصريحاته في ذلك الوقت التي كانت اشد انتقاداً للسناتور كندي من أقوال نيكسون أثناء حملة الانتخابات ضد كندي .

إن درجة التوازن الايدولوجية في انتخاب الديمقراطيين كما أشار إليه نيكسون فيما بعد في تصريح نشر في حملة أن الرجلين (كندي وجونسون) « كانا قد اختلفا ٢٦٤ مرة أثنـــاء التصويت على أي سياسة في الكونغرس ... اختلفا على سياسة المزارع ، واختلفا على الضرائب ، واختلفا على الحقوق المدنية ، وعلى المساعدات الخارجية ، وعلى السياسة الخارجية ، وعلى الدفاع ، واختلفا على مسائل العمال ، وعلى الأشغال العامة ، وعلى الإسكان . قبل أي شيء وأقول انهما اختلفا عليه ـ من الطاقة الذرية ، والبنوك ، والاقتصاد الوطني ، والتربية ، والانتخابات النظيفة ، والغاز الطبيعي . اختلفا على الطرق العامة ، على رسوم البريد ، وعلى إداء يمين الولاء . حتى انهما اختلفا على الألعاب النارية » . لقد اختلفا حديثاً على وجهة نظر السناتور كندي أن ينبغي إنقاذ مؤتمر باريس بعد حادثة طائرة الـ يو ـ ٢ وذلك بأن تعتذر الولايات المتحدة أو تعرب عن اسفها للمستر خروتشوف .

❖

بالرغم من اختلافها ــ أو ربما بسبب تلك الاختلافات ــ فقد أذهلت لائحة كندي جونسون بعض المراقبين بأنها حركة معلم . بعد وصول أخبار هذه الشركة الى البيت الأبيض ، بعث إليّ أحد مستشاري الدكتور غبريل هيغ رسالة يعرب عن قلقه بما وصفه بالقوة الجديدة للديمقراطيين . وقد شاركه في وجهة نظره عدد آخر ، وأشاروا أن هناك رداً واحداً على ذلك : إقناع نلسون روكفلر بأن يخوض معركة نيابة الرياسة . ثم أكمل رسالته « أنت الرجل الوحيد الذي يستطيع إقناع روكفلر ، يا سيدي » .

بعد استلامي رسالة هيغ بقليل بعثت في طلبه ، وكان في شيكاغو يقوم بعمل الأمين التنفيذي للجنة الانتخابات التابعة لمؤتمر الجمهوريين الوطني .

قلت « لقد تحدثت إلى روكفلر يا غبريل لمرتين وثلاث مرات . وقد قرأت في الصحف عما قاله علانية : انه لن يخوض نيابة الرياسة ، « حتى ولو طلبت مني الرئيس ذلك » .

قلت لغبريل هيغ أن نيكسون هو الرجل الوحيد الذي يستطيع إقناع نلسون بقبول تعيينه نائباً الرئيس . يستطيع نيكسون بأن يتعهد بأن يبتعد عن المسرح السياسي في عام ١٩٦٤ ويترك المجال لروكفلر إذا ما فازا في انتخابات ١٩٦٠ . قد يقبل نلسون بمشروع كهذا ، لكن طبعاً ، لا استطيع أن أتخيل أن يتعهد بذلك رجل في مثل شباب نيكسون .

في مساء ٢٢ تموز ، طار نائب الرئيس فجأة الى مدينة نيويورك ليجتمع بالحاكم روكفلر لمناقشة المركز الثاني في اللائحة . اعلن روكفلر بجزم انه لا يرغب في نيابة الرياسة . ثم اتفق مع نائب الرئيس على سياسات عامة رئيسية .

رأى السناتور باري غولدوتر ، ومحافظون آخرون ، أن « نيكسون قد استسلم » لروكفلر . وندد آخرون بالجزء المتعلق بالدفاع الوطني .

اتصل بي نيكسون على الهاتف ليبلغني عن الاجتماع والاقتراحات ومدى تأثيرها على لجنة الترشيح . في اليوم التالي ، في محادثة هاتفية ثانية ابلغته بالتقارير

التي كنت استلمها بوجود معارضة بين اعضاء لجنة الترشيح . فقد ذكرت التقارير أن تصريح نيكسون ورو كفلر يتضمن تحولاً واسعاً عن مبادىء الإدارة. وأضفت انني قد تلقيت عدداً من البرقيات تلح عليّ الآن بتأييد السناتور باري غولدوتر . قال نائب الرئيس أن أعضاء اللجنة كانوا غاضبين لأنهم لا يريدون ان يظهروا بأن يستسلمون لرو كفلر قد أصدر التصريح من جانب واحد .

فقلت له: «إن رغبتي الوحيدة ان يكون الترشيح سليماً ومساعداً للجمهوريين» غير انني لم أترك أي شك انه سيصعب عليّ أن أبدي حماسي على ترشيح لا يعكس احترام سجل إدارة الجمهوريين ، وهدف بناء هذا السجل .

وافق نائب الرئيس على ذلك وقال : «ان الذي اسعى إليه ، هو ايجاد بعض الأسس التي يستطيع نلسون رو كفلر أن يكون معنا وليس ضدنا» . ادركت مشكلة نيكسون .

❦

اختار المستر نيكسون سفير الولايات المتحدة لدى الأمم المتحدة هنري كابوت لودج من ماساشوستيس . وافقت على رأي نيكسون بأن لودج يتمتع بكفائة غير عادية لنيابة الرياسة . سجله في مجلس الشيوخ كان ممتازاً ، وكان في الجيش ، وخبرته في السنوات السبع والنصف الماضية كسفيرنا في الامم المتحدة كانت فعالة .

❦

بعد أن عين الجمهوريين مرشحيهم ، كانت مسؤوليتي تحديد طبيعة لهجة الحملات التي سنقوم بها .

في اوائل شهر آب اتفقت ونائب الرئيس انني قد استطيع أن القي عدة خطابات في أنحاء البلاد امام جمهور غير مشترك ، وذلك تأييداً للمبادىء التي سارت عليها إدارتي . كنا نعتقد معاً ان ذلك سيساعد في الوقت الحاضر أكثر من الخطابات التي تلقى في جو انتخابي وتحت رقابة سياسية . لم يكن أحد أكثر مني

رغبة في كسب الانتخابات . كما قلت لابن فيرابن في محادثة هاتفية في ١٩ آب : « سوف أظهر ثمان أو عشر مرات أثناء الحملة . لتقلني السيارات ، غير انني سأفعل ذلك لكي أثير الحماس » . قلت انني سأفعل كل شيء شريف لتجنب تحويل البلاد الى « مبذرين » ديمقراطيين .

قوطعت حملة نيكسون منذ انطلاقها بظروف خارجة عن سيطرته . فقد أمضى الكونغرس إسابيعاً مملة في تصفية اعماله ، وبقي نيكسون لفترة اليمة ، بعد إرجاء الكونغرس ، في مستشفى ولتر ريد العسكري . كان قد ألغى زيارات الى نيو إنغلند ، والاسكا ، وميسيسبي ، ولويزيانا . ولكن في ١٢ أيلول في مطار الصداقة الدولي في بالتيمور ، شاهدته أنا ولودج ، يسافر ليبدأ حملته التي تستغرق أسابيعاً عصيبة .

كان مركز الاقلية للحزب الجمهوري مشكلة خطيرة لمرشحين الحزب . المشكلة الثانية كانت نوع حملة كندي – جونسون . ادعى الديمقراطيون ان الولايات المتحدة لم تزل كما هي في الداخل ، وأنها قد فقدت مكانتها في الخارج .

تجاهل كندي مقارنته لكاسترو بسيمون بوليفار ، فأعلن ان سفيرين جمهوريين قد حذرا أن كاسترو شيوعي ، وأن الحكومة لم تفعل شيئاً . ثم اتهم ايضاً « ان معظم المعدات ومصادر اسلحة كاسترو وصلت من الولايات المتحدة كانت تتدفق على كاسترو من فلوريدا وأجزاء أخرى في الولايات المتحدة . وليس هناك أي شك بذلك » .

*

في ٢٦ أيلول كان أول مناظرة تلفزيونية بين المرشحين الخصمين . عارضت ذلك من حيث المبدأ . لكن القرار كان قد صدر قبل معارضتي .

لم استطع مشاهدة المناظرة الأولى لأني كنت في نيويورك ذلك المساء .

بعد بضعة أيام من المناظرة الأولى ، كتب إليّ نلسون روكفلر رسالة يطلب مني بأن أظهر على تلفزيون ولاية نيويورك في الاسبوع الأخير أو العشرة أيام

الأخيرة من الحملة . إذا كان في إمكاني ذلك ، قال روكفلر ، سيكون لدى الجمهوريون « فرصة » لكسب خمسة واربعين صوتاً انتخابياً لنيكسون ولودج . وأضاف روكفلر : « يؤسفني أن اعلمك أن ظهورك قد أصبح ضرورياً » .

ليس فقط في نيويورك ، بل في جميع أنحاء البلاد أخذ الجمهوريون يبذلون الجهود ، وبوجه خاص ، بعد ان علموا أن نتيجة المناظرة الأولى كانت لصالح السناتور كندي .

في المناظرة الثانية في ٧ تشرين أول ، كانت النتيجة مشجعة ، في الثالثة ، ناقش المرشحان مطولاً اختلافاتهما بشأن الدفاع عن فرموزا و كيموي ومانتو . تحسن موقف نائب الرئيس .

في نفس الوقت ، كنت مرتبطاً بمهام أخرى ، بما فيها سلسلة من الخطب ، داعماً نيكسون ولودج .

**

عشية الانتخابات في ٨ تشرين الثـــاني ، كنت انتظر عودة جون وبربارا ، وصديقتهما دوروثي دانيال . عندما توجهت نحو سريري في الساعة الحادية عشر ، لم تكن النتيجة مشجعة . في الصباح التالي ، لم يكن أحد يأمل في نجاح الجمهوريين . في الساعة ١٢٫٢٥ ، اتصل بي نيكسون من مقره في فندق الامبسادور في لوس أنجلوس وقال :

« لم أزل اعتقد أننا سنأخذ كاليفورنيا ، ومينسوتا ، وإيلينوس في الوقت التي فيه الصناديق التي لم تتكشف . حتى مع ذلك ، فلن نحصل على الكفاية » . وأضاف : « لقد سبقت بعض الديمقراطيين بنسبة سبعة في المائة . و كندي وصل أقل من ذلك » . في الحقيقة بانت النتيجة النهاية التقارب الذي وصل إليه نيكسون للفوز . كان الفرق ١١٣٫٠٠٠ صوتاً له ولكابوت لودج ، فقد حازا على ٤٩٫٥ في المائـة من المجموع مقابل ٤٩٫٧ لكندي وجونسون . نال الجمهوريون أصوات ستة وعشرين

ولاية ، بينما نال كندي وجونسون ثلاثة وعشرين . ولو تحول عدد أقل من ١٢٠٠٠ صوت لقلبت النتيجة رأساً على عقب .

❖

في ٦ كانون الاول ، جاء السناتور كندي الى البيت الابيض بناء على دعوتي لمناقشة نقل المسؤولية . بعد اجتماعي بالسناتور كندي ، كتبت مذكرة (انظر الملحق في اللغة الانكليزية) .

تحدثنا مطولاً عن التنظيم ، والمشاكل المالية ، بما فيها اختلال توازن المدفوعات ، وعن برلين ، و كوبا ، والشرق الاقصى ، وعن الحلف الاطلسي ، وعن مسائل تهمه هو .

بينما تكون اجتماعات مثل هذه نادراً ما تشير الى المستقبل ، فيجب أن أقر بالسرور والاطمئنان بزيارة هذا الشاب الذي سيصبح خلفاً لي . أثناء محادثاتنا كلها أبدى ذوقاً طيباً غير اعتيادي . كان يقاوم أي اغراء باحضار حاشيته الى البيت الابيض ، كان يأتي بمفرده ويجلس في المقعد الخلفي لسيارته الخاصة به . لقد ذهلت أثناء محادثتي معه بشخصيته الرائعة ، ورغبته المركزة . طبعاً ، كان بيننا تفاهم تام أن إدارتي ستتحمل المسؤولية كلها حتى آخر دقيقة .

بينما كان اهتمامنا لمعظم الوقت يدور على الانتخابات ونتيجتها ، فقد كان هناك مواضيع أخرى تتطلب انتباهنا — على أسواق النقد الدولية ، على جنوب غرب آسيا ، وعلى الكاريبي .

❖

منذ بداية انتصار ثورة كاسترو ، ويحصل لنا المشاكل مع تلك الحكومة . في نهاية أيلول ١٩٦٠ ، كنا نستعد لإلغاء التعرفة على صادرات كوبا الى الولايات المتحدة ، و كنا نسرع في إجلاء المواطنين الاميركان عن كوبا .

في تشرين الثاني أشار وزير التجارة مولر ومساعد وزارة الخارجية ديلون بأن

يجب أن نفرض حظراً على كل الصادرات إلى كوبا ما عدا الادوات الطبية بحجة أن كوبا لم تدفع ثمن وارداتها من الولايات المتحدة .

ثم استلمت رسالة في شهر اوكتوبر تنتقد الحكومة لعدم إعلانها بأنها لن تسمح لكاسترو الاستيلاء على قاعدتنا البحرية في خليج غوانتنامو . تعجبت كيف أن الشك يتملك البعض في موضوع كهذا ، فأشرت بإصدار تصريح عن البيت الابيض مؤكداً أن الولايات المتحدة لن تسمح الاستيلاء على تلك القاعدة . وبعض بضعة أيام عززنا تلك القاعدة بقوات من المارينز . وزرعت البحرية حقول الغام حول القاعدة . أسرعت الحكومة الكوبية وأعلنت أنها لن تهاجم غوانتنامو مطلقاً . كنت غالباً اذكر لزملائي أن آخر شيء يفكر فيه كاسترو هو مهاجمة القاعدة ، ويكون قد قدم عذراً لازالته .

في ١٣ نوفمبر قدم وزير الخارجية تقريراً عن ثورة ضد حكومة غواتيمالا ، قائلاً بأن الوضع لم يكن هادئاً . فقررت أن إذا تلقينا طلباً من غواتيمالا بالمساعدة، فإننا سنتحرك من غير تأخير .

في تلك اللحظة ، كان الكوبيون المنفيون في غواتيمالا يتدربون ، وكنا نعتبر احتمال إرسال كاسترو قواتاً لمحاولة الاطاحة بحكومة غواتيمالا . لكي نقف ضد هذا الاحتمال ، وافقنا على طلب تلك الحكومة بإرسال واحدات بحرية تابعة للولايات المتحدة لحراسة الساحل الكاريبي . في نفس الوقت تلقينا طلباً مماثلاً من حكومة نيكاراغوا التي ادعت اشتراك كوبا في ثورة داخل حدودها . أمرت واحدات البحرية بأن تبقى على أهبة الاستعداد في المنطقة ، وكانت طائراتنا تدير الدورية . أمرت البحرية بأن تبعث بتقرير فوري إذا ثبت لديها أن هناك محاولة كاستروية لارسال تموين او تزويد الثوار ، ولكن يجب أن تتجنب الاشتراك في اي معركة ما لم تُعطى أوامر خاصة بذلك ، أو إذا كان ضرورياً لصد أي غزو . بعد ثلاثة أسابيع انتهت حالة الطواريء ، وطلبنا عودة الدورية .

في ٢ كانون الثاني ١٩٦١ ، أمر فيدل كاسترو الولايات المتحدة بأن تخفض موظفي سفارتها في هافانا إلى إحدى عشر شخصاً خلال ثمانية واربعين ساعة . وقال بأن الموظفين الذين يبلغ عددهم ثلاثماية ، ٨٠ في المائة منهم جواسيس . الحقيقة أن

لم يكن أكثر من سبعة وثمانين شخصاً وأكثر من نصفهم كان من الكوبيين . غير أن هذه الرسالة من كاسترو كانت آخر قشة . فقطعنا علاقتنا الديبلوماسية مع كوبا في الحال .

في هذا الحين ، كان تدريب المنفيين الكوبيين آخذ في الاستمرار في الخفاء . كانت تشكل واحدات قوية و كفيئة .

❦

كانت تقاس حياة إدارتي الآن بساعات ، وفي مساء كانون الثاني ألقيت كلمة الوداع للشعب الاميركي :

« بعد ثلاثة أيام من الآن ، بعد نصف قرن في خدمة بلادنا ، سوف ألقي مسؤوليات إدارتي ، في احتفال تقليدي وقور ، وسلطة الرئاسة ستنوط بخلفي .

أتيت هذا المساء لأقدم رسالة الوداع لكم ، ولأشاركم في بضعة آراء نهائية ، يا ابناء وطني .

إني كأي مواطن آخر ، اتمنى للرئيس الجديد ، ولجميع من يعمل معه أن يسهل الله أعمالهم . أرجو أن تكون السنوات القادمة مباركة بالسلام والازدهار للجميع » .

أثناء سنوات عهدي ، وبوجه خاص السنوات الأخيرة ، ابتدأت أشعر بمزيد من القلق من تأثير التكاليف العسكرية في زمن السلام على أمتنا . في حياة السلم هذه ، كان علينا ان نحتفظ بإنشاءات دفاعية . كنا لبعض الوقت ، ملزمين بحماية محيطين شاسعين .

كنا غالباً ننغمس بالاعتقاد البسيط أن في إمكان أي اميركي أن يصبح جندي كفوء خلال بضعة أسابيع أو أيام . بعد كل حرب من حروبنا كان يتبعها تجرد من السلاح ، اعتقاداً منا أن العالم قد أضحى متمدناً جداً ليقاتل مرة ثانية . بعد انتصارنا في الحرب العالمية الثانية ، أخذنا نخفض قواتنا المسلحة باستمرار — من سنة

١٩٤٧ حتى سنة ١٩٥٠ – حتى الحرب الكورية لم تتجاوز الميزانية العسكرية سنوياً ١٢ مليار دولار .

لكن في أواسط سنة ١٩٥٣ ، بعد نهاية الحرب الكورية ، عزمت على اننا يجب ألاّ نكون مرة ثانية ضعفاء عسكرياً . هـذا القرار احتاج الى ميزانية عسكرية خلقت في زمن السلم سابقة في حجمها .

لم يكن أي منا قصير النظر الى العواقب المحتملة من هذه الخطوة . كنا ندرك أن تكاليف ضخمة كهذه ضرورية للسياسة الدولية المتفرقة ، وبزيادة تكاليف الأسلحة . إن تأثير تلك التكاليف على اقتصاد الدولة سيكون خطيراً .

❦

في ١٩ كانون الثاني ، قبل تنصيب الرئيس المنتخب ، كندي ، دعيته الى مكتبي لمقابلة نهائية . عندما اجتمعنا من قبل ، في ٦ كانون الاول ، تحدثنا عن الأهداف الكبرى والسياسات . اما اليوم ، فإن هدفي كان خاصاً جداً – لأجعله يألف القرارات الفورية التي قد يحتاج إلى اتخاذها بوصفه قائداً عاماً للقوات المسلحة . فتناولت مشاكل رئيسية داخلية وخارجية التي تتطلب قرارات عاجلة . فقلت له أن قراراته ستكون أكثر سهولة إذا استند على قرارات سابقة بالإضافة إلى وجود مساعدين محترفين وماهرين لكن عليه أن يعرف تلك التدابير قبل أن يقسم اليمين الدستورية ، وليس بعد ، بحيث لا يكون لديه متسع من الوقت . عليه ان يعرف مثلاً ، أهمية حقيبة ملآنة بالأوامر تطبق عند الطوارىء ويحملها رجل غير طفيلي الذي سيلازم الرئيس كل أيام عهده . ولكي اقدم له نموذجاً عن المساعدة الآلية ، سيكون تحت إمرته كي يقوم بأي رحلة سريعة من أي نوع ، فضغطت على زر وقلت : « ارسل هليكوبتر » . وفي مـدة ستة دقائق ، حطت طائرة هليكوبتر في الساحة المقابلة لمكتبي .

كان المستر كندي سعيداً بالمقابلة ، لكن الاجتماع كان وقوراً ، فلم يشعر اي منا بتخفيف اهمية نقل المسؤوليات التي كانت على بعد ساعات من الآن .

علق موريس ستانس أثناء أحد اجتماعاتنا الأخيرة وقال : « ٢٠ كانون الثاني سيكون اليوم الملائم للعدو لشن هجوم على الولايات المتحدة » .

إن تنصيب الرئيس في تلك اللحظة تكون موت مؤقت لجهاز الحكومة الفدرالية . بالإضافة إلى ذلك ، فان أي طارئ ينجم من الداخل أو من الخارج اثناء الأربع والعشرين ساعة الأولى بعد أن يكون الرئيس الجديد قد أقسم اليمين الدستورية ، ستتطلب قرارات واعمال ، التي قد تكون صعبة بسبب عدم اعتياد الموظفين الجدد على هذه الواجبات والسلطة .

كنت أفكر بهذه الاحتمالات عندما حضرت احتفالات تنصيب الرئيس كندي في ٢٠ كانون الثاني ١٩٦١ ، وشعرت ببعض الاطمئنان لأننا لم نبق شيئاً عن مساعدة خلفائنا في هذه المسائل . علاوة على ذلك ، كنت ممنوناً حقاً لقوة اميركا الجبارة ، ولقواتنا الدفاعية المتأهبة لتضمن أن ليس لأي عاصمة في العالم فكرة انتهاز هذه اللحظة .

وهكذا ، بعد أن ردد الرئيس كندي العبارة التقليدية « ساعدني يا الله على ذلك » . مشيت ومامي نحو المخرج . كنا احراراً ، كأي مواطنين عاديين في دولة ديمقراطية . عندما خرجنا في هذه المرة من الكابيتول ، لم نكن مصطحبين بلجنتي الشيوخ والنواب ، أو يحيط بنا رجال البوليس السري . مشينا بهدوء متجنبين تدفق الجمهور ، اتخذنا طريقنا نحو سيارة في انتظارنا ، ووصلنا الى مأدبة غداء نُصبت بسرعة ، ودعانا إليها الاميرال والسيدة ستراوس . كان بقية المدعوين اعضاء في الوزارة ، ورؤساء دوائر حكومية ـ أصدقائنا وزوجاتهم هناك ، وجدنا جميعاً الفرصة لنتذكر في جو مريح السنوات الثمانية الماضية .

في نهاية هذه الحفلة السعيدة ، قلنا « الوداع » وابتدأنا رحلة ثمانين ميلاً الى غتيزبرغ ، حيث ينتظرنا جمع شمل عائلتنا الصغيرة ، وحيث تبدأ حياتنا الجديدة مرة ثانية .

بعض زياراتي

عند وصولي الى عاصمة الباكستان ، كان الرئيس محمد ايوب خان في انتظاري على المطار ، واستقلينا سيارة مكشوفة الى كراتشي وكان الطقس حسناً .

حين وصلنا المدينة ، ترجلنا من سيارة الرئيس أيوب الكاديلاك ، ولكي نكمل المسافة ، صعدنا عربة ملكية تجرها الخيول ، تستخدم تقليدياً في استقبال رئيس دولة . أطلعني الرئيس أيوب على غرفة في قصر كبير ومريح ، واستأذن ذاهباً .

أعدت المراسيم كلها في الخارج . وقدم العشاء تحت غطاء واسع ، مسطح ، مزخرف بالألوان ، تساوي مساحته نحو اربعة آلاف متر مربع . وغطت الارض سجادات شرقية . جلس الضيوف في جماعات صغيرة ، وكانت الطاولة الرئيسية في الوسط . بدى كل شيء واسعاً ورائعاً .

كان مساء جميل ، وقد أجّل مضيفنا الكريم كل المحادثات الهامة حتى اليوم التالي .

أصعب مشكلة بين الباكستان والهند ، كانت طبعاً كشمير . والمشكلة الثانية بعد كشمير كانت الخلاف على تقسيم ميـــاه نهر الاندوس حيث تبغي كل من الدولتين حصة أكبر من أجل الري والطاقة الكهربائية .

يعتقد أيوب (كما يعتقد نهرو) أن حلاً مرضياً سوف يكون ممكناً طالما أن المفاوضات لم تتضمن مسألة كشمير مباشرة .

ولكن منذ أن بعض مصادر مياه الاندوس وجدت في كشمير ، فإن المفاوضات لن تكون خالية تماماً من العاطفية . أبلغت الرئيس أيوب ، وبعد ذلك ،

الرئيس نهرو ، أن الولايات المتحدة عازمـــة على المساعدة في محادثات المشاريع الضخمة التي تسمح لاستخدام مياه الاندوس بكفائة . أعربت عن اعتقادي أن اذا كلاهما قبل بادارة البنك الدولي ، ويثقان بتجرده ومقدرته ، فلن يكون هناك أي صعوبة في الوصول إلى رد معقول . كنت مسروراً لأني وجدت أن كلاهما أظهرا مرونة ومصالحة في الأمر .

أقر الرئيس أيوب صراحة أنه حين جاء للحكم ، كان ضرورياً إنشاء بعض الديكتاتورية الشريفة ، لكنه قال أن طموحه الأساسي أن يقود شعبه إلى النظم الديمقراطية ، في سرعة تفرضها مقدرة الشعب على التحمل . وأكد أن لا جدوى في محاولة زرع الديمقراطية فجأة على أسس شاملة . فأي تجربة من هذا النوع سوف تؤدي الى كارثة كما حدث قبل توليه السلطة ، وبوجه خاص ، حين وجدت الباكستان عام ١٩٤٧ .

أثناء محادثتنا ، وجدت الرئيس أيوب رجل ذكي ، سائغ ، ومقنع . كان يتكلم الانكليزية وكأنها لغته الأم . كان صريح الحديث ، رياضي البنية ، ويجود على طبع مرح .

يبدو أن هناك شيئاً ما في كيمياء الإثنين التي غالباً ما تحدد عند أول اتصال ما إذا كان أي اثنين يصبحان صديقين بسهولة أو أنهما ينفران من بعضهما . منذ البداية وشعرت بحنان دافيء نحو أيوب . كما قد يكون متوقعاً ، فقد خالفته بعض آرائه وبعض اعماله ، لكن ليس لدي أي سبب لأشك باخلاص دوافعه .

*

ابتدأنا في اليوم التالي ، رحلتنا إلى أفغانستان . نقلتنا طائرة هليكوبتر من قصر أيوب الى المطار في ظلام قبـــل بزوغ الفجر . إن الساعات التي أسافر اثناء رحلاتي ، كانت أحياناً مزعجة لبعض موظفي . فعلق احدهم توم ستيفنز ، وسمع يقول بينما كان واقفاً في الفجر الباكر ، غاضباً ينتظر نقله الى المطار : « عندما ينتهي عهد هذه الحكومة ، فلن أعمل مطلقاً لدى مزارع أو ضابط جيش مرة ثانية » .

استغرقت رحلتنا من كراتشي الى كابول أقل من ساعتين . أثناء الجزء الأخير من الرحلة ، أصطحبتنا طائرات روسية الصنع من طراز ميغ - التي تشكل جزء من سلاح جو أفغانستان . طرنا فوق جبال وعرة التي كان البريطانيون يحاربون فيها بعض القبائل المتخلفة منذ قرن من قبل .

استقبلنا على المطار جلالة الملك محمد ظاهر شاه ، ورئيس الوزراء ، سردار محمد داوود خان ، ووزير الخارجية ، سردار محمد نعيم وشخصيات أخرى . كان اليوم بارداً والسماء ملبدة بالغيوم ، ورُطّب سرورنا حين وجدنا طائرات الميغ على المطار .

يبعد مطار باغروم نحو خمسين ميلاً وسط ريف صخري . كانت الطريق وعرة ، وحُسنت تمهيداً لهذه المناسبة . وقد ضحكت حين علمت أن السوفيات هم الذين يحسنون الطريق ، بينما كانت المنطقة تعج بالسكان ، لكنها كانت متخلفة جداً ، فالبيوت مبنية من الطين الرطب . إن العنب هو زراعة المنطقة الأولى ، ولكن في هذا الوقت من السنة ، لم تكن الدوالي غير حقول جرداء .

كانت محادثاتي مع الملك ظاهر خان ووزير خارجيته نعيم معلنة . استطعت أن اعرب عن قلقنا على المقدار الذي يقدمه الاتحاد السوفياتي من المساعدة الى الحكومة الافغانية .

فقال الملك : « أقدّر قلقك ، ولكن استطيع أن أؤكد لك أن روح الأمة الافغانية بأسرها ، مستقلة ، وقوية » . وأشار الى المحاولات البريطانية في الماضي لحمل شعبه على الخضوع . وأضاف الملك : « أشك أن قبولنا للمساعدات سينتج باستعبادنا » .

ثم ان الملك شدد بحاجات افغانستان للمساعدات الاقتصادية ، وذكر ارقاماً ليبرهن حجته .

بعد الغداء ، استقلينا طائرة هليكوبتر الى المطار لنبدأ بزيارة الهند .

*

بعد اثني عشر ساعة طيران من كابول ، وصلنـــا متأخرين نصف ساعة عن ميعادنا . كنت مرتاحاً حين علمت أن تأخرنا كان من حسن حظنا ، لأن حادث اصطدام على الطريق من نيودلهي الى المطار ، سبب تأخير وصول المستر نهرو الى المطار في الوقت المعين لوصولنا .

حدثت احتفالات المطار في ذلك المساء في جو خفي تقريباً . كان الظلام يدنو ، وكل قدم مربع من المطـار الواسع كان يعج بالناس ، ولم يبقَ إلاّ فراغاً من أجل مراسيم الاستقبال . تفقدت الخط الطويل من القوات الهندية ، ثم رجعت الى المكان حيث كان الرئيس راجندرا براساد ورئيس الوزراء نهرو ينتظر انني على منصة عالية مضاءة بنور غامر باهر . تبادلت والرئيس براساد التحية الشعبية المألوفة ، بينما وقف المستر نهرو إلى السلّم في مؤخرة المنصة .

عندما تحرك موكب السيارات من المطار ، أخذت الجماهير تندفع حول السيارات مما اضطرنا على البطء الى سرعة اقصاهـا خمسة أميال في الساعة . على جانبي الطريق ، احتشدت جموع غفيرة ، بالإضافة إلى سائقي الدراجـــات الهوائية والسيارات ، عربات تسحبها الجاموس ، والحمير ، حتى والجمال . أبطئت خطوات موكب السيارات لكي يتمكن المتحمسون من اقتراب السيارة من الخلف ويملؤها بأكاليل من الأزهار .

بالرغم من تعبي ، فقد كنت متأثراً . كانت مئات الألوف من الناس تقف على جانبي الطريق . أبلغني المستر نهرو أن الناس أتت من على بعد أميال ، ومكثت أيام في السفر مشياً على الأقدام أو على العربة .

حين اقترب الموكب من دائرة كانوت في نيودلهي ، أطبق علينا البحر البشري وأرغمنا على الوقوف . لم نستطع الحراك لمدة خمسة وعشرين دقيقة .

كان رجال البوليس السري غير قادرين على فعل شيء . لحسن الحظ ، فالناس التي كانت تشق الطريق ، لم تكن تريد إلاّ لمسي ، أو لمس أي فرد آخر من الوفد ، أو أن تصيح بتحيات كي نستطيع سماعها . بالرغم أن البوليس السري حاول

حمايتي من فقدان الازرار والثياب (التي كانت الحشود تمسكها) فقد أصيب ديك فلوهر ، مرافقي الخاص ، برضوض ، وألم في العضلات .

وصلنا إلى منزل الرئيس ، ويسمى قصر راشترباتي بهافان . تألف الموجودون من الرئيس براساد ، ورئيس الوزراء نهرو ، والسيدة انديرا اغاندي ، إبنة المستر نهرو ، فالسفير ايلسورث بنكر وعقيلته ، وموظفينا الشخصيين . اجتمعوا جميعاً في الشقة التي خصصت لنا . كل فرد كان يتحدث عن ضخامة وحماسة الاستقبال .

❀

في الصباح التالي ، ١٠ كانون الأول ، اتيحت لي فرصة التعرف إلى ما يحيط بي . بالرغم إنني ، خلال سنوات عديدة ، اعتدت على اماكن ضخمة عديدة حيث كنت آوي ، فلا بد لي أن اعترف أن شعور الدهشة قد تملكني في راشتراباتي بهافان . فقد كان القصر هائلاً من حيث الحجم . يشغل أربع بنايات ، أكبر حجماً من قصر فارساي . وخارج باب كل غرفة في جناحنا ، ينتصب عمود من الموبيليا .

في الساعة ٨،٣٠ صباحاً ، اصطحبت رسمياً من شقتي وذهبت بالسيارة لزيارة ضريح المهاتما غاندي . وهناك ، خلعت حذائي وقدمت احتراماتي الى ذكرى مشيد استقلال الهند .

بعد ذلك ، في الصباح ، ذهبت مع رئيس الوزراء ، نهرو ، حيث كنا سنجتمع ، فانضم إلينـــا السفير بنكر ، ومساعد وزارة الخارجية مرفي ، وسفير الهند في الولايات المتحدة ، محمد علي شاغلا . كانت المناقشة ، بغالبيتها ترتكز حول تفسير نهرو لأصول بعض المشاكل الهندية الباكستانية ، إلى جانب الحلول التي اقترحها . ولقد وصف أيضاً طبيعة وامكانيات الغزو الصيني للهند ، غير أنه لم يستطع ان يعلل السبب المنطقي لهذا التصرف .

وفي العصر ، ألقيت كلمة في البرلمان الهندي حيث شعرت بقدرة نائب الرئيس سارفبالي ، اوها كريشنان البلاغية . لقـد تكلم ببساطة ولكن بطلاقة حول

الزيارة الممتازة للهند ، وألقى الخطاب باللغة الانكليزية الصرفة بدون لثة ولا توقف . واستقبل خطابي بتجاوب غير اعتيادي اذ أن الاعضاء ضربوا مقاعدهم بأكفهم بخفة . وهذا بنظر السياسي الاميركي قد يعني أي شيء — ربما شيء غير سار — ولكن أقطاب السياسة الهندية اعلموني أن هذا احتفاء حماسي ، ويعني رفع مني لشأن البرلمان .

قدم لنا في المساء ، الرئيس براساد في غرفة الطعام الرسمية ، وليمة العشاء ، للتي كانت تستعمل في السابق من قبل المندوبين السامين البريطانيين في الهند .

كنت مسروراً حين رأيت صور أولئك المندوبين تحتل الجدران إلى جانب صورة خلفهم الرئيس براساد . ولقد أخذت هذه الحقيقة كدليل انه بالرغم من أن الهند كانت مستعدة لتقديم أي تضحية في سبيل الحصول على الاستقلال ، فإنه لا الوصل ولا القطع قد ترك كراهية مركزة . وعندما رأيت تمثالاً مؤثراً لجورج الخامس يقف في مكان بارز بجانب القصر ، لم يسعني إلاّ أن اتساءل ما إذا كنا في الأيام الأولى للاستقلال قد تحملنا وجود تمثال الملك جورج الثالث بيننا .

ثم تعشيت في اليوم التالي مع رئيس الوزراء ، البانديت نهرو . وكنا لوحدنا ، وأثناء هذا الوقت ، كنت أشعر بعطف مع الرئيس نهرو أكثر من أي وقت آخر . تحدث عن الهند ، وتاريخها ، وحاجاتها ، ومشاكلها الرئيسية ، داخلية وخارجية ، وعن رجائه لتقدمها . كانت وجهة نظره شريفة وصادقة .

أكد لي نهرو عن نكرانه بأن هدفه كان تحويل الهند إلى دولة اشتراكية . وأشار إلى الجزئين العام والخاص للاقتصاد الهندي ، وقال بأنه يعتقد أن يجب أن يكون الجزءان متساويين . وأعرب عن أمله أن دولاً أخرى سوف تعترف بازدواجية هذا البرنامج ، ولن تتوانى عن تقديم المساعدة في أي جهة ، كل حسب اقراراتها . وقال ان حكومته ترحب أي نوع من المساعدة .

خلال محادثته ، كان انهماكه بمشكلة الهند الأولى : كانت الشعب ،

الشعب ، المزيد من الشعب في كل مكان – تكاثر في العدد دائماً بارتفاع متزايد ، بحيث أصبح كل مشروع وبرنامج نحو تحسين أحوال الشعب الهندي عسيراً لضمان ازدهار سريع بتزايد عدد السكان .

بالرغم اننا لم نذكر الموضوع بوجه خاص ، لكنني تداركت – ليس من حديثه بل من ملاحظاتي أن كل مشاريع الهند الإنمائية سوف تفشل إذا لم تتخذ أي تدابير فعالة وعملية نحو تحديد النسل . كنت قد صرحت علناً ، في أحد الأيام ، أن مشكلة ارتفاع عـــدد السكان ليس من مسؤوليات الولايات المتحدة . غير أن زيارتي للهند ، أقنعتني أننا لا نستطيع الوقوف مكتوفي الأيدي إذا طلبت منا المساعدة . بالرغم من وفيات الاطفال ، والتسهيلات الصحية غير الكفيئة ، فقد كانت الهند تضيف أكثر من خمسة مليون نفس الى سكانها .

كانت هذه آخر ليلة لي في نيودلهي . وقد تعمق التفاهم بين حكومتينا ، كما شعرت ، وتحسنت سبل اتصالاتنا . أثناء مكوثي هناك ، كنت غالباً أسأل نفسي : « من يستطيع القيام بمهام المستر نهرو إذا قضت الظروف أن يترك الحكم » ؟

*

من نيودلهي ، حتى نهاية جولتي ، كنا نطير في اتجاه معاكس لدوران الارض . كانت النتيجة أن أيام عملنا قد أصبحت أطول . في هذه الرحلة ، بعد أربع ساعات في الجو ، حط بيل درابو طائرته البوينغ في طهران في الساعة ٨،٤٠ صباحاً بتوقيت إيران .

استقبلني الشاه ، وأجريت مراسيم الاستقبال في جو بارد قارس . لم تكن المسافة من المطار الى قصر الرخام طويلة ولا عسيرة ، لكنها قدمت فكرة جديدة . فقد كانت أقواس النصر منتصبة بتقطع على طول الطريقنا . حين اقتربنا أول قوس وجدت أن الطريق كلها – نحو مائة يردة على كل من جانبي القوس كانت مغطاة بأبسطة عجمية ثمينة . ذهلت من ذلك وصحت « أؤكد لك يا صاحب الجلالة أننا في اميركا نبدي احتراماً للسجاد العجمي أكثر مما تفعلون » .

فأجاب الشاه : « من قبل ، كانت الطريق كلها ، من المطار حتى القصر تغطى بالسجاد ، وليس بمجرد تغطية تحت كل قوس » .

عند وصولنا ، اجتمعنا فوراً وابتدأنا المحادثات الخاصة لمدة ساعة . اعلمني بمشاكله الداخلية ، وإحداها كانت سوء توزيع الثروة والارض . وقال بأنه قد أعد مشروع قانون يؤمل بواسطته أن يجري توزيع الاراضي . وأعرب عن ثقته بأنه سيفلح في ذلك .

قدم لي الشاه طاولة من الموزاييك تضاهي أي نموذج فني صنع اليد الذي شاهدت من قبل . وقال أن كل سنتيمتر مربع من وجه الطاولة يحتوي على أكثر من مائة قطعة مختلفة . وقد استغرق صنع الطاولة سنتين .

كم كنت أتمنى لو أن زيارتنا لايران كانت أطول من ذلك . ولكن كالسائحين في كل مكان ، فقد آن الوقت للاسراع في الذهاب الى اليونان .

❦

استقبلنا في مطار أثينا الملك بول ، وولي العهد قسطنتين . رحبت بنا في القصر الملكة الجميلة فردريكا وابنتاها الرائعتان .

في الصباح التالي ، اصطحبني رئيس الوزراء كرامانليس ، فذهبت لألقي خطابي امام البرلمان .

ثم اجتمعت برئيس الوزراء كرامانليس وأعضاء حكومته . أثار المستر كرامانليس مسألة غير متوقعة – مستقبل استخدام الاسطول السادس . وقال أنه ذكر هذا الموضوع لأنه سمع إشاعات أن الولايات المتحدة تنوي سحب الاسطول من المتوسط . وقال أن ذلك سيضمن سيطرة الشيوعيين على المنطقة بأسرها .

لم أسأله عن مصدر الإشاعة ، لكنني أكدت له أن الاسطول سيبقى في المتوسط .

في اليوم التالي ، أثناء الغداء ، بذلت العائلة المالكة الجهود لاقناعي بتمديد

الزيارة الى يوم آخر بدلاً من مغادرتي ، حسب الخطة على ظهر الطراد « ديوان » . وزع ولي العهد أوراق ذات شكل رسمي ، وكانت تقريراً مزيفاً عن حالات الطقس : « عواصف شديدة وبحر هائج » في المتوسط . فعلق أحد زملائي أن مرافقي جميعاً يشعرون بالنعاس مما يشير أن ليس هناك أي عواصف . فضحك ولي العهد وقال : « في تلك الحالة استطيع تغيير التقرير » .

نقلتنا طائرة هليكوبتر من أثينا إلى ميناء بيرايس ، وحطت بنا على ظهر الطراد « ديوان » .

❦

كان ديوان الطراد الذي يرفع علم الولايات المتحدة للاسطول السادس .

بعد ثلاثين ساعة من الابحار المريح وصلنا الى تونس . إن هذه البلد ذات أهمية خاصة بالنسبة منذ أيام الحرب العالمية الثانية . في صباح ١٧ كانون الاول ، تركت مع صحبي الطراد على متن هليكوبتر إلى قصر دار السعادة في لامارسا ، خارج مدينة تونس تناولنا هناك ، فطور لذيذ ، واتيحت لي الفرصة ، بالإضافة الى مهات المراسيم بأن اجتمع مطولاً بالرئيس حبيب بو رقيبة .

قال الرئيس بو رقيبة أنه يرى أن عرض الجنرال ديغول بالحكم الذاتي للجزائر كانت خطوة بناءة ، لكنه أضاف أن هناك قواتاً في الحكومة الفرنسية والجيش التي لا ترغب في نجاح مشروع الجنرال ديغول . أولئك الناس ، يعارضون أي حل للمشكلة ما عدا ضم الجزائر لفرنسا ، ولن يقبلوا بأي نصر عدا عن سحق الثورة الجزائرية . وقال القائد العام الفرنسي في الجزائر ، الجنرال موريس شال بعد قليل من عرض الجنرال ديغول ، أن القوات المسلحة الفرنسية ستبقى في الجزائر ، وليحدث ما يحدث .

قال الرئيس بو رقيبة : « أنا متأكد أن إذا أفلح الفرنسيون في إخماد الثورة الجزائرية ، فإنهم سوف يسعون لإعادة مركزهم في تونس والمغرب » .

حاولت أن أؤكد لبو رقيبة أن خوفه ليس له أي أساس ، وعلمت أنه لم يسبق

له أن قابل الجنرال ديغول . فقلت : « هل لديكم أي اعتراض إذا ما اعلمت الجنرال ديغول عن شعوركم ، وقد اقترح للرئيس الفرنسي بأن يعد مقابلة بينكما » ؟ فأجاب بورقيبة أن ليس لديه أي اعتراض .

وقال أن في امكان تونس أن تكون مثالاً لجميع دول افريقيا بالفوائد التي تنجم عن الصداقة مع الغرب . وان بلاده ليس كبيرة ، ولذلك فإنها لن تحتاج إلى أموال كثيرة . وعدّد مشاكله ، ذاكراً موارد تونس الأولية . وقال أنه يأمل في الحصول على مساعدة تمكنه من مجابهة حاجاته .

❦

في ١٨ كانون الأول ، عند الساعة ١٫٣٠ بعد الظهر ، رسينا في طولون في فرنسا ، وبعد رحلة قطارية سريعة وصلنا إلى محطة ليون في الساعة ١٠٫٣٠ مساء .

الفترة التي تلت ذلك كانت مليئة بالعمل . فقد اجتمع أربعة رؤساء دول غربية مرتين في قصر الاليزيه . وقضينا اليوم التالي باجتماع مستمر في رامبوليه ، وبعد انتهاء الاجتماع عدت إلى باريس مع المستشار اديناور .

كانت أجمل محادثاتي ، تلك التي أجريتها مع الرئيس ديغول . فقد أثار للمرة الثانية موضوع منظمة الحكومات الفرنسية ، والبريطانية ، والاميركية ، بأن تنشيء نفسها في نوع من ثالوث لتطوير مصالحها المشتركة في جميع أنحاء العالم . وقال أنه يثق أن في هذه الطريقة وحدها يُستطاع معالجة مشاكل افريقيا وآسيا . وقال أن ذلك يمكن إنجازه من غير استفزاز حسد وحقد الدول الأخرى .

اختلفت معه على هذه النقطة الأخيرة ، وتمسك كل منا بموقفه . كانت المحادثات ، كما كانت دائماً ، ودية ، ولم يكن أي شعور باليأس .

في اجتماعاتنا الرسمية ، أيدنا المباديء المعلنة في البلاغ الرباعي في ١٤ كانون الثاني ١٩٥٨ ، وتصريح الحلف الاطلسي في ١٦ كانون الأول ١٩٥٨ بشأن برلين . وافقنا من حيث المبدأ ، على اجتماع قمة مع السوفيات ، ووافقنا أن نتصل بالحكومة السوفياتية مقترحين ٢٧ نيسان ١٩٦٠ موعداً اجتماع في باريس . سحب المستر

خروتشوف إنذاره بشأن برلين ، بينما تجنب كل من الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة التجربة النووية .

*

حين وصلنا إلى اسبانيا ، استطعت أن اجتمع بالجنرال فرانكو وأتحدث معه معه – كنت أرغب في ذلك منذ إنشاء قواعدنا في تلك البلاد .

لم يكن ملائماً ، أثناء الأشهر التي قضيتها في اوروبا ، بعد نهاية الحرب العالمية الثانية ، بأن أسعى لإيجاد فرصة الاجتماع به . لأني كنت في مركز شبه حربي ، ولذلك لم يكن من الحكمة أن أقوم بزيارة الى حكومة بقيت حيادية أثناء الصراع (الحرب العالمية الثانية) . بعد سنوات حين عدت إلى أوروبا لأقود قوات الحلف الاطلسي ، فكرت أيضاً ، بأن ينبغي ألا أزور دولة غير عضو في الحلف ، والتي كان بعض اعضاء الحلف يشعرون بإجحاف نحوها . لكن منذ أن اصبحت رئيساً ، فقد قامت دولتنا بخطوات متقاربة نحو اسبانيا إلى حد اتخاذ التدابير بإنشاء قواعدنا الجوية هناك . والآن في ١٩٥٩ ، رأيت من المستحسن بأن أتوقف لوقت قصير في عاصمة تلك الدولة للمناقشة ، بين مواضيع أخرى ، مسألة التعاون العملي المتعلقة بتلك الإنشاءات التي لها قيمة عالياً إلى كل منا .

حطينا في مطار توريجون قرب مدريد ، ومضينا الى قصر مونكلوا التاريخي ، وثم تناولنا طعام الغداء مع الجنرال فرنكوا .

في صباح اليوم التالي ، ذهبت إلى قصر باردو حيث المقر الخاص للجنرال فرنكو لتناول طعام الفطور وللحديث الجدي . كان جو الاجتماع ودياً ، وخلق فرانكو انطباعاً انه في أمان في مركزه ، ومسرور بوجود القواعد الجوية الاميركية في اسبانيا . لم يقدم لي أي طلبات بمساعدات معينة اضافية ، لكنه عدد بعض مشاكله الإقتصادية و وبوجه خاص تلك الناجمة عن افتقارها للصناعة .

من ناحيتي ، انتهزت الفرصة لأوصل له طلب رجال الكنائس البروتستانت في اميركا بأن يزيل ما سموه اولئك الرجال ، التعصب نحو البروتستانتين ونشاطهم في

اسبانيا . كانت كنيسة بروتستانية بنيت في مدريد منذ بضع سنوات ، ولم يسمح لها بفتح أبوابها . وعد بأن ينظر في الأمر ، وعلمت فيما بعد أن القيود قد رفعت نوعاً ما .

❦

كان توقفنا الأخير في المغرب . كان في استقبالنا الملك محمد الخامس الذي زار واشنطون منذ سنتين . كان بين الحشود على طول الطريق إلى الدار البيضاء ، رجال قبائل البربر الذين تلقوا بطريقة مـا غير رسمية . أنباء حدوث بعض الاحتفالات .

وبدون علم الحكومة المغربية ، اصطف هؤلاء المحاربون الأشداء ، حاملين بنادقهم الأثرية التي تعبأ من الفوهة ، في طريق موكب السيارات ، وأخذوا يطلقون العيارات مرة واحدة .

بعد الغداء في القصر الملكي ، اجتمعت بالملك محمد الخامس ، والمهدي بن عبود ، سفير المغرب لدى الولايات المتحدة ، والأميرين وإبني وترجمان . كان الملك محمد كملك افغانستان محمد ظاهر ، هادئاً ومتحفظاً .

كان ملك المغرب واثقاً من تصريحه أن بلاده ستبقى مملكة وموالية للبيت المالك ، وأن الشعب بعد قذف سيادة فرنسا بعيداً ، سيبقى مستقلاً عن كل انواع السيطرة . بينما كان يبدي انه يذعن لآراء ابنه ، ولي العهد ، فلم استطع تحديد ما إذا كان يفعل ذلك بدافع التقدير لكفائة ابنه او أنه لا يرغب في مخالفة ولي العهد امام الغرباء . احياناً كان الملك وابنه يلمحان بأن المساعدة السوفياتية سيرحب بها في بلادهما ، لكنهما ابتعدا عن أي فكرة أن الشيوعيين سيحولون المغرب الى دولة شيوعية . وجدت ان الملك محمد الخامس كان مهتماً بتحسين مستوى معيشة شعبه ، والمحافظة على استقلال بلاده من أي سيطرة خارجية .

احدى المواضيع التي كانت في ذهن الملك محمد كان مصير الدول الافريقية المستقلة حديثاً . وقال ان على الغرب ان يساعد هـذه الدول اقتصادياً بعد نيلها الاستقلال .

فقلت ان الاسراع في عمل ما قد يُخلق مشاكل عديدة . وخاصة أن الرئيس ديغول كان حكيماً في تصريحه يوم ١٦ أيلول ، وأعتقد أن اقتراحاته كانت معقولة . إن الاستقلال طموح ثمين ، وغال على قلوب الأميركيين ، لكنه يكلف باهظاً . اولئك الذين يسعون الى الوصول لوضع سياسي منفرد ، يجب أن يهمهم الأمر أولاً ، بطاقتهم الاقتصـــادية بمواجهة التكاليف الأولية . لم يقتنع الملك بوجهة نظري .

*

استقلينـا الطائرة ، وعبرنا المحيط الاطلسي وهبطنـا في واشنطون في ٢٢ كانون الاول ، الساعة ١١٫٣٠ مساء بالتوقيت المحلي . كان نيكسون في استقبالنا مع بعض مجلس الوزراء .



جون فوستر دالاس

يوم الأحد في ٢٤ أيار ١٩٥٩ ، شعرت بحزن حين كتبت إعلاناً بالكلمات التالية :

« مات فوستر دالاس » .

وُلد في واشنطون في ٢٥ شباط ١٨٨٨ ، وكان في السن التاسعة عشر حين مارس اول نشاط ديبلوماسي في مؤتمر السلام في لاهاي . أختار مهنة المحاماة ، وتخصص بقسم القانون الدولي . أكسبته مهارته شهرة واسعة ، وعمل في اول شبابه مستشاراً قانونياً للرئيس ويلسون في مؤتمر باريس للسلام عام ١٩١٩ ، بالإضافة إلى ذلك فقد كان عضواً في المجلس الاقتصادي الاعلى . منذ البدء لم يفقد رغبته الجامحة في الديبلوماسية . كونه محام قدير في القانون الدولي ، كانت توفده وزارة الخارجية في مهام معينة . فقد كان حفيد أحد وزراء الخارجية وابن أخ لوزير خارجية آخر .

في سنة ١٩٤٥ كان أحد اعضاء وفد الولايات المتحدة في أول اجتماع للام المتحدة في سان فرانسيسكو . كانت مهمته المشاركة في إعداد وثائق منظمة الامم المتحدة ، وبعد ذلك نادراً ما تغيب من المؤتمرات الدولية التي كانت تعقد لتطوير حقوق الإنسان والسلام العالمي .

عينه حاكم نيويورك توماس دووي شيخاً عن نيويورك ليحل محل روبرت وغنر .

في عامي ١٩٥٠ – ١٩٥١ عيّن سفير فوق العادة وكلف بمهام إعداد معاهدة السلام مع اليابان . أثناء وظيفته هذه ، زار عدداً من دول آسيا واوروبا . استقال

من وزارة الخارجية عام ١٩٥٢ ولما كان موعد تعيين المرشحين عن الحزب الجمهوري قد اقترب ، طلب منه وضع مسودة السياسة الخارجية للحزب .

عندما انتخبت رئيساً في تشرين الثاني من ذلك العام (١٩٥٢) عينته على الفور وزيراً للخارجية . كنت قد اجتمعت به قبل ذلك بأربع سنوات ، لكني عرفته قبل انتخابي للرئاسة من خلال قراءتي لمقالاته وخطاباته ، وخاصة في الفترة ما بعد الحرب . من سنة ١٩٥٢ وبعدها تطورت صداقتنا إلى صداقة شخصية عميقة .



الحقوق المدنية

في أول جلسة للكونغرس الخامس والثمانين ، بلغنا نقطة هامة حقاً — سن أول نوع من تشريعات الحقوق المدنية منذ سنة ١٨٧٥ .

منذ صباي كنت اوافق من غير تمييز بحق المساواة أمام القانون لجميع مواطني الولايات المتحدة ، مهما كان لونهم ، أو جنسهم أو عقيدتهم . في الحرب العالمية الثانية أكدت عن ايماني بهذه المبادىء خلال أوامر بعدم تصنيف أندية الصليب الأحمر ، بينما أثناء بعض مراحل القتال ، كنت أبعث بوحدات من الزنوج لتحل محل واحدات جميعها من البيض . لم يقاتل الزنوج بضراوة ، بل أنهم لم يواجهوا أي استياء من قبل رفقائهم البيض .

في أواخر ١٩٥٢ طلبت من الحاكم آدامز بأن يبحث عن زنوج كفيئين للخدمة في الفرع التنفيذي . من بين الأشخاص البارزين الذين عيناهم في الحكومة ، كان فردريك مورو ، أول زنجي يكلف بوظيفة إدارية هامة بين موظفي الرئيس ، ولواس ليمان ، الذي أصبح اول زنجي يعمل كعضو في إدارة البيت الابيض ، وارنست ويلكنز ، مساعد وزارة العمل ، أصبح أول زنجي يجلس رسمياً على مائدة الوزراء التي يترأسها رئيس الجمهورية .

في ١٧ مايو آيار ١٩٥٤ ، أجمعت المحكمة العليا للولايات المتحدة على حكم يعتبر أهم احكامها تاريخياً . فقد أعادت النظر في قرار دعوة بليسي ضد فرغوسون ١٨٩٦ (الذي يعتبر اجتهاداً قانونياً) الذي نص على موافقة المحكمة على مبدأ « منفصل لكن متساو » المتعلق بالتسهيلات التربوية لأطفال الجنسين الابيض والأسود .

وقالت المحكمة إن التعديل الرابع عشر للدستور ، يضمن حماية القانون لجميع المواطنين . ثم تساءلت المحكمة : « أباستطاعة التسهيلات المنفصلة أن تكون متساوية ؟ » فقررت بـ « لا » : وأضافة المحكمة : « إن التمييز بين الاولاد ، يولد شعور بالنقص في مركزهم في المجتمع وقد يؤثر على عقولهم وقلوبهم بحيث لا يمكن إصلاحهم . إن الشعور بالنقص يؤثر على اندفاع الولد نحو العلم ... التمييز يصيب الولد الزنجي بتخلف تربوي وعقلي .. »

وفي قرار لاحق ، أمرت المحكمة بالخطوة والاسلوب الذين يجب اتخاذهما لتنفيذ حكمها في سنة ١٩٥٤ . وتركت المسؤولية الرئيسية مع سلطات المدرسة المحلية . وطلبت بـ « مبادرة فورية ومعقولة » وتركت للمحاكم الفدرالية الفرعية المسؤولية في أي قضية تقدم امامها لضمانة حق الاولاد في الدخول إلى مدارس لاتمارس التمييز العنصري « بأقصى سرعة ممكنة » .

ابتدأت الاجراءات القانونية التي أدت إلى هذا القرار الاساسي قبل تسلمي زمام الحكم بكثير . في ٨ مايو حزيران ١٩٥٣ ، دعت المحكمة العليا ، وزير العدل ، بالرغم أن الولايات المتحدة لم تكن رسمياً فريق في قضايا المدارس ، دعته ليمثل ويجيب على اسئلة شفهية ، وأن يقدم أجوبة خطية على خمسة سؤالات بقيت غامضة على المحكمة في المراحل الاولى للتشريع . في ١٩ آب ١٩٥٣ ، بعثت بمذكرة إلى سجل المحاضر سائلاً ما إذا كان وزير العدل في تقديمه الأجوبة التي طلبتها المحكمة العليا قد يعني ذلك انه يتخذ موقف ضد أو مع المدارس التي تمارس التمييز وفقاً لقوانين ولاياتاها . طبعاً ، طلبت تزويد المحكمة بالأجوبة الكاملة للأسئلة الخمسة المعينة . أبلغني وزير العدل ، أن كونه فرع من المحكمة فإن من واجبه بأن يكون مستعداً على تقديم آراءه التي قد تقضي الامر . سألته المحكمة شفهياً عن رأيه ، فأجاب بأن سياسة التمييز العنصري في المدارسة العامة غير دستورية .

بعد قرار المحكمة العليا في سنة ١٩٥٤ ، رفضت الإدلاء بتصريح ما إذا كنت أؤيد أو أعارض القرار . فقلت أن حكم المحكمة قانون وسوف أتقيد به . هذا الموقف من جانبي كان من المبدأ . كنت أثق انني لو اعربت علانية إما بالموافقة أو معارضه قرار المحكمة العليا في قضية واحدة ، فسأكون مضطراً على التقيد بقضايا

عديدة إن لم تكن كل القضايا . علاوة على ذلك ، فإذا انصرفت إلى موافقة او انتقدت قرارات المحكمة ، فقد يؤدي ذلك الى الحط من هيبة الحكومة ، وبالتالي يكون مضراً . في هذه الحالة ، وافقت بالقرار الإجماعي للمحكمة .

بعد اتخاذ قرار المحكمة بقليل ، دعوت مفوضي منطقة كولومبيا إلى مكتبي واعلمتهم بأن يجب على المقاطعة أن تقوم بزمام المبادرة في المدارس التي تمارس التمييز العنصري ، ويجب أن تعطي مثالاً للبلاد بأسرها . عند ابتداء اول فصل مدرسي ، في الخريف من تلك السنة ، وضعت سياسة عدم التمييز العنصري في واشنطون بدون عنف .

ثم اني ألحت على ضبط النفس والصبر . سألني أحد الصحافيين في ١٤ مارس آذار ١٩٥٦ عن البيان الذي اعده نحو مائة عضو جنوبي في مجلسي الشيوخ والنواب، بأنهم سوف يستخدمون كل وسيلة قانونية لقلب قرار المحكمة العليا التي اتخذته عام ١٩٥٤ . فأجبت بهذا القول :

« اول شيء عن البيان هو : انهم يقولون بأنهم سوف يستخدمون كل السبل القانونية . لم يتحدث أي فرد بأي مركز مسؤول بإلغاء القرار . هناك ثمة مكان حيث نضطر للدخول الى بقعة سيئة من أجل سبب بسيط جداً ، وهو انني قد أقسمت على الدفاع والتمسك بدستور الولايات المتحدة ، وطبعاً ، لا استطيع مطلقاً أن اتخلى أو أرفض القيام بواجباتي .. »

إن قرار المحكمة العليا عام ١٨٩٦ اعتبر مبدأ « متساوٍ لكن منفصل » بأنه قانوني . وهكذا ساعد ذلك المبدأ على تكوين عاداتنا واعتقاداتنا لمدة جيلين من الاميركيين على الاقل . وإذا توقعنا إنقلاب تام في تلك العادات والافكار في أشهر ، فلن يكون واقعياً . وأضفت أن الوقت ضروري ، بالإضافة إلى استعداد الجانبين على استخدام العقل والصبر .

في آذار ١٩٥٦ ، بعثت برسالة الى الانجيلي الدكتور بيلي غراهام ملحاً عليه استخدام نفوذه لدى رجال الدين الجنوبيين ببذل جهودهم في تهدئة وليس في اشعال الرأي العام وأن يدعموا التقدم الذي أحرز حتى قبل قرار المحكمة في ١٩٥٤ .

في مؤتمر صحفي في ١٤ آذار ، أعلنت انني أريد لجنة مشكلة قانونياً ، لأن سيكون لديها القوة في إرغام الشهود على إداء الشهادة . أبلغني مدير التحقيقات الفدرالية أن الشهود الزنوج الذين سيدلون بأدلتهم على اعمال العنف في الجنوب يخافون من التحدث لعملاء مكتب التحقيقات الفدرالي . في جورجيا ، وجنوب كارولينا ، وفلوريدا لم يسمح لمكتب التحقيقات بمواجهة السجناء الذين يشكون من خرق الحقوق المدنية إلاّ بحضور مسؤول من السجن . لقد آن الأوان لإنشاء هيئة تحقيق .

بعد مناقشة اشترك فيها جميع الوزراء ، بُعثت اقتراحاتي بشأن الحقوق المدنية إلى الكونغرس . كانت الاقتراحات مؤلفة من أربع نقاط تطالب اشتراك لجنة الحقوق المدنية ، ودائرة الحقوق المدنية يترأسها مساعداً لوزير العدل في وزارة العدلية ، وقوانين جديدة لمساعدة تطبيق حقوق الاقتراع ، وتعديلات للقوانين السائدة لتسمح للحكومة الفدرالية بالسعي لدى محاكم الحقوق المدنية حماية قضايا الحقوق المدنية . في الوقت الحاضر ، كانت هذه المشاريع أقل من ثورية . لم يكن لدى وزير العدل متوهماً بأن المشروع سيلاقي معارضة شديدة ، لكنه قال ان إذا فعلنا أقل من ذلك سيكون خروجاً عن تقاليد الجمهوريين . أيدت هذا الاعتقاد ، لكننا لم نكن ندرك مقدار الصعوبات التي سنواجهها . لأن منذ ثمانين سنة لم تجاوز أي تشريعات للحقوق المدنية .

حشدت المعارضة . ففي ١٣ تموز وقع ثلاثة وثمانين نائب جنوبي — أربعة منهم من الجمهوريين — وقعوا بياناً ضد مشروع الحكومة وألحوا على جميع اعضاء مجلس الشيوخ ، بالاشتراك معنا باستخدام كل سلاح قانوني وبرلماني لهزم هذا المشروع المنحوس الفضولي ...

لكن بعد عشرة أيام أجيز المشروع في الكونغرس . لكنه اختفى في نفس اليوم الذي وصل فيه إلى لجنة العدل في مجلس الشيوخ .

في السنة التالية ، ١٩٥٧ ، عقدت مؤتمراً بعد مؤتمر مع الزعماء التشريعيين الجمهوريين ، والحت عليهم بأن يتخذوا أي عمل يستطيعون لوضع تشريع الحقوق

المدنية في مجلس النواب قبـــل عطلة عيد الفصح . ابلغني زعيم الاقلية في المجلس ، المستر مارتن ، أن الديمقراطيين يحاولون تأخير العمل . واعلمني السناتور نولاند أن المعارضين في مجلس الشيوخ أبلغوه أن إذا أصر الجمهوريون على السير قدماً بمشروع الحقوق المدنية ، فإنهم سيدفعون ثمن ذلك بفقدانهم لمشاريع أخرى التي يرغبون تقديمها . لكن في شهر حزيران أجاز مجلس النواب المشروع .

وافق مجلس الشيوخ في ١٦ تموز على استلام مشروع القانون الذي بعثه مجلس النواب . قال السناتور راسل أن القوى الجنوبية كانوا « على استعداد لبذل اقصى الجهود في التاريخ لمنع مرور المشروع في شكله الحالي » . في ذلك اليوم بالذات أصدرت تصريحاً موءيداً المشروع كما ورد في مجلس النواب .

وفي ٢٤ تموز عدل مجلس الشيوخ المادة ٤ من مشروع الحكومة . وقد أزال هذا التعديل سلطة وزير العدل في اتخاذ دعوى مدنية ضد من يخرق الحقوق المدنية غير حقوق الاقتراع . كانت هذه صدمة .

كان وزير العدل مستاءً من هذه التطورات . وعندما كُتب المشروع ، كان يدرك بالشكوك من جانبي بالنسبة لشرعية هذا التعديل دستورياً ، لكنه سرعان ما أقنعني ، وبعد ذلك وقعت على القانون ، وفي ١٧ تموز ١٩٥٧ ، أصدرت بياناً داعياً . مجلس الشيوخ ، بالإضافة إلى حماية حقوق الاقتراع ، بأن يعدوا تشريعاً « لبرنامج معقول للمساعدة في بذل الجهود لحماية ... الحقوق الدستورية للمواطنين الآخرين » . ولكن الآن ، حذرنا الزعماء التشريعيين اننا إذا حاولنا إعادة كل فقرات المادة ٣ ، فلن يكون هناك أي تشريع . وفي أمل مني أن أضمن ما تبقى من القانون ، وافقت على عدم الاصرار أثناء الجلسة الراهنة . كان الوضع متأزماً ، لكنني كنت عازماً ، فوق كل شيء بأن أفعل كل ما استطيع لضمان حقوق الزنوج في الاقتراع على نفس الاسس التي يقترع فيها الجميع ، وفي حمايتهم إزاء ذلك . من أجل هـــذا الغرض كنت مستعداً على دعوة جلسة استثنائية للكونغرس إذا قضت الضرورة ذلك .

خلال بضعة أشهر عينت اعضاء لجنة الحقوق المدنية ، وعلى رأسها أحد قضاة

المحكمة العليا السابقين ، ستانلي ريـــد ، وعضوية جون هانا ، رئيس جامعة ميشيغان ، وجون باتل ، حاكم فرجينيا السابق ، والأب ثيودور هزبورغ ، رئيس نوتردام ، وارنست ولكينز ، مساعد وزارة العمل .

*

في ذلك الخريف ، في ليتل روك ، كان الاختلاط سيبدأ في المدارس العالية ، التي كانت تضم ٢٧٤٠ طالب أبيض و ٨١١ زنجي . والمدارس العالية العامة كانت ستبدأ دروسها بتسعة من الزنوج فقط الذين كانوا يستعدون على السير نحو أبواب المدرسة العليا المركزية في صباح ٣ أيلول .

هكذا كان الوضع حين أمر الحاكم فوبوس ، الحرس الوطني لولاية اركانساس بمنع الاولاد الزنوج من الدخول الى المدرسة العليا . وقـد وضعت شرطة ولاية اركانساس على أهبة الاستعداد لتكون « ذراع » ميليشيا الولاية . قـــال حاكم اركانساس إن مهمة الحرس الوطني « المحافظة أو إعادة الهدوء والنظام للمجتمع » . ومهمة ميليشيا الولاية كانت « المحافظة أو إعادة النظام وحماية أرواح وممتلكات المواطنين » . وأضـاف فوبوس : « إن مهمة الحرس الوطني لن تكون دفـاعاً عن العنصرية او عكسها ، بل انهم سيقون بمهامهم كجنود في الخدمة . ولن يكون النظام والأمن ممكناً إذا نفذت سياسة الاختلاط بالقوة نهار غد ... لذلك ، فإن مدارس بولاسكي كونتي ، سوف تعمل في الوقت الحاضر ، بنفس الاسس التي كانت تدار فيها بالماضي » .

بعد أن علم مجلس مدارس ليتل روك بتصريح الحاكم ، وبعد أن شوهدت الميليشيا متمركزة في الشوارع ، طلب المجلس أن « ليس لأي زنجي الحق في دخول المدرسة المركزية أو أي مدرسة للبيض حتى تحل المشكلة قانونياً » .

لكن في الصباح التالي ، تقدم بضعة تلاميذ من الزنوج نحو المدرسة العليـــا المركزية ، فأبعدهم الحرس . وأمر الحاكم فوبوس التلاميذ بقوله : « يجب أن تذهبوا الى مدارس الملونين . وهذه المدارس إنما أعدت حديثاً للتلاميذ البيض » .

هذا يعني تحدياً صارخاً لأوامر المحكمة الفدرالية .

قدم مجلس المدارس عريضة الى المحكمة في المنطقة ذاكراً هـذه الأحداث وطالباً من المحكمة إعفائه من تهمة التشهير بالمحكمة الفدرالية، واستشارة المحكمة ما إذا كانوا سيعتمدون على تصريح الحاكم أن يجب عدم إدخال أي تلميذ زنجي مدرسة عليا للتلاميذ البيض .

بعد سماع أدلة الجانبين ، قرر القاضي دافيز أن لا يوجد أي سبب للتهرب من الاختـلاط الذي وافقت عليه المحكمة . وأمر المدارس بتنفيذ قرار المحكمة على الفور .

سألت رأي وزير العدل ما إذا كان لدى محاكم الولايات المتحدة السلطة بالنظر في فعل الحاكم في منع تنفيذ أوامر المحكمة الفدرالية باستخدام القوة . وقال أن المحاكم الفدرالية تستطيع أن تقرر في شرعية فعل حاكم أي ولاية ، إذا كان هذا الفعل مناهضاً لقرار المحكمة الفدرالية ، حتى ولو سعى الحاكم لتبرير فعله بادعائه ان فعله كان للمحافظة على الامن .

نتيجة لذلك ، في اليوم التالي ، ابتدأت المحكمة الفدرالية تحقيقها . وطلبت مساعدة المدعي العام الذي بدوره طلب رجال مكتب التحقيقات الفدرالي . بعث الحاكم فوبوس ببرقية لي قائلاً أن السلطات الفدرالية تتحراه ، وأن أشرطة هاتفه كانت تلتقط ، وانه علم ان هناك خططاً « للقبض عليه بالقوة » . أجبت فوبوس ان كلا التهمتين ، اعتقاله بالقوة ، والتقاط أشرطة هاتفه ليس لهما « أي أساس من الواقع » .

رداً على طلبه بضمان تفهمي وتعاوني ، قلت له : « إن الضمان الوحيـد الذي استطيع ان اقدم هوانني اتمسك بالدستور ، وسأتخذ كل وسيلة قانونية نحو ذلك .

في ٩ ايلول طلبت محكمة الولاية من حكومة الولايات المتحدة بأن تشترك بمثابة « صديق المحكمة » وأن تقدم عريضة ضـد حاكم اركانساس . وعينت المحكمة ٢٠ ايلول للنظر في شرعية حاكم اركانساس .

كانت حكومـة الولايات المتحـدة وحاكم اركانساس على وشك الاصطدام .

وهنا قدم نائب ليتل روك ، المستر بروكس هيز عرضاً إلى شرمان ادامز بأن يكون الوسيط بين الرئيس والحاكم .

فأجابه ادامز : « أن الرئيس قد يوافق على هذه التدابير ، ولكن على فوبوس ان يعلن عن عزمه على التقيد بالدستور ، وبالقانون الفدرالي ، وبقرار المحكمة العليا عام ١٩٥٤م » .

اتصل بي شرمان ادامز في ١١ أيلول وشرح لي الحديث الذي دار بين هيز وحاكم اركانساس . وقال أن هيز أبلغه بأن الحاكم يرغب في إيجاد مخرج من الأزمة – ويرغب في الاجتماع بي .

فقلت إذا اراد الحاكم فوبوس أن يعقد مناقشة شريفة فقد اجتمع به .

وقال هيز لآدامز أن فوبوس لم يكن عنصرياً ، وأن ابنه يدرس في مدرسة مختلطة .

دعيت وزير العدل وقلت ان الحكومة الفدرالية بالرغم انها لا تحاول حذف مسؤولية الولاية في المحافظة على الامن والنظام ، فانها لا تستطيع تحمل تحدي قرار المحكمة الفدرالية .

كان بروكس هيز ، قد اقنع الحاكم فوبوس بأن يوافق على نص البرقية الذي سيطلب فيها مقابلتي . وقد اصررت على كلمات البرقية : « إن نيتي أن اعمل بقرار المحكمة » . ولكن عندما وصلت البرقية كان نصها : « إن رغبتي الأكيدة بأن أعمل بالقرار ... الموافق مع مسؤولياتي وفقاً لدستور الولايات المتحدة واركانساس » .

وصل فوبوس في ١٤ أيلول الى نيوبورت حيث كنت في فترة راحة واستجمام . وتحدث معي لمدة عشرين دقيقة . ثم شاركنا وزير العدل ، ومستشاري الخاص ، أدامز ، وبروكس هيز لمزيد من المناقشات .

كرر الحاكم فوبوس قوله انه مواطن مخلص ، وانه يعترف بميزة القانون الفدرالي والمحاكم الفدرالية ، وانه سيجعل موقفه واضحاً للجمهور .

فابلغته عن اعتقادي ان ليس من صالح احد مشاهدة صراع السلطة بين الرئيس والحاكم . وقلت له : « في أي منطقة تكون فيها للحكومة الفدرالية السلطة ، فالنتيجة تكون واحـــدة : الولاية تكون الخاسرة . ولا أرغب في التعرض لأي حاكم » .

ابدى تقديره لهذا الموقف . وانفض الاجتماع .

بعد وقت قصير ، اتصل بي هيز على الهاتف ، وقال أن فوبوس لم يزل يرفض القيام بما وعد به .



ملحق

بعض رسائل ايزنهاور

the new Administration. I told him that I thought a better solution would be for him to appoint a man right now who could take Goodpaster's post (the duties of which I detailed at some length) and allow Goodpaster to leave with the rest of us on January 20th. He said he would be handicapped unless he had Goodpaster for a month or two, really favoring the second. Of course I had to say that he would soon be the Commander-in-Chief and he could *order* General Goodpaster to do anything, and those duties would be efficiently performed; but I told him, also, of Goodpaster's great desire to go to active line duty and that a particular spot was being held for him. I asked the Senator if he would assure me that that spot would be held.

(That evening I called General Decker and told him the details of this conversation and asked him, as a personal favor to me, to make it his business to protect Goodpaster's future to this extent. He said there would be no trouble about this.)

Later in the conversation with the three [service] Secretaries, Senator Kennedy repeated this promise, and I think there should be no difficulty in fulfilling it.

10. Finally, I told the Senator that this hurried description of his many functions and duties would possibly be confusing, but if he should like to come back at any time all he had to do was give my secretary a ring and we would set up an appointment promptly.

D.D.E.

pose is to stand watch over the *operations* of the Atomic Energy Commission —which is an operative and *not* a policy making organization. I told him that our relations with the Congress on this subject should be handled through the Foreign Relations Committees and the Defense Committees in both Houses. Frankly, I see no need for the continuance of the Joint Committee on Atomic Energy.

7. I talked to the Senator for some twenty minutes on the present situation and the Balance of Payments and foreign confidence in the dollar, and the way that confidence is affected by the balance or imbalance of budgets. I attach a copy of a short memorandum on the matter, but after I had talked to him Secretary Anderson gave him a much longer briefing on the whole matter, lasting some forty-five minutes. I pray that he understands it. Certainly his attitude was that of a serious, earnest seeker for information and the implication was that he will give full consideration to the facts and suggestions we presented.

Partly because of the outflow of gold caused by the great deployments we have abroad, but also because of other reasons, including my conviction that America is carrying far more than her share of free world defense, I told him that I was going to warn the NATO community of the U.S.'s intention of redeploying some of its troops from Europe unless other arrangements could, at the very least, stop this drain on our gold. I told him that I informed him of this so he would not be surprised, and the decision was made and the announcement would be made in such a way as to leave him a free hand in reversing this policy if he so chooses. I told him that while I believe thoroughly that the European nations, all of which have been so vastly strengthened by the billions we poured out through the Marshall Plan and since, were reaching a level of economic productivity that is for them unprecedented, they still seem to be unwilling to pick up what seemed to us to be their fair share of the defense burden. This government has pointed out to them often that we have taken the responsibility for the creation and maintenance of the free world's deterrent. We provide a vast portion of the navies and most of the bombing force in the free world. And we think that the European nations and Canada should be prepared to maintain a much larger proportion of the ground defense formations.

8. On the personal side, Senator Kennedy asked me whether I could be prepared, upon call from him, to serve the country in such areas and in such manner as may seem appropriate. I told him that, of course, the answer was obvious, but I did say that I thought I had the right, after many long years of service and in view of my age, to suggest that if he should request anything from me, it should be normally in terms of conferences and consultations on subjects on which I have had some experience, rather than errands which might necessitate frequent and lengthy travel. While I did not exclude the possibility of making some trip for some extraordinary reason, I did say that in the main I would like to have this restriction on my understanding.

9. Senator Kennedy was very much concerned with the activities of General Goodpaster, and said he would like to hold Goodpaster for two months into

uation activities, all under the Military Aides. I also described the functions of Camp David.

Within the civilian side, many minor problems arise at the staff level among the different Departments. To expect each Department head to take up each of these with the President or to hold special Cabinet meetings would be undesirable and indeed in the long run impossible. Consequently this coordination is achieved by the President's personal staff, operating under its chief, a man whom I have given the title "The Assistant to the President."

Aside from certain responsibilities of the President touching upon the Regulatory Commissions, there are ten statutory Departments, each headed by a Cabinet officer and, in addition to these, we have the Bureau of the Budget, the Atomic Energy Commission, the Office of Civil and Defense Mobilization, the Council of Economic Advisers, the General Services Administration, the Federal Aviation Agency, and the Veterans Administration.

In addition we have the Central Intelligence Agency, the Civil Service Commission and the United States Information Agency. The Assistant to the President, the Director of the Bureau of the Budget, and the Director of the Office of Civil and Defense Mobilization have been accorded Cabinet rank, as has the President's Representative to the United Nations.

With all these agencies officially and directly subordinate to the President only, and with every problem engaging the attention of any agency normally affecting others, it is easy to see that there is a vast volume of staff coordination required. All of this is done by the President's personal staff.

I said nothing to him about the ceremonies, making of engagements, confidential correspondence, and many other activities which of course are handled normally by the President directly with the responsible individual.

5. Senator Kennedy wanted to get my personal thinking about Macmillan, De Gaulle and Adenauer. I gave him my opinions concerning these people as I have formed them over many years of association with them. I told him that I did not believe that my own comments would mean too much. I did venture the opinion that if he would take the trouble to meet them and talk with them individually and collectively, he would be impressed by their ability and their integrity, even though there would be many instances where he would disagree with their stated opinions.

6. I voluntarily brought up the question of NATO and our ballistic missile proposal to that organization. I told him that De Gaulle has created a number of difficulties in the operation of NATO. I gave Senator Kennedy my opinion that it was the most important alliance to which we belong, one whose maintenance and strength was vital to our own security and prosperity.

In this context I brought up the subject of dealing more closely with our allies in the matter of atomic weapons. I told him that our hands were somewhat tied because the *Joint Committee of Congress dealing with atomic matters was formed and is operating under a law that was written at a time when we had a true monopoly of atomic manufacture.* Today the international club is growing and I think it is worse than silly to allow America's interests and responsibilities in this field to be handled by a Committee whose principal pur-

Mr. Gray would make it his business to acquaint such an individual in detail with the operations of the National Security Council and with the general content of the files.

Regarding the Pentagon setup, the Senator mentioned a report he had just received from the so-called Symington Committee. From the papers I had learned something about the report and while I consider it so useless as to be ridiculous, I was careful to say nothing about the report as such.

I did urge him to avoid any reorganization *until he himself could become well acquainted with the problem.* (Incidentally, I made this same suggestion with respect to the White House staff, the National Security Council, and the Pentagon.) I told him that improvements could undoubtedly be made in the Pentagon and the command organization, but I also made it clear that the present organization and the improved functioning of the establishment had, during the past eight years, been brought about by patient study and long and drawn out negotiations with the Congress and the Armed Services. Much has been said about "streamlining" such an organization in the belief that too many advisers and assistants are impeding the making of wise and prompt decisions. I think that something along this line might possibly be done, but in a mechanism such as the Defense establishment, which spends something on the order of 42 billion dollars a year. I pointed out that the Secretary of Defense should be fortified with the finest military and civilian advisers he could get. I pointed out the value of our scientific experts and their counsel. The importance of scientific research is illustrated by the amount of money devoted to the designing, development and testing of any weapons, without placing a single one of them in the operational inventory. (Incidentally, this figure is 6½ billion dollars. Another 23½ billion dollars goes to pay for maintenance of personnel and equipment.) This emphasized, I told him, the need for earnest study and thinking before making radical changes.

4. I spent some time explaining the difference between the functions of the White House staff as an immediate supporting body to the President on the one hand, and the relations between the President and his Cabinet officers. These, both individually and collectively, are always in contact with the President on any important problem affecting one or more.

I told him that without a personal staff all the detailed problems that would arise, even after major policies had been approved, would come directly to the attention of the President—and all of this without any coordination among Departments.

I told him the divisions within the White House were the Military Aides on the one hand and the civilian staff on the other. This civilian staff comprehends a legal section, an economic section, a liaison section and a secretarial section. The records section is a somewhat separated organism, because it is not only manned and headed by civil service personnel, but is the only permanent body in the White House.

The Senator seemed to be a bit amazed when I told him about the great numbers of people that operate in the Signal Corps, Transportation and Evac-

قصة اجتماعي مع الرئيس المنتخب كندي في ٦ كانون الأول ١٩٦٠

ACCOUNT OF DECEMBER 6, 1960 MEETING WITH PRESIDENT-ELECT* KENNEDY

1. I arranged for an informal military parade in front of the White House to receive the President-elect. I met him on the north portico of the mansion. We immediately started talks in my office.

2. It quickly became apparent that any single meeting, no matter of what length, could do little more than hit the high spots in the problem of transferring Federal control from one Administration to another.

The agenda suggested in advance by Senator Kennedy had as its first three items: Berlin, the Far East and Cuba. He had previously been briefed by Allen Dulles a number of times and had some familiarity with the details of these three subjects. Even so, there was no point in trying to go deeply into the details of these subjects because a full morning could be easily devoted to the possibilities, both adverse and favorable, that lie before us.

3. The Senator was interested in the National Security setup and its operations. He suggested also that I give him any ideas I might have about improving the Pentagon operation.

I explained to him in detail the purpose and work habits of the Security Council, together with its two principal supporting agencies—the Planning Board and the Operations Coordinating Board. I said that the National Security Council had become the most important weekly meeting of the government; that we normally worked from an agenda, but that any member could present his frank opinion on any subject, even on those that were not on the formal agenda. I made clear to him that conferences in the White House are not conducted as Committee meetings in the Legislative Branch. There is no voting by members and each group has one purpose only—to advise the President on the facts of particular problems and to make to him such recommendations as each member may deem applicable. I described how "splits" in Planning Board papers were handled.

He, obviously, could not be expected to understand the operations of the Security Council from one short briefing, and I urged him to appoint, as soon as he possibly could, an individual that he would want to take over the duties, after January 20, of Gordon Gray. I stated that if he would do this,

* "President-designate" is the formal and proper term for the winning candidate before the Electoral College has met, I am told.

D.E., 1965.

nations are placed. It would be the purpose of the United States to deal with the specific incidents you raise within that broad context. To do otherwise would be to be blind to the teaching of history.

You will recall, Mr. Chairman, that World War II was brought about by a series of acts of direct and indirect aggression against small nations. In March 1939 the then head of the Soviet Communist Party pointed out that the failure of non-aggressive nations, among which he named Britian and France, to check direct or indirect aggression against small countries meant "giving free rein to war and, consequently, transforming the war into a world war." That forecast unhappily proved true.

You will also recall the 1950 "Peace through Deeds" Resolution of the General Assembly, which condemns the "fomenting of civil strife in the interest of a foreign power" as among "the gravest of all crimes."

It is my earnest hope that through the United Nations Security Council steps can be taken in regard to the Middle East which, by making peace more secure there, will help promote it elsewhere.

In conclusion, I suggest that the Permanent Representatives of the members of the United Nations Security Council in New York should exchange views, under arrangements made by the Secretary-General, to ascertain that a meeting of the kind and under conditions I suggest is generally acceptable. If so they should also agree upon a date which would be generally satisfactory. The date of July twenty-eighth would be too early for us.

I am today authorizing our own Permanent Representative to act in this sense.

Sincerely,

رسالة إلى رئيس مجلس الأمن

July 25, 1958

Dear Mr. Chairman:

I have studied your letter of July twenty-third. I find in it apparent misunderstandings of the views expressed in my letter of July twenty-second, which I would request you to read again more carefully.

I then said that if, despite the facts established in the recent meetings of the Security Council, your Government still desires to allege that the situation in Lebanon constitutes an imminent danger to peace in the Middle East, the proper forum for appropriate discussion is the United Nations Security Council. I am glad that you now recognize the responsibility of the United Nations and have withdrawn your original proposal which would have gravely undermined the prestige and authority of the United Nations.

My letter pointed out that the Charter of the United Nations authorizes members of government, and that of course includes Heads of Government and Foreign Ministers, to represent a member nation at the Security Council and that if such a meeting were generally desired, the United States would join in following that orderly procedure. It is, of course, not yet certain that such a meeting is in fact "generally desired," although that may prove to be the case.

You now make specific suggestions dealing with the composition of the Security Council and the conditions under which nations other than members of the Council may participate in discussions of the Council. My letter to you of July twenty-second urged that one of the advantages of proceedings in the Security Council is that there are established rules on these matters and it is accordingly not necessary to rely on improvising. I pointed out that when rules of this kind are sought to be improvised there is raised a whole series of new problems, notably as to the participation and non-participation of various states. The United States will adhere, in these respects, to the Charter, which lays down the conditions under which nations which are not members of the Council may participate in the discussions of the Council.

As to the agenda, we agree that it should be limited to a discussion of the problems of the Middle East, including the causes of those problems. I would, however, be lacking in candor if I did not make clear that to put peace and security on a more stable basis in the Middle East requires far more than merely a consideration of Lebanon and Jordan. These situations are but isolated manifestations of far broader problems. In my opinion the instability of peace and security is in large measure due to the jeopardy in which small

of Foreign Affairs informed the United States that the Egyptian occupation of the two islands of Tiran and Sanafir at the entrance of the Gulf of Aqaba was only to protect the islands themselves against "possible damage or violation" and that "this occupation being in no way conceived in a spirit of obstructing in any way innocent passage through the stretch of water separating these two islands from the Egyptian coast of Sinai, it follows that this passage, the only practicable one, will remain free as in the past, in conformity with international practice and recognized principles of the law of nations."

In the absence of some overriding decision to the contrary, as by the International Court of Justice, the United States, on behalf of vessels of United States registry, is prepared to exercise the right of free and innocent passage and to join with others to secure general recognition of this right.

It is of course clear that the enjoyment of a right of free and innocent passage by Israel would depend upon its prior withdrawal in accordance with the United Nations Resolutions. The United States has no reason to assume that any littoral state would under these circumstances obstruct the right of free and innocent passage.

The United States believes that the United Nations General Assembly and the Secretary-General should, as a precautionary measure, seek that the United Nations Emergency Force move into the Straits area as the Israeli forces are withdrawn. This again we believe to be within the contemplation of the Second Resolution of February 2, 1957.

(3) The United States observes that the recent resolutions of the United Nations General Assembly call not only for the prompt and unconditional withdrawal of Israel behind the Armistice lines but call for other measures.

We believe, however, that the United Nations has properly established an order of events and an order of urgency and that the first requirement is that forces of invasion and occupation should withdraw.

The United States is prepared publicly to declare that it will use its influence, in concert with other United Nations members, to the end that, following Israel's withdrawal, these other measures will be implemented.

We believe that our views and purposes in this respect are shared by many other nations and that a tranquil future for Israel is best assured by reliance upon that fact, rather than by an occupation in defiance of the overwhelming judgment of the world community.

المذكرة التي سلمت لسفير «إسرائيل» أبا إيبان في ١١ شباط ١٩٥٧
بواسطة وزير الخارجية دالاس

Aide-mémoire handed to Israeli Ambassador Abba Eban on February 11, 1957, by Secretary Dulles:

The United Nations General Assembly has sought specifically, vigorously, and almost unanimously, the prompt withdrawal from Egypt of the armed forces of Britain, France and Israel. Britain and France have complied unconditionally. The forces of Israel have been withdrawn to a considerable extent but still hold Egyptian territory at Sharm el Shaikh at the entrance to the Gulf of Aqaba. They also occupy the Gaza Strip which is territory specified by the Armistice arrangements to be occupied by Egypt.

We understand that it is the position of Israel that (1) it will evacuate its military forces from the Gaza Strip provided Israel retains the civil administration and police in some relationship to the United Nations; and (2) it will withdraw from Sharm el Shaikh if continued freedom of passage through the Straits is assured.

With respect to (1) the Gaza Strip—it is the view of the United States that the United Nations General Assembly has no authority to require of either Egypt or Israel a substantial modification of the Armistice Agreement, which, as noted, now gives Egypt the right and responsibility of occupation. Accordingly, we believe that Israeli withdrawal from Gaza should be prompt and unconditional, leaving the future of the Gaza Strip to be worked out through the efforts and good offices of the United Nations.

We recognize that the area has been a source of armed infiltration and reprisals back and forth contrary to the Armistice Agreement and is a source of great potential danger because of the presence there of so large a number of Arab refugees—about 200,000. Accordingly, we believe that the United Nations General Assembly and the Secretary-General should seek that the United Nations Emergency Force, in the exercise of its mission, move into this area and be on the boundary between Israel and the Gaza Strip.

The United States will use its best efforts to help to assure this result, which we believe is contemplated by the Second Resolution of February 2, 1957.

With respect to (2) the Gulf of Aqaba and access thereto—the United States believes that the Gulf comprehends international waters and that no nation has the right to prevent free and innocent passage in the Gulf and through the Straits giving access thereto. We have in mind not only commercial usage, but the passage of pilgrims on religious missions, which should be fully respected.

The United States recalls that on January 28, 1950, the Egyptian Ministry

reaching such a state of completion that I felt compelled on two successive days to warn that country that the United States would honor its part in the Tri-Partite Declaration of May, 1950—in short, that we would oppose clear aggression by any power in the Mid-East.

But so far as Britain and France were concerned, we felt that they had deliberately excluded us from their thinking; we had no choice but to do our best to be prepared for whatever might happen.

The first news we had of the attack and of British-French plans was gained from the newspapers and we had no recourse except to assert our readiness to support the United Nations, before which body, incidentally, the British Government had itself placed the whole Suez controversy.

Now I still believe that we must keep several facts clearly before us, the first one always being that the Soviets are the real enemy and all else must be viewed against the background of that truth. The second fact is that nothing would please this country more nor, in fact, could help us more, than to see British prestige and strength renewed and rejuvenated in the Mid-East. We want those countries to trust and lean toward the Western World, not Russia. A third fact is that we want to help Britain right now, particularly in its difficult fuel and financial situation, daily growing more serious.

All we have asked in order to come out openly has been a British statement that it would conform to the resolutions of the United Nations. The United Nations troops do not, in our opinion, have to be as strong as those of an invading force because any attack upon them will be an attack upon the whole United Nations and if such an act of folly were committed, I think that we could quickly settle the whole affair.

. . . I continue to believe that the safety of the western world depends in the final analysis upon the closest possible ties between Western Europe, the American hemisphere, and as many allies as we can induce to stand with us. If this incident has proved nothing else, it must have forcefully brought this truth home to us again. A chief factor in the union of the free world must be indestructible ties between the British Commonwealth and ourselves.

The only difficulty I have had in the particular instance is the fact that to me it seemed the action of the British Government was not only in violation of the basic principles by which this great combination of nations can be held together, but that even by the doctrine of expediency the invasion could not be judged as soundly conceived and skillfully executed.

So I hope that this one may be washed off the slate as soon as possible and that we can then together adopt other means of achieving our legitimate objectives in the Mid-East. Nothing saddens me more than the thought that I and my old friends of years have met a problem concerning which we do not see eye to eye. I shall never be happy until our old time closeness has been restored.

With warm regard and best wishes for your continued health.

As ever,

Ike E.

رسالة إلى ونستون تشرشل

November 27, 1956

Dear Winston:

I agree fully with the implication of your letter that . . . back of the difficulties that the free world is now experiencing lies one principal fact that none of us can afford to forget. The Soviets are the real enemy of the Western World, implacably hostile and seeking our destruction.

Many months ago it became clear that the Soviets were convinced that the mere building of mighty military machines would not necessarily accomplish their purposes, while at the same time their military effort was severely limiting their capacity for conquering the world by other means, especially economic. Unquestionably the greatest factor in turning their minds away from general war as a means of world conquest was their knowledge of America's and Britain's large and growing strength in nuclear and fission weapons.

Starting almost at the instant that Nasser took his high-handed action with respect to the Canal, I tried earnestly to keep Anthony informed of public opinion in this country and of the course that we would feel compelled to follow if there was any attempt to solve by force the problem presented to the free world through Nasser's action. I told him that we were committed to the United Nations and I particularly urged him, in a letter of July thirty-first, to avoid the use of force, at least until it had been proved to the world that the United Nations was incapable of handling the problem. My point was that since the struggle with Russia had obviously taken on a new tactical form, we had to be especially careful that any course of action we adopted should by its logic and justice command world respect, if not sympathy. I argued that to invade Egypt merely because that country had chosen to nationalize a company would be interpreted by the world as power politics and would raise a storm of resentment that, within the Arab States, would result in a long and dreary guerilla warfare; something on the order that the French are now experiencing in Algeria.

I have tried to make it clear that we share the opinion of the British . . . [and] others that . . . we would have to concert our actions in making certain that he [Nasser] did not grow to be a danger to our welfare. But for the reasons I have given above, I urged that the nationalization of the Canal Company was not the vehicle to choose for bringing about correction in this matter.

Sometime in the early part of October, all communication between ourselves on the one hand and the British and the French on the other suddenly ceased. Our intelligence showed the gradual buildup of Israeli military strength, finally

to any action whatsoever to be taken against Israel. He further argued that the tri-partite statement of May, 1950, was ancient history and without current validity.

Without arguing the point as to whether or not the tri-partite statement is or should be outmoded, I feel very seriously that whenever any agreement or pact of this kind is in spirit renounced by one of its signatories, it is only fair that the other signatories should be notified. Since the United States has continued to look upon that statement as representing the policies and determination of our three governments, I have not only publicly announced several times that it represents our policy, but many of our actions in the Mid East have been based upon it. For example, we have in the past denied arms both to Egypt and to Israel on the ground that the 1950 statement was their surest guarantee of national security. We have had no thought of repudiating that statement and we have none now.

All of this development, with its possible consequences, including the possible involvement of you and the French in a general Arab war, seems to me to leave your government and ours in a very sad state of confusion, so far as any possibility of unified understanding and action are concerned. It is true that Egypt has not yet formally asked this government for aid. But the fact is that if the United Nations finds Israel to be an aggressor, Egypt could very well ask the Soviets for help—and then the Mid East fat would really be in the fire. It is this latter possibility that has led us to insist that the West must ask for a United Nations examination and possible intervention, for we may shortly find ourselves not only at odds concerning what we should do, but confronted with a de facto situation that would make all our present troubles look puny indeed.

Because of all these possibilities, it seems to me of first importance that the UK and the US quickly and clearly lay out their present views and intentions before each other, and that, come what may, we find some way of concerting our ideas and plans so that we may not, in any real crisis, be powerless to act in concert because of misunderstanding of each other. I think it important that our two peoples, as well as the French, have this clear understanding of our common or several viewpoints.

With warm personal regard.

As ever,

Ike E.

رسالة إلى إنتوني إيدن

October 30, 1956

Dear Anthony:

I address you in this note not only as head of Her Majesty's Government but as my long-time friend who has, with me, believed in and worked for real Anglo-American understanding.

Last night I invited Mr. Coulson, currently your Washington representative, to come to my house to talk over the worsening situation in the Mid East. I have no doubt that the gist of our conversation has already been communicated to you. But it seemed to me desirable that I should give you my impressions concerning certain phases of this whole affair that are disturbing me very much.

Without bothering here to discuss the military movements themselves and their possible grave consequences, I should like to ask your help in clearing up my understanding as to exactly what is happening between us and our European allies—especially between us, the French and yourselves.

We have learned that the French had provided Israel with a considerable amount of equipment, including airplanes, in excess of the amounts of which we were officially informed. This action was, as you know, in violation of agreements now existing between our three countries. We know also that this process has continued in other items of equipment.

Quite naturally we began watching with increased interest the affairs in the Eastern Mediterranean. Late last week we became convinced that the Israel mobilization was proceeding to a point where something more than mere defense was contemplated, and found the situation serious enough to send a precautionary note to Ben-Gurion. On Sunday we repeated this note of caution and made a public statement of our actions, informing both you and the French of our concern. On that day we discovered that the volume of communication traffic between Paris and Tel Aviv jumped enormously, alerting us to the probability that France and Israel were concerting detailed plans of some kind.

When on Monday actual military moves began, we quickly decided that the matter had to go immediately to the United Nations, in view of our Agreement of May, 1950, subscribed to by our three governments.

Last evening our Ambassador to the United Nations met with your Ambassador, Pierson Dixon, to request him to join us in presenting the case to the United Nations this morning. We were astonished to find that he was completely unsympathetic, stating frankly that his government would not agree

no brake or deterrent possible against any Soviet move into the area to help the Arab countries. They could bring considerable forces in under the guise that they were carrying out a United Nations mandate, the ultimate effect of which would be to Sovietize the whole region, including Israel.

There has been some disposition to believe that Ben-Gurion's obviously aggressive attitude is inspired, at this moment, by three things:

(a). His desire to take advantage of the gradual deterioration in Jordan and to be ready to occupy and lay claim to a goodly portion of the area of that nation;

(b). The preoccupation of Egypt and the Western powers in the Suez question, which would tend both to minimize the possibility that Egypt would enter a war against him promptly, while at the same time it would impede Britain's capability of reinforcing Jordan.

(c). His belief that the current political campaign in the United States will keep this government from taking a strong stand against any aggressive move he might make.

Secretary Dulles will warn the Ambassador that while, of course, we would hate to create misunderstandings and needless passion in this country over this question, at this moment he should inform his government that no considerations of partisan politics will keep this government from pursuing a course dictated by justice and international decency in the circumstances, and that it will remain true to its pledges under the United Nations.

Ben-Gurion should not make any grave mistakes based upon his belief that winning a domestic election is as important to us as preserving and protecting the interests of the United Nations and other nations of the free world in that region. The Secretary is to point out, moreover, that even if Ben-Gurion, in an aggressive move, should get an immediate advantage in the region, that on a long-term basis aggression on his part cannot fail to bring catastrophe and such friends as he would have left in the world, no matter how powerful, could not do anything about it.

Foster will make this attitude clear and unmistakable to Mr. Eban.

At the same time I have Foster's promise to have ready a policy or plan that would guide our action in the event that the dissolution of Jordan would actually take place and thus create a new situation in the world.

D.D.E.

Appendix:

It is believed that one of the recent Israeli raids against Jordan involved two or three battalions of infantry, artillery, and jet airplanes. Incidentally, our high-flying reconnaissance planes have shown that Israel has obtained some 60 of the French Mystère pursuit planes, when there had been reported the transfer of only 24. Jordan has no aviation.

D.D.E.

مذكرة

OCTOBER 15, 1956

MEMORANDUM FOR THE RECORD

The Secretary of State, accompanied by Mr. Hoover and Mr. Rountree of his office, came to see me about the deteriorating situation in the Israel-Jordan area.

It seems to be taken internationally as a foregone conclusion that Jordan is breaking up, and of course all the surrounding countries will be anxious to get their share of the wreckage, including Israel. In fact, there is some suspicion that the recent savage blows of the Israel border armies against the strong points within Jordan territory are intended to hasten this process of dissolution.

On the other side of the picture, there is some indication that Britain is really serious in her announced intention of honoring her Pact with Jordan, which requires her to help defend Jordan in the case of outside invasion.

Should this occur, we would have Britain in the curious position of helping to defend one of the Arab countries, while at the same time she is engaged in a quarrel—which sometimes threatens to break out into war—with Egypt over the Suez question.

All this brings to the fore one particular thing we must bear in mind. It is this: As of this moment we are dealing with the existing situation—that is, with Jordan enjoying the rights of a sovereign country. At the same time, in view of the possible disintegration of the Jordanian government, we must be ready to deal with the situation in which the people and territory of that country would be absorbed by others.

For the moment we can deal only with the first problem.

The Secretary of State is having a long conference with the Israeli Ambassador to this country, Mr. Eban. The Ambassador is about to return to his own country and is visiting Foster to discuss some of the factors in the above problem.

I have told the Secretary of State that he should make very clear to the Israelis that they must stop these attacks against the borders of Jordan. If they continue them, and particularly if they carry them on to the point of trying to take over and hold the territory west of the Jordan River, they will certainly be condemned by the United Nations, and not only Arab opinion but all world opinion will be brought to bear against this little country. Moreover, should there be a United Nations Resolution condemning Israel, there will be

and to assist the members in the exercise of their rights as users of the Suez Canal in consonance with the 1888 Convention, with due regard for the rights of Egypt;

"(2) To promote safe, orderly, efficient, and economical transit of the Canal by vessels of any member nation desiring to avail themselves of the facilities of SCUA and to seek the cooperation of the competent Egyptian authorities for this purpose. . . .

"(4) To receive, hold and disburse the revenues accruing from dues and other sums which any user of the Canal may pay to SCUA, without prejudice to existing rights, pending a final settlement. . . .

"(6) To assist in dealing with any practical problems arising from the failure of the Suez Canal adequately to serve its customary and intended purpose and to study forthwith means that may render it feasible to reduce dependence on the Canal. . . ."

At the same time there were rumblings of a Cabinet crisis in France, caused by a feeling in the French Assembly that the Mollet government had not made good its pledge of a "severe riposte" against Nasser. The Users Association simultaneously was being criticized by the British press, though not publicly by its government. Ironically much of the most severe criticism of the statement and declaration came from the British Laborite press, which had so objected to Prime Minister Eden's implication nine days before concerning possible use of force; now they objected that the association was not sufficiently forceful. Said the Laborite *Daily Herald:* "The Dulles plan, hailed as a fiery sword at Nasser's head, turned out to be a blunt kitchen knife, safe but not particularly useful." The trouble with this criticism was that the plan was not a knife, it was a bunch of carrots for a hungry horse, and it provided means for supplying the carrots.

the facilities of transit; and so far as practical arrange for the pattern of traffic of the member vessels through the Canal.

"It is our hope that perhaps practical on-the-spot arrangements for cooperation can be achieved without prejudice to the rights of anyone. This may provide a provisional *de facto* working arrangement until formal agreements can be reached."

He then went on in a masterful way to explain:

"I recall that at a press conference held here two or three weeks ago, I said that the great difficulty with this situation was not that the problems themselves were unsolvable, but that they became unsolvable in the context of great concepts such as 'sovereignty' and 'dignity' and 'grandeur' and the 'East versus the West,' and things of that sort. The problems should be solvable if you break them down to concrete things, such as who are going to be the pilots; where are they going to be; are they qualified pilots; do we have a right to pilots of our own choosing if they are qualified or has Egypt the right to impose upon our vessels pilots of its own choosing; what is the pattern of traffic?

". . . But perhaps—and this is our hope—if we get operating problems out of the hands of the diplomats, the statesmen, and get it down perhaps into a situation where practical ship operators are dealing with practical people on the part of Egypt, maybe some of these problems will be solvable.

"The idea that this is a program which is designed to impose some regime upon Egypt is fantastic. That is not at all the concept."

In addition he specifically denied that the Users Association was undertaking to *shoot its way* through the Canal.

On Friday, September 14, the Western pilots, apparently with Nasser's permission, walked off their jobs, now leaving the Canal to the complete management of the Egyptians.

As the next development Nasser denounced the Users Association as a "declaration of war," apparently in an effort to make it appear that the association was nothing but a device to lead all members down the path to war, for which the British and French were ostensibly preparing.

On Wednesday, September 19, the foreign ministers of the eighteen nations concerned met in London for what was temed the "Second London Conference." Governments were given a week or ten days to decide whether or not to join. Of course our great hope was that Iran, Pakistan, and Ethiopia would stay with us behind the leadership of Turkey despite Egyptian pressure. Foster described the Scandinavians as "lukewarm," however, and the Spanish "equivocal." A series of weak speeches induced him to present our position that afternoon in forceful terms.

The conference terminated on September 21. In the statement issued at the time the conferees issued a declaration providing for the establishment of a Suez Canal Users Association. This document, general in nature, stated that the Suez Canal Users Association should strive, "(1) To facilitate any steps which may lead to a final or provisional solution of the Suez Canal problem

difficult if not impossible without the benefit of the Western pilots who must soon surely leave.

If, however, these modest results could not be achieved, the Users Association, representing Asian countries as well as Western, would still be a powerful force to mobilize world opinion, particularly since Nasser would probably need to use force to stop our convoys. It would allow these eighteen nations, under a collective bargaining arrangement, to speak with one voice.

Initially the plan for the Users Association was received with considerable enthusiasm by influential portions of the British and French governments. The British foreign secretary, Selwyn Lloyd, told our ambassador on September 12 that the British government was particularly pleased with the plan because it constituted a "slap in the face" for Nasser and would be popular in Parliament for that reason. If the United States would join this club, he said, and would pay the Canal tolls to the association, the Prime Minister would then express approval of the plan in Parliament, after which the British government would ask for United Nations Security Council action requiring Nasser to implement the 1888 Convention on the basis of this plan. With our support he hoped this action would be approved by the Security Council by a vote of nine to two. Pineau and Mollet also told Ambassador Dillon of their feeling that the Users Association proposal fully satisfied the need for action on the part of Britain and France, and would be helpful in avoiding the dangers of hostilities. Indeed, at this meeting Pineau said he now saw a good chance of avoiding war unless Nasser should be guilty of further provocation.

It soon became apparent, however, that the United States on the one hand and Britain and France on the other hand had different understandings on its meaning. Anthony Eden implied when he first publicly proposed the scheme in a special session of Parliament on Wednesday, September 12, that the users organization would use force if necessary to secure entry to the Canal. His wording was, ". . . if the Egyptian Government should seek to interfere . . . that Government will once more be in breach of the convention of 1888 . . . Her Majesty's Government and others concerned will be free to take such further steps as seem to be required either through the United Nations, *or by other means for the assertion of their rights*" (italics mine). By this time the Labor party, whose leader, Hugh Gaitskell, had supported Eden strongly at the first blush of Nasser's internationalization of the Canal, now dissented. The words used by the Prime Minister before Parliament brought cries of "Resign! Resign!" from the Labor members present. In Washington the next day Foster issued a statement, which I had approved, describing the Users Association in these words:

"We are thus prepared to participate in a users' organization. . . . It is our thought that the users' association would, among other things, provide qualified pilots for the users' ships; would initially receive the dues from the ships of members of the association passing through the canal, which sums would be used to defray the expenses of the organization and to pay appropriate compensation to Egypt for its contribution to the maintenance of the Canal and

من مفكرة ايزنهاور عن ازمة السويس

Thus, the Users Association, as we conceived it, was to secure pilots for convoys and to collect the tolls which had normally been paid to the now defunct Suez Canal Company. These tolls would then be utilized to defray expenses incurred in the pay of pilots and other administrative matters and would provide also a just compensation to the Egyptians.

The idea of paying tolls to a Users Association rather than to the Egyptian government directly might, at first blush, appear fantastic were it not for the fact that the Suez Canal itself is an open waterway, devoid of physical barriers anywhere along its route. Thus, if we should be compelled to operate the Canal with no Egyptians whatsoever it would be possible for a ship at anchor in either end of the Canal to house the necessary administrative personnel and pilots—indeed, everything necessary to assemble and conduct convoys—thus providing the means to transit the Canal. If such a scheme were adopted, and if a convoy were to head through the Canal under the auspices of a Users Association's pilots, the Egyptians would then have to resort to sunken vessels or warlike measures to prevent use of the Canal.

By no means did Foster and I, at that time, visualize this association as a mechanism to "take over" the Canal or as an infringement on Egyptian sovereignty. Rather, we hoped for utmost cooperation between the Users Association and Egypt, which would, of course, be the only nation to realize profit for use of the waterway. The idea of the Association was to take the problem of canal transit out of the hands of the "statesmen" and put it into the hands of the technicians on the spot.

In the event the Egyptians decided to use force to stop convoys from going through the Canal except under their own terms, then we felt that each shipper would have to decide for himself whether to accept Egyptian terms or to take the route around the Cape of Good Hope. For our own part, the United States would not, as circumstances as they then stood, attempt to "shoot our way through" the Canal, but would rather use the Cape route.

Foster and I were not particularly optimistic respecting the success of this scheme. We regarded it merely as an interim measure, even if accepted by the Egyptians. As I saw it, the maximum hope that we could harbor would be a *de facto* arrangement whereby technical representatives of the nations of the Users Association would deal on concrete matters directly with Egyptian experts on the spot. In a way this technical cooperation would have been a face-saver for Nasser, since one of the basic assumptions under which we worked at the time was that the Egyptians would find operating the Canal extremely

resolving the dispute would set in motion forces that could lead, in the years to come, to the most distressing results.

Obviously there are large areas of agreement between us. But in these exchanges directed toward differing methods I gain some clarification of the confusing and conflicting considerations that apply to this problem.

With warmest regard,

As ever your friend,

which is prepared to support such a move, and the most significant public opinion that there is seems to think that the United Nations was formed to prevent this very thing.

It is for reasons such as these that we have viewed with some misgivings your preparations for mounting a military expedition against Egypt. We believe that Nasser may try to go before the United Nations claiming that these actions imply a rejection of the peaceful machinery of settling the dispute, and therefore may ask the United Nations to brand these operations as aggression.

At the same time, we do not want any capitulation to Nasser. We want to stand firmly with you to deflate the ambitious pretensions of Nasser and to assure permanent free and effective use of the Suez waterway under the terms of the 1888 Treaty.

It seems to Foster and to me that the result that you and I both want can best be assured by slower and less dramatic processes than military force. There are many areas of endeavor which are not yet fully explored because exploration takes time.

We can, for example, promote a semi-permanent organization of the user governments to take over the greatest practical amount of the technical problems of the Canal, such as pilotage, the organization of the traffic patterns, and the collection of dues to cover actual expenses. This organization would be on the spot and in constant contact with Egypt and might work out a *de facto* "coexistence" which would give the users the rights which we want.

There are economic pressures which, if continued, will cause distress in Egypt.

There are Arab rivalries to be exploited and which can be exploited if we do not make Nasser an Arab hero.

There are alternatives to the present dependence upon the Canal and pipelines which should be developed perhaps by more tankers, a possible new pipeline to Turkey and some possible rerouting of oil, including perhaps more from this hemisphere, particularly to European countries which can afford to pay for it in dollars.

Nasser thrives on drama. If we let some of the drama go out of the situation and concentrate upon the task of deflating him through slower but sure processes such as I described, I believe the desired results can more probably be obtained. Gradually it seems to me we could isolate Nasser and gain a victory which would not only be bloodless, but would be more far-reaching in its ultimate consequences than could be anything brought about by force of arms. In addition, it would be less costly both now and in the future.

Of course, if during this process Nasser himself resorts to violence in clear disregard of the 1888 Treaty, then that would create a new situation and one in which he and not we would be violating the United Nations Charter.

I assure you we are not blind to the fact that eventually there may be no escape from the use of force. Our resolute purpose must be to create conditions of operation in which all users can have confidence. But to resort to military action when the world believes there are other means available for

رسالة الى انتوني إيدن

September 8, 1956

Dear Anthony:

Whenever, on any international question, I find myself differing even slightly from you, I feel a deep compulsion to re-examine my position instantly and carefully. But permit me to suggest that when you use phrases in connection with the Suez affair, like "ignoble end to our long history" in describing the possible future of your great country, you are making of Nasser a much more important figure than he is.

We have a grave problem confronting us in Nasser's reckless adventure with the Canal, and I do *not* differ from you in your estimate of his intentions and purposes. The place where we apparently do not agree is on the probable effects in the Arab world of the various possible reactions by the Western world.

You seem to believe that any long, drawn-out controversy either within the 18-nation group or in the United Nations will inevitably make Nasser an Arab hero and seriously damage the prestige of Western Europe, including the United Kingdom, and that of the United States. Further you apparently believe that there would soon result an upheaval in the Arab nations out of which Nasser would emerge as the acknowledged leader of Islam. This, I think, is a picture too dark and is severely distorted.

I shall try to give you a somewhat different appraisal of the situation. First, let me say that my own conclusions are based to some degree upon an understanding of current Arab feeling that differs somewhat from yours. I believe that as this quarrel now stands before the world, we can expect the Arabs to rally firmly to Nasser's support in either of two eventualities.

The first of these is that there should be a resort to force without thoroughly exploring and exhausting every possible peaceful means of settling the issue, regardless of the time consumed, and when there is no evidence before the world that Nasser intends to do more than to nationalize the Canal Company. Unless it can be shown to the world that he is an actual aggressor, then I think all Arabs would be forced to support him, even though some of the ruling monarchs might very much like to see him toppled.

The second would be what seemed like a capitulation to Nasser and complete acceptance of his rule of the Canal traffic.

The use of military force against Egypt under present circumstances might have consequences even more serious than causing the Arabs to support Nasser. It might cause a serious misunderstanding between our two countries because I must say frankly that there is as yet no public opinion in this country

Of course, our departments are looking into the implications of all future developments. In this they will keep in close touch with appropriate officials of your Government, as is my wish.

With warm regard,

As ever,

D.E.

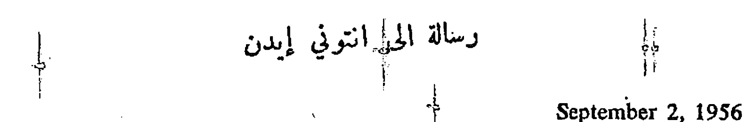
through Foster after I got back from San Francisco and had a chance to talk fully with him.

I am afraid, Anthony, that from this point onward our views on this situation diverge. As to the use of force or the threat of force at this juncture, I continue to feel as I expressed myself in the letter Foster carried to you some weeks ago. Even now military preparations and civilian evacuation exposed to public view seem to be solidifying support for Nasser which has been shaky in many important quarters. I regard it as indispensable that if we are to proceed solidly together to the solution of this problem, public opinion in our several countries must be overwhelming in its support. I must tell you frankly that American public opinion flatly rejects the thought of using force, particularly when it does not seem that every possible peaceful means of protecting our vital interests has been exhausted without result. Moreover, I gravely doubt we could here secure Congressional authority even for the lesser support measures for which you might have to look to us.

I really do not see how a successful result could be achieved by forcible means. The use of force would, it seems to me, vastly increase the area of jeopardy. I do not see how the economy of Western Europe can long survive the burden of prolonged military operations, as well as the denial of Near East oil. Also the peoples of the Near East and of North Africa and, to some extent, of all of Asia and all of Africa, would be consolidated against the West to a degree which, I fear, could not be overcome in a generation and, perhaps, not even in a century particularly having in mind the capacity of the Russians to make mischief. Before such action were undertaken, all our peoples should unitedly understand that there were no other means available to protect our vital rights and interests.

We have two problems, the first of which is the assurance of permanent and efficient operation of the Suez Canal with justice to all concerned. The second is to see that Nasser shall not grow as a menace to the peace and vital interests of the West. In my view, these two problems need not and possibly cannot be solved simultaneously and by the same methods, although we are exploring further means to this end. The first is the most important for the moment and must be solved in such a way as not to make the second more difficult. Above all, there must be no grounds for our several peoples to believe that anyone is using the Canal difficulty as an excuse to proceed forcibly against Nasser. And we have friends in the Middle East who tell us they would like to see Nasser's deflation brought about. But they seem unanimous in feeling that the Suez is not the issue on which to attempt to do this by force. Under those circumstances, because of the temper of their populations, they say they would have to support Nasser even against their better judgment.

Seldom, I think, have we been faced by so grave a problem. For the time being we must, I think, put our faith in the processes already at work to bring Nasser peacefully to accept the solution along the lines of the 18-nation proposal. I believe that even though this procedure may fail to give the setback to Nasser that he so much deserves, we can better retrieve our position subsequently than if military force were hastily invoked.



September 2, 1956

Dear Anthony:

I am grateful for your recent letter, and especially for your kind words on the role of the United States during the London Conference on the Suez Canal. I share your satisfaction at the large number of nations which thought as we do about the future operation of the Canal. In achieving this result we have set in motion a force which I feel will be very useful to us—the united and clearly expressed opinion of the majority users of the Suez waterway and of those nations most dependent upon it. This will exert a pressure which Nasser can scarcely ignore. From Foster I know that this accomplishment is due in no small measure to the expert leadership exhibited by Selwyn Lloyd as Chairman of the Conference, and to the guidance which he received from you.

As for the Russians, it is clear that they sought, at London, to impede the consolidation of a majority point of view, and to generate an atmosphere in the Near East which would make it impossible for Nasser to accept our proposals. I entirely agree with you that the underlying purpose of their policy in this problem is to undermine the Western position in the Near East and Africa, and to weaken the Western nations at home. We must never lose sight of this point.

Now that the London Conference is over, our efforts must be concentrated on the successful outcome of the conversations with Nasser. This delicate situation is going to require the highest skill, not only on the part of the five-nation Committee but also on the part of our Governments. I share your view that it is important that Nasser be under no misapprehension as to the firm interest of the nations primarily concerned with the Canal in safeguarding their rights in that waterway.

As to the possibility of later appeal to the United Nations, we can envisage a situation which would require UN consideration and of course there should be no thought of military action before the influences of the UN are fully explored. However, and most important, we believe that, before going to the UN, the Suez Committee of Five should first be given full opportunity to carry out the course of action agreed upon in London, and to gauge Nasser's intentions.

If the diplomatic front we present is united and is backed by the overwhelming sentiment of our several peoples, the chances should be greater that Nasser will give way without the need for any resort to force. This belief explains our policy at the Conference and also explains the statement which I gave out

If those reasons should involve the issue of employing United States military strength abroad, there would have to be a showing that every peaceful means of resolving the difficulty had previously been exhausted. Without such a showing, there would be a reaction that could very seriously affect our peoples' feeling toward our Western Allies. I do not want to exaggerate, but I assure you that this could grow to such an intensity as to have the most far-reaching consequences.

I realize that the messages from both you and Harold stressed that the decision taken was already approved by the government and was firm and irrevocable. But I personally feel sure that the American reaction would be severe and that the great areas of the world would share that reaction. On the other hand, I believe we can marshal that opinion in support of a reasonable and conciliatory, but absolutely firm, position. So I hope that you will consent to reviewing this matter once more in its broadest aspects. It is for this reason that I have asked Foster to leave this afternoon to meet with your people tomorrow in London.

I have given you here only a few highlights in the chain of reasoning that compels us to conclude that the step you contemplate should not be undertaken until every peaceful means of protecting the rights and the livelihood of great portions of the world had been thoroughly explored and exhausted. Should these means fail, and I think it is erroneous to assume in advance that they needs must fail, then world opinion would understand how earnestly all of us had attempted to be just, fair and considerate, but that we simply could not accept a situation that would in the long run prove disastrous to the prosperity and living standards of every nation whose economy depends directly or indirectly upon East-West shipping.

With warm personal regard—and with earnest assurances of my continuing respect and friendship,

As ever,

DE

رسالة الى انتوني إيدن بشأن القناة

July 31, 1956

Dear Anthony:

From the moment that Nasser announced nationalization of the Suez Canal Company, my thoughts have been constantly with you. Grave problems are placed before both our governments, although for each of us they naturally differ in type and character. Until this morning, I was happy to feel that we were approaching decisions as to applicable procedures somewhat along parallel lines, even though there were, as would be expected, important differences as to detail. But early this morning I received the messages, communicated to me through Murphy from you and Harold Macmillan, telling me on a most secret basis of your decision to employ force without delay or attempting any intermediate and less drastic steps.

We recognize the transcendent worth of the Canal to the free world and the possibility that eventually the use of force might become necessary in order to protect international rights. But we have been hopeful that through a Conference in which would be represented the signatories to the Convention of 1888, as well as other maritime nations, there would be brought about such pressures on the Egyptian government that the efficient operation of the Canal could be assured for the future.

For my part, I cannot over-emphasize the strength of my conviction that some such method must be attempted before action such as you contemplate should be undertaken. If unfortunately the situation can finally be resolved only by drastic means, there should be no grounds for belief anywhere that corrective measues were undertaken merely to protect national or individual investors, or the legal rights of a sovereign nation were ruthlessly flouted. A conference, at the very least, should have a great educational effect throughout the world. Public opinion here and, I am convinced, in most of the world, would be outraged should there be a failure to make such efforts. Moreover, initial military successes might be easy, but the eventual price might become far too heavy.

I have given you my own personal conviction, as well as that of my associates, as to the unwisdom even of contemplating the use of military force at this moment. Assuming, however, that the whole situation continued to deteriorate to the point where such action would seem the only recourse, there are certain political facts to remember. As you realize, employment of United States forces is possible only through positive action on the part of the Congress, which is now adjourned but can be reconvened on my call for special reasons.

بيان صحفي في ١٩ يوليو - تموز ١٩٥٦

Press release of July 19, 1956

At the request of the Government of Egypt, the United States joined in December 1955 with the United Kingdom and with the World Bank in an offer to assist Egypt in the construction of a high dam on the Nile at Aswan. This project is one of great magnitude. It would require an estimated 12 to 16 years to complete at a total cost estimated at some $1,300,000,000, of which over $900,000,000 represents local currency requirements. It involves not merely the rights and interests of Egypt but of other states whose waters are contributory, including Sudan, Ethiopia, and Uganda.

The December offer contemplated an extension by the United States and United Kingdom of grant aid to help finance certain early phases of the work, the effects of which would be confined solely to Egypt, with the understanding that accomplishment of the project as a whole would require a satisfactory resolution of the question of Nile water rights. Another important consideration bearing upon the feasibility of the undertaking, and thus the practicability of American aid, was Egyptian readiness and ability to concentrate its economic resources upon this vast construction program.

Developments within the succeeding 7 months have not been favorable to the success of the project, and the U. S. Government has concluded that it is not feasible in present circumstances to participate in the project. Agreement by the riparian states has not been achieved, and the ability of Egypt to devote adequate resources to assure the project's success has become more uncertain than at the time the offer was made.

This decision in no way reflects or involves any alteration in the friendly relations of the Government and people of the United States toward the Government and people of Egypt.

The United States remains deeply interested in the welfare of the Egyptian people and in the development of the Nile. It is prepared to consider at an appropriate time and at the request of the riparian states what steps might be taken toward a more effective utilization of the water resources of the Nile for the benefit of the peoples of the region. Furthermore, the United States remains ready to assist Egypt in its effort to improve the economic condition of its people and is prepared, through its appropriate agencies, to discuss these matters within the context of funds appropriated by the Congress.